جامعة الخليل

عمادة الدِّراسات العُليا

برنامج اللُّغة العربيَّة وآدابها

مَعاني القَلبِ في الشِّعرِ العبَّاسيِّ حتَّى نِهايةِ القرنِ الرَّابعِ الهجريِّ

إعداد

آدم يوسف طه عفانة

إشراف

أ.د.علي عبدالله عمرو

قُدِّمت هذه الرِّسالة استكمالاً لمتطلَّبات درجة الماجستير في اللُّغة العربيَّة وآدابها
بعمادة الدِّراسات العُليا في جامعة الخليل

١٤٣٧هـ ــ٢٠١٦م

نُوقِشَتْ هذه الرِّسالةُ يوم الأربعاء، بتاريخ 2016/12/28م، الموافق: 28 ربيع الأول، 1438هـ . وأُجيزَت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1- أ.د. علي عبد الله عمرو (مشرفًا ورئيسًا) :	.....
2- د. حسن فليفل (ممتحنًا داخليًا) :	.....
3- أ.د. مشهور الحبازي (ممتحنًا خارجيًا) :	.....

الإهداء

أهدي ثمرة بحثي هذا إلى أبي وأمي

وإلى أخوتي وزوجتي وأولادي

الشُّكر والتَّقدير

أتقدَّم بعظيم الشُّكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور علي عمرو الذي شرَّف البحث حين أشرف عليه، موجهًا لي داعمًا ومسيِّرًا كي يخرج هذا البحث إلى حيِّز الوجود، فدام بعين الله وعنايته.

فهرس المحتويات

الإهداء	ب
الشُّكر والتَّقدير	ت
فهرس المحتويات	ث
ملخَّص البحث	ذ
المقدمة	ر
تَمهيد: القلبُ والفؤادُ في اللُّغةِ والقرآنِ الكريم والحديثِ الشَّريفِ	١
أولًا: معاني القلب	٢
ثانيًا: تقسيمات القلب	٣
ثالثًا: الفؤاد والأفئدة	٤
رابعًا: الفرق بين القلب والفؤاد	٥
خامسًا: معاني القلب في القرآن الكريم	٥
أ- القلب العاقل والقلب الغافل	٦
ب- القلب المُتكبِّر	٨
ج- القلب السَّليم الخاشع	٩
د- القلب الخائف	٩
هـ- القلب الشُّجاع المُطمئِنُّ	١٠
و- القلب الفاجر القاسي	١٠
ز- القلب الرَّحيم	١١
سادسًا: معاني القلب في الحديث الشَّريف	١٢
أ- صلاح القلب أو فساده	١٢
ب- القلب الخاشع	١٢
ج- قسوة القلب ورقَّتها	١٣
د- القلب التَّقي والقلب الشَّقي	١٣
سابعًا: الفؤاد في القرآن الكريم واختلافه بين القلب والعقل	١٤

ثامنًا: الفؤاد في الحديث الشَّريف	١٦
أ- الفؤاد السّقيم	١٦
ب- الفؤاد الحزين	١٦
ج- الفؤاد الخائف	١٧
د- الفؤاد الرّقيق الرّحيم	١٧
تاسعًا: القلب ومحلُّ الحُبِّ والكُرهِ فيهِ	١٧
أ- مراتب الحب	١٧
ب- مراتب الكراهية	١٩
الفصل الأوَّل: القلب ودوره في توصيلِ العاطفة وتشكيل الفكر والأدب في الشِّعر العبَّاسي	٢١
أولًا: القلب منبع الإحساس والإدراك والفِكْر	٢٢
ثانيًا: علاقة القلب بالعقل والحواس الخمس	٢٣
أ- القلب والعقل	٢٣
ب- القلب والعين	٢٧
ج- القلب والأذن	٣٨
د- القلب والأنف	٤٣
هـ- القلب واللِّسان	٤٥
و- القلب واليد	٤٩
ثالثًا: معاني الحُبِّ والكُرهِ في الشِّعر العبَّاسيِّ	٥١
١- معاني الحُبِّ في الشِّعر العبَّاسيِّ	٥١
أ- مقدّمةٌ في الحُبِّ	٥١
ب- مفهوم الحبِّ والغزل عند العباسيين	٥٢
ج- تطور الغزل في الشّعر العباسِيِّ	٥٣
د- مُبرِّزو شُعراءِ الحُبِّ فِي بَني العَبَّاسِ	٥٤
١- الحُبُّ	٥٥
٢- الهَوى	٦٠

٣- العلاقة	٦٢
٤- الكَلَفُ	٦٥
٥- العِشق	٦٦
٦- الشَّغَف	٦٩
٧- اللَّوعة	٧١
٨- الجوى	٧٤
٩- التّتيُم	٧٧
١٠- الوَلَه	٧٨
١١- الهيام	٨٠
١٢- الصَّبابة	٨٢
١٣- الوَجْد	٨٤
١٤- الشَّوق	٨٦
١٥- الوَصَب	٨٨
١٦- الخُلَّة	٨٩
١٧- الوُدُّ	٩٢
١٨- الغَرام	٩٤
٢- معاني الكُرهِ في الشِّعرِ العبَّاسيِّ	٩٥
أ- الكره	٩٥
ب- الشنآن	٩٦
ج- البُغض	٩٨
د- القِلى	١٠٠
الفصل الثاني: تطوُّر معاني القلب في الشِّعر العباسيِّ	**١٠٢**
أولاً: المعاني الخُلُقيَّة والنَّفسيَّة للقلب	١٠٣
١- الشّجاعة	١٠٣
٢- الجُبن	١٠٤
٣- الخوف	١٠٦

٤- الأمن والاطمئنان	١٠٨
٥- السّرور والفَرَح	١١٠
٦- الحُزنُ والهَمُّ	١١٢
٧- الرِّقةُ والعَطْفُ	١١٥
٨- القسوة	١١٧
٩- الحنين	١١٨
١٠- الهجران	١٢٠
١١- الحِقد والضَّغينة	١٢٢
١٢- الرِّضا	١٢٤
١٣- الصَّبر	١٢٥
١٤- الشَّهوة واللَّذَّة	١٢٧
ثانيًا: ما يحمله القلب من المجاز	١٢٩
١- القلب العالِم	١٢٩
٢- القلب الجاهل	١٣١
٣- القلب الذَّكي	١٣٢
٤- القلب البخيل	١٣٤
٥- القلب النَّائم	١٣٥
٦- القلب الصَّاحي	١٣٦
٧- القلب النَّاظر الرَّائي	١٣٧
٨- القلب الأعمى	١٣٨
٩- القلب الحيُّ	١٣٩
١٠- القلب السَّليم الصَّحيح	١٤٠
١١- القلب المريض	١٤٢
١٢- القلبُ المُطيعُ المُنقادُ	١٤٢
١٣- القلب العاصي المخالف	١٤٣
١٤- القلب المقرُّ المعترف	١٤٤

١٥- القلب الأمين الصادق	١٤٥
١٦- القلب الخائن	١٤٦
١٧- القَلْبُ المَسْكَنُ الوَطَنُ	١٤٧
١٨- القلب الأسير	١٤٩
ثالثًا: باب ذكْر متعلِّقات القلب من محسوساته المادِّيَّة	١٥٠
١- جُروحُ القَلْبِ وَدِمَاؤُهُ	١٥٠
٢- ماء القلب	١٥١
٣- أنفاس القلب	١٥٢
٤- نَارُ القلبِ	١٥٣
٥- لسان القلب	١٥٤
٦- عين القلب	١٥٥
٧- جيش القلب	١٥٥
٨- ضمير القلب	١٥٦
٩- سواد القلب وسويداؤه	١٥٧
١٠- شغاف القلب	١٥٨
١١- حبة القلب	١٥٩
١٢- ثمر القلب	١٦٠
رابعًا: المعاني الرُّوحانية للقلب	١٦١
١- أفْكَارُ القَلْبِ	١٦١
٢- هواجس القلب	١٦٢
٣- خَواطِرُ القلب	١٦٣
٤- حَظُّ القلبِ	١٦٤
خاتمة البحث	١٦٥
المصادر والمراجع	١٦٧
الملخص باللغة الإنجليزية: **Abstract**	١٨٣

مُلَخَصُ البَحْثِ:

لقَدْ أَولَى البَاحِثُ في هَذِهِ الدِّراسَةِ تَوضِيحَ مَعاني القَلبِ بأَشْكَالِهَا المُخْتَلِفةِ، فَعدَّدَ مَفاهِيمَهُ وأَبرَزَ صُورَهُ في الشِّعرِ العَباسيِّ حتّى نهاية القرنِ الرَّابعِ الهِجري، فَجَاءَ البَحثُ فِي فصلينِ وتَمهيدٍ وخاتمةٍ، جَعلَ البَاحِثُ التَّمهيدَ مُعنونًا: بـ (القلبُ والفؤادُ في اللُّغةِ والقرآنِ الكريمِ والحَديثِ الشَّريفِ) فبيَّن فيهِ مَعانِي ألفاظِ القلوبِ والاختلافاتِ بين القلبِ والفؤادِ، وأوردَ آياتٍ من القُرآنِ الكريمِ على صُورِ القلبِ ومَعانيهِ وأحاديثَ شريفةً لبيانِ فُروقاتِ صُورِ القلبِ وَمعانيها ومُتَناقِضاتِها.

أمَّا الفَصلُ الأوَّلُ فقدْ جَاءَ بعنوانِ: (القلبُ ودورهُ في توصيلِ العاطفةِ وتَشكيلِ الفِكْرِ والأَدب في الشِّعر العبَّاسيِّ)، وقَدْ بيَّن فيهِ البَاحِثُ مَفهومَ الحُبِّ والغزلِ عندَ العَباسيينَ، ثمَّ عَلاقة القلبِ بالعقلِ والحواسِّ الخَمْسِ وأوردَ شواهدَ شعريَّةً وأمثلةً على كلِّ بابٍ مِنها، ثمَّ قسَّم البَاحثُ مَعانِي الحُبِّ بِاخْتلافَاتِها مَع ذِكرِ أَمثلةٍ عَلى كُلِّ بابٍ، وحَملَ الفَصلُ الثَّاني عنوانَ: (تَطَوُّرُ مَعاني القلبِ في الشِّعر العبَّاسيِّ)، ومَا فِيها مِن الحَالاتِ النَّفسيَّةِ التي ذكَرَهَا الشُّعراءُ، وَما يَحملُهُ القلبُ من المَجازِ ومُتعلّقات القلبِ المَحسوسةِ الماديِّةِ والمَعاني الرّوحانِيَّة للقلبِ.

المقدِّمة:

الحمدُ للهِ الذيْ أنزلَ علينَا الكِتابَ بِلسانٍ عربِّيٍ مبينٍ، فجعلهُ نُورًا للسَّالكينَ، وطريقًا للعارِفينَ لِيكونَ هدىً للسَّامعينَ وبصيرةً للعالِمينَ، نحمدهُ ونستعينُهُ سُبحانَهُ بِكلِّ قَلبٍ مُؤمِنٍ بهِ أمينٍ، فإنَّ للقلبِ ووَسْمِ الحُبِّ فيهِ مَكانةً لَدَى الشُّعراءِ عَلَى مَرِّ التَّاريخِ، وَلقدْ أَلَمَّ الشُّعراءُ العبَّاسيُّونَ بجَوَانِبِ تِلكَ اللَّفظةِ من تَوصِيفِ مَعَانِيها وتَوظِيفِ مَبَانِيهَا، لِتَحمِلَ المُتَناقِضاتِ مِنْ المَعانِي والصُّورِ المُخْتَلِفَةِ كالحُبَّ والكُرهِ والشَّجاعةِ والجُبنِ والكرمِ والبُخْلِ والقَربِ والبُعدِ .....إلخ.

وقد وقفَ العديدُ من الشُّعراءِ على المَعانِي التي حَملتْها لَفظة القَلب مُفرَدَةً ومُثنَّاةً ومُتَّصِلةً ومُنفَصِلَةً، فَجاءَ عُنوان البَحث مُدرجًا موسومًا بـ (معاني القلبِ في الشِّعر العبَّاسيِّ حتَّى نهايةِ القرنِ الرَّابعِ الهجريِّ)، وقَدْ نَوَّعَ البَاحِثُ مَصادِرَ التُّراثِ العربيِّ والمَصَادِرَ الشِّعريَّةَ في البَحْثِ، فوسَّعَ دائرة البَحثِ في نِطاق الشُّعراءِ ليشملَ المَشْهورينَ والمَغمورينَ مِنهُم، قصائِدَهُم كانتْ أم مقطَّعَاتِهِمْ، أم نُتفًا تُلِمُّ بموضوع المُباحثة وما يَنضوي تحتها. وأودُّ الإشارَةَ بِأَنَّ الباحِثَ قَدْ نَهَلَ منْ شِعرٍ لِبَعضِ الشُّعراءِ مِمنْ فَارقَ بعدَ القرْنِ الرَّابِعِ الهِجريِّ بقليلٍ، وهُمَا شَاعِرانِ أو ثلاثَةٌ عَلَى الأكثَرِ.

وقَدْ عقَدَ الباحثُ هَذهِ الدِّراسةَ لِمَعاني القلبِ في العصرِ العبَّاسِي –حتى قرنه الرَّابع الهجري– ليبيِّن جوانبَ من المُتناقضاتِ التي كانَت سَائدةً حينها، ورغبةً في جَمع شعرٍ زاخِرٍ تَناقلهُ المُؤرِّخونَ على ألْسُنِ الشُّعراء في العصرِ العبَّاسيِّ، فكانَ لا بُدَّ من التَّعريج على مَضامينِ ما قيلَ عن مَعاني القلبِ واشتقاقاتِها المُؤتَلفةِ مِنها والمُختلفةِ.

والعَبَّاسيونَ أولوا الشِّعرَ مَكانةً عُليا، واهتمّ خلفاؤهُمْ بهِ اهتِمامًا مُنقَطِعَ النَّظِيرِ، ليكونَ لهم نصيبٌ وافٍ، وحظٌّ طائِلٌ مِن مَدائحِ الشُّعراءِ، وتَوصِيفِ قُصورهم وبَساتينهم، وحتَّى وَصْفِ حَيواناتِهم ودَوابِّهِم، "وقد أدَّى اهتمامُ الخُلفاء العَبَّاسيينَ بالشِّعرِ والشُّعراءِ إلى ازدحامِ الشُّعراء على بَلاطهم وأبوابِهم ونَيلِهِم مَكانةً مرموقةً من قلوبِ الخُلفاءِ ومِن جُيوبِهم أيْضًا، ويُذكرُ أنَّه لَم يَجتمع عَلى بَابِ أَحَدٍ مِن المُلوكِ مَا اجتمعَ عَلى بَاب المَأمون والرَّشيد مِن الشُّعراءِ. وقد بَلغَ مِن مَنزلةِ

الشُّعراء أنَّهم كَانوا يَحتكمونَ في أموالِ الخُلفاءِ ويُفرطونَ في الدَّالةِ عَليهم، ويَشفعونَ فيما لا تُرجى الشَّفاعةِ فيه، فَيفُكُّون رِقابَ العُناةِ، ويُجيرونَ من المَوتِ"[1].

ولا شَكَّ في أنَّ القلوبَ تَحملُ مِن المُتناقضاتِ الشَّيءَ الكثيرَ، فهي دائمة التَّقلُّب، لا تستمرُّ على حالٍ واحدةٍ، وهذا وَسمها، وتلكَ صِفتُها. وقد ارتبطَ القلبُ بمَفْهومِ الحُبِّ، فمتَى ذُكرَ القلبُ تَبادرَ للذهنِ شأنُ الحُبِّ وعَلِقَ بِهِ.

وقد طَرأَ التَّجديدُ مُصاحبًا للعَصْرِ العَبَّاسيِّ بِتَفصِيلاتِهِ المُخْتَلِفَةِ، فكَانَ لِتطورِ مَعانِي القلبِ ومَا تَعلَّق بِها من صِفات الحُبِّ والعشقِ نَصيبٌ من الرِّقَّةِ والإحساسِ المُرهف في هذا التَّجديدِ، لانتقالِ الحَياة من القَسوةِ والغِلْظَةِ إلى النُّعومةِ واللِّينِ ومن الفقر إلى الغنى والتَّرفِ، "ومِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أنَّ الحياةَ العبَّاسيَّة انتقلتْ مِن البَداوةِ إلى الحَاضِرة، فَمن خُشونةِ العْيشِ إلى تَرَفِهِ الفَاحشِ، فظَهرتِ المَلابسُ المُوشَّاةُ التي لمْ تَكنْ قبْلًا مَاثلةً بِهذا الشَّكلِ، فَكانَ للشُّعراءِ حَظٌّ مِن ذلكَ التَّجديدِ، فَوصَفوا القُصورَ وَالبَساتينَ الغَنَّاءَ، وَمظَاهِرَ الطَّبيعةِ وَالجمالِ"[2].

ولاحَت معانٍ جديدةٌ في هذا العصرِ تَمَثَّلتْ بالغزلِ في غيرِ المُسلِماتِ مِن النَّصارى والمَجوسِ وما تَرَتَّبَ عليهِ من انْحِلالٍ خُلُقيٍّ، وفي مُقابِلِ ذلكَ أظْهَرَ العصرُ العبَّاسيُّ جوانِبَ من الزُّهدِ والرُّجوعِ إلى اللهِ في التَّفكُّرِ بالموتِ والحياةِ الآخِرَةِ، مُنتِجًا بذلكَ طبقةً من العُبّادِ الشُّعراءِ، كالحَلّاجِ صوفيًا وأبي العَتَاهِيَةِ زَاهِدًا، والشَّافِعيِّ عابِدًا وَمن سارِ على هُداهُمْ.

وكَانَ للعَقلِ مع القلبِ تَآزُرٌ في الوظيفَةِ وتَرابُطٌ لافِتٌ، واشتَرَكَتِ الحواسُّ الخَمسُ مع القلبِ اشتراكًا مُباشرًا، مُتَفاعِلَةً مع المَشاعرِ والوِجدانِ بِالوَصْفِ والتَّشبيهِ واستحضارِ المَعاني المُختلفةِ في مواقفَ مُختلفةٍ، مِن وَصْفِ الجمالِ بِأشْكَالِهِ المُختَلِفَةِ، والمدحِ والذَّمِ والكُرْهِ، ووصفِ الحيوانِ والجماد، فكان الشِّعر العباسِيُّ شامِلًا لتلك المرحلةِ في جَميع جوانِبِها المُختلفة.

---

[1] حمدان، سارة عبد الحفيظ محمد، **صورة الخلافة في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، ١٧، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، ٢٠١٠م .

[2] عباس، أحمد الطيب خوجلي، **الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول**، ٣٠، رسالة دكتوراة، جامعة أمدرمان، ٢٠٠٧م .

أهميَّة البحث:

يتحدّثُ الباحثُ في مَوضوعِ بحثِه عن القَلبِ وعَاطفتهِ، ومَا كُتب من أشْعارِ العَباسيِّينَ عنه وبرزَ أثرُ ذلكَ جليًّا واضحًا فِي الشِّعرِ العبَّاسِيِّ، وكَانَ لِتلكَ اللَّفظةِ مَزِيَّةٌ فِي تَشكيلِ الأحْاسِيسِ والعَواطفِ، لِذا كان لِزامًا على الباحثِ إظهارُ هذا المَجالِ وتبيينُه، لأن أي دراسٍ لم يُفرد لهذا البحث بابًا، فوجبَ فِيهِ البَحثُ حتّى يقعَ الفَهم الجَامِعُ المَانِع لدِلالةِ القلبِ.

وأودُّ الإشارةَ هنا بِأنّ البَاحِثَ قَدْ عثرَ من خِلالِ الشَّبكةِ العَنكَبوتِيَّةِ على مُلخَّصِ كتابٍ لمؤلِفِهِ مُحمَّد جميل حطَّاب بعنوان (القلبُ والحوَاسُّ الخمسُ في الشِّعرِ العربيِّ)، ولكنَّهُ لَمْ يَعثُرْ على الكتابِ بالرّغم من البحثِ المُتَواصِلِ، وهو كِتابٌ عِلميٌّ يبحثُ في القلبِ وخَصَائِصِهِ الطِّبِيَّةِ وَتَرَاسُلِ الحَواسِّ فيهِ. كما أورَدَهُ الكاتِبُ محمد صخر حيدر في صحيفة الوحدة من العدد رقم (٨٦٠٩).

وتَتبعُ أَهميَّةُ دِراسةِ البَاحِثِ لِموضوعِ مَعاني القلب من كونِهِ الأسَاسَ الذي قَامَ عَليهِ الغَزلُ في العَصرِ العبَّاسِيِّ، وتصويرًا لِلحالاتِ النَّفسيَّةِ التي تَنتُجُ عَنهُ في فَترةٍ من الزَّمنِ جَمعتِ المَراحِلَ النَّفسيَّةَ عند شُعراءِ هذه الفترةِ الذينَ جرَّبوا فأفَادوا غَيرهم بِتَجَارِبِهِمْ.

سببُ اختياري للموضوعِ:

إنَّ الأسبابَ التي دَفعَتني لِعقدِ تِلكُمُ المُباحَثةِ عَن (مَعاني القلب)، وتحديدًا في العصر العبَّاسيِّ حتَّى نِهاية قرنٍ رابِعٍ من الهِجرةِ، هي:

١- أنْ يكونَ عَمَلي هَذا خَالِصًا لِوجهِ اللهِ تَعالَى. فَكُلٌّ مَسعىً بِمُقْتَضَاهُ، وكلٌّ تَوفيقٍ لا يَكونُ إلَّا بِرضاهُ.

٢- الرَّغبةُ في مَعرفَةِ مَظَاهِرِ العَصرِ العبَّاسيِّ وخَصَائِصِهِ بشكلٍ أكبرَ، والتّعمُّقُ في مُفرداتِ ذلك العصرِ، شُعَرائِهِ وَحُكَّامِهِ، فقد ارتفعت حَصيلة الشِّعر في ذلكَ العصرِ وتَعدّد شُعراؤُهُ.

٣- اختلافُ مَذاهبِ الشُّعراءِ فِي هَذا العَصرِ، واشتمالهُ على التَّناقضاتِ، فقلوبٌ هناك موحِّدةٌ وأُخرى مُشرِكةٌ، وتلك مُحِبَّة وغيرها مُبغِضَةٌ .....إلخ.

مُشكلةُ البَحثِ:

تتلخّص مشكلة البحث بالآتي:

١- الكمُّ الهَائِلُ من الشِّعر العباسي في موضوع القلبِ منْ الفترة الأُولى للعَبَّاسيينَ حتَّى نهاية القرن الرَّابع الهجريِّ، والتي كانت لتُمثِّل أبحاثًا وليس بحثًا واحِدًا، فقد ضَمَّن الباحثُ في بَحثِهِ شِعرًا نوَّعَ فيه مَشارِبَهُ وشُعراءه من المفلّقين أصحابِ البَاعِ الطَّويلِ في قَولِ الشِّعر، إلى المَغمورينَ الذين كانت قَصائِدُهُم لا تَتعدَّى المقطَّعاتِ، ودَواوينُهم لا تَربو إلَّا عن الخَمسينَ أو السَّبعين من الوريقاتِ وبعضُها جَمَعَهُ الباحِثُ نُتَفًا مِن كُتب التُّراثِ والمَراجِعِ.

٢- اختلاف طِباعِ الشُّعراءِ وأساليبِهم في قولِ الشِّعرِ، فقد مَثَّل شِعرهم فِي هذا المَقام من البَحثِ تَصويرًا حيًّا، وليد اللَّحظة لنَفسياتِهم وطبائِعِهم وسُلوكِهم، لذلك كانت الإحاطة بأشعارهم- ممّا يُهمُّ البحث- تتطلَّب الجُهدَ الكَبيرَ، والعَناءَ الوَفيرَ.

٣- من الصُّعوباتِ التي واجهتِ الباحثَ في البحث أيضًا، أنَّه لم يقف على دراسةٍ واحدةٍ وافيةٍ في هذا الموضوع، لِينطلقَ مِنها، لا في العصر العباسيِّ ولا حتى في العصر الجاهليِّ والإسلاميِّ وما تَلتها من عُصورٍ، فهو بابٌ حَديثُ العهد من الأدب، فقاربَ الباحثُ بعض الدِّراساتِ السَّابِقةِ في العصرِ العَباسيِّ لِيلملم حُدودَ بَحثِهِ.

٤- أُسْقِطَتْ مِن مَتن البَحثِ- في بدايته وعند اكتماله- بعض الأشعار التي نُسبت لشاعرين أو أكثر في كتب تراث الأدب العربي، فقد وردت بعض الأشعار في كتبٍ لشاعرٍ، وَوردت نَفسها لشاعرٍ آخرَ في كُتبٍ أُخَرَ من كتب التُّراث العربي، وبعضُها أورَدَ الباحثُ المراجعَ فيها لِشاعِرينِ في الكِتابِ نَفسهِ، ممَّا جعلَ من الصُّعوبة بمكانٍ تَرجيحُ نِسبَتِها لشاعرٍ واحدٍ بِعَينِهِ. وقَدْ أُسْقطَ كذلِكَ كُلُّ ما تَعَلَّقَ بِلَفظِ (الفُؤادِ) من الشِّعرِ في البحث، وبرَزَ لفظُ القلبِ ظَاهِرًا لِأنَّ الفؤادَ ليسَ القلبَ في كَثيرٍ من الأشعارِ، ولأَجْلِ أنْ يُعطَى القَلبُ حَقَّهُ من البحثِ والدِّراسةِ لِغَزارَةِ ألفاظ القُلوبِ ومُتَعَلِّقاتِهَا.

هيكليَّة البحث:

يتكوَّنُ البحثُ من فصلينِ وتَمهيدٍ وخاتمةٍ، جَاءَ العُنوان العريضُ للتَّمهيدِ تَحتَ مُسمّى (القلب والفؤاد في اللُّغة والقرآنِ الكريم والحديث الشَّريف)، فَتحدَّث فيه البَاحِثُ عن مَاهِيَّةِ القلب والفؤادِ مفهومَيهِما وعَلاقَتِهِما بالقرآن الكريمِ والحَديثِ النبويِّ الشَّريف، وسَاقَ البَاحِثُ شواهدَ قرآنيَّةً وأحاديثَ نَبويَّةً عن القلبِ والفؤادِ، بعدما بيَّنَ الاختِلافَاتِ وفرَّقَ بينَ معنى المَفهومينِ.

أمَّا الفصلُ الأوَّلُ فحملَ عُنوانَ: (القلبُ ودورهُ فِي تَوصيلِ العَاطفةِ وتَشكيلِ الفِكْرِ الأدبِ في الشِّعر العبَّاسيِّ)، حيثُ ذَكرَ البَاحِثُ فيهِ دورَ القلبِ في تَوصيلِ الفكر والعاطفة، وعلاقةَ القلبِ بالحواسِّ الخمسِ في الشِّعر العبَّاسيِّ، ومَعاني الحُبِّ والكُرهِ، وتَفَصيلاتِها، ذاكِرًا البَاحِثُ الشَّواهد الشِّعريَّةَ التي تتَعَلَّقُ بِكلِّ مُسمىً من مُسمَّياتِها، بعدَ أنْ عرَّفَ كُلَّ معنىً مِنْ مَعَانِيهَا.

وجاءَ الفصلُ الثاني بعنوان: (تَطوُّرُ معاني القلبِ في الشِّعر العبَّاسيِّ)، حيثُ ذكرَ البَاحِثُ المُتضادَّاتِ التي تتَحَمَّلُهَا مَلافظُ القلوبِ ومَعانِيها النَّفسيَّةُ والخُلُقِيَّةُ، وما حُمِّلَهُ من المَجازِ والاستِعارةِ وغيرِها، وأردَفَ البَاحثُ ذِكرَ مُتَعَلّقاتِ القلبِ المَحْسوسَةِ المادِّيَّة التي ارتَبَطَت بِمفهومِهِ.

مَنهجِيَّة البحث:

اتَّبعَ البَاحثُ في بَحثِهِ المَنهجَ الوَصْفِيَّ التَّحليليَّ للنُّصوصِ الشِّعريَّةِ، معتمدًا على المعاني النَّفسيَّة عند الشُّعراء، وقد علَّق الباحثُ وقدَّم النُّصوصَ الشِّعريَّة، وراوحَ بينَ الجَوانبِ التَّحليليَّة والبلاغيَّة في استقرائهِ النُّصوصَ الشِّعريَّةَ.

فرضيَّات البحث:

١- لقدْ أحاطَ الشِّعرُ العبَّاسيُّ- في موضوعِ القلبِ- بكلِّ الجوانبِ والأبعادِ النَّفسيّةِ التي مثَّلتْها حالاتُ الشُّعراءِ ومَمدوحيهِم.

٢- أعْطَانا الشِّعر العبَّاسيُّ صُورةً نَمطيَّةً عَن القلبِ، من المَشاعرِ والأحَاسِيسِ فِي مَجالاتِ الحُبِّ بأنواعهِ المُختلفةِ.

٣- إنَّ القرآنَ قدْ أولَى القلبَ جانبًا مِن الخُصوصيَّةِ، فقسَّمَهُ إلى مَراتِبَ مُخْتَلِفةٍ، فهَذا قلبٌ سليم وذلك قلبٌ مريضٌ، وهناكَ القلبُ الرَّحيمُ، والقلبُ القَاسِي ..... إلخ. ورسمَ لنَا طَريقَ الهِدايةِ والصَّلاحِ.

٤- كانَ للحديثِ الشَّريفِ شَأنٌ فِي تَدعيمِ القولِ عن القلبِ، وقد تمثَّل ذلكَ في استقراءِ الأحاديثِ التي كانَتْ تَدعَمُ مَجالَ البَحثِ وتُوجِّهُ السُّلوكَ البَشريَّ نَحو وِجهتِهِ الفُضْلى، فَجاءَتِ الأحاديثُ الشَّريفَةُ مُقدِّمةً مُقْتضَبةً فِي ثَنايا البَحثِ، تُبرزُ جَوانبَ من حَياةِ النَّاسِ ومُعَامَلاتِهِم وعِبَاداتِهِمْ.

<u>المَصادرُ دَاعِمَةُ البحثِ:</u>

اعتمدَ البَاحِثُ فِي بَحثِهِ، وخُصوصًا التَّمهيدَ، كُتبَ التَّفسيرِ، مثلَ تفسيرِ فتح القديرِ للشَّوكاني وتفسيرِ الكشّاف للزمخشريِّ، وتفسير القُرطبيِّ، وغيرِها من كُتبِ التَّفسيرِ المُختلفةِ، وكتبِ الحديثِ الشَّريفِ والأسانيدِ مثل صحيحي البُخاري ومُسلمٍ، واعتمدَ البَاحِثُ أيضًا في بحثِهِ مَصادرَ التُّراثِ المُختلفةَ لِتدعيمِ مادَّة بحْثِهِ وتَوثِيقِ الأشعار وإيراد مُناسَبَتِها، فاعْتَمَدَ كِتابَ الأغَاني لأبي الفرجِ الأصْفهاني، ونَهلَ من مادَّتِهِ قصصًا للشُّعراء وأخبارًا لهم، واعتَمَدَ كَذَلِكَ كتابَ نفحِ الطِّيبِ للمَقَّري وكتاب الزّهرة لابن داود الظَّاهري، الذي أورد مُؤلِّفُهُ فيه أشعارهُ ولم يُعلن عن اسمهِ فيهِ، واعْتَمَد البَاحِثُ أيضًا كِتابَ نِهايةِ الأَرَبِ في فنون الأدب للنُّويريِّ ويتيمةَ الدَّهرِ للثَّعالبيِّ، والعِقدَ الفريد لابن عبد ربّه، وغيرها من كتب التُّراث التي شكَّلتِ المصادِرَ الرئيسةَ في البَحْثِ.

أمَّا دَواوينُ الشُّعراءِ فوَثَّقَ البَاحِثُ مِنْهَا الأشعارَ الواردةَ فيها، واجتَهَد الرُّجوعَ إلى الدّواوينِ الشِّعريَّةِ والتَّوثيقَ منها، وما لمْ يرد شِعرُهُ في الدَّواوينِ أخْذَ مَادَّتَهُ من مَراجِعِ التُّراثِ العَربيِّ. أَمَّا التَّرجمةُ للشُّعراءِ المَغمورينَ وبَعضِ المَعروفينَ مِنهم والأعلامِ والمَمدوحينَ من قوَّادٍ وخلفاء ووزراء فَقَدْ نَقَلَها البَاحِثُ مِنْ كُتُبِ التَّراجِمِ والطَّبقاتِ، مثلَ كتاب الوافي بالوفيات للصّفديِّ، وكتاب تاريخ مدينة السَّلام(تاريخ بَغداد) للخطيب البغداديِّ، وكتاب الأعلام للزِركلي، وكِتابِ النُّجومِ الزَّاهرةِ في مُلوك مِصر والقاهرةِ لابن بَرْدي، ويَودُّ البَاحِثُ الإشارةَ إلى أنَّ بَعضَ كُتُبِ التَّراجِمِ قدْ وَردتْ بنُسختينِ لدارَيْ نَشرٍ مُختلفَتينِ، وما وثَّقَ البَاحِثُ مِنها بَحثَهُ ما أوردَهُ في قائمة المصادر والمراجع.

وكان لِلمعاجمِ نَصيبٌ في البحث، فقَدْ اعتمدها الباحثُ لِلإبانَةِ عن المعاني المُبهمةِ المُشكِلَةِ مثل معجم الصِّحاح للجوهري، ولِسانِ العَرَب لابن منظور، وتاج العروس للزّبيدي والمُحكم والمُحيط الأعظم لابن سيدَه، والعين للفراهيدي، وجمهرةِ اللّغة لابن دُرَيدٍ.

وبالحَديثِ عن المَرَاجِعِ الحَديثةِ، فإنَّ البَاحِثَ قد استَقى من عديد الكُتُب والدّراسات، مثل كتابِ المَوقفِ والتَّشكيلِ الجَمَاليِّ للنُّعمان القاضي، وكتاب العَصرِ العبَّاسيِّ الأوَّل لِشوقي ضيف، وكتابِ نقد الشِّعر في القرن الرَّابع عشَر لقاسم مومنى، وكتابِ الحُبِّ لعُمر كَحالة، وغيرها من الكُتُبِ والمَصادر.

وقَدْ أفادَ الباحثُ من دِراساتٍ مُختلفةٍ ليَبدأ بَحْثَهُ، وأخُصُّ بالذِّكرِ رِسالةَ ماجستير تحملُ عنوانَ (القلبُ في القرآنِ الكريمِ) من جامعة النّجاح لابتهاج شحروج، ومقالاتٍ منها مقالة (القلبُ في القرآن) لعبد الكريم بليل، شَكَّلتْ قاعِدَةَ البَحثِ في التَّمهيدِ لَهَذِهِ الدِّراسَةِ.

ولا بُدَّ بأن يُشيرَ البَاحِثُ هُنَا إلى أنَّهُ لَملَمَ مَوضوعَ بَحثِهِ بِأشْعَارِهِ وعُلومِهِ ومَرَاجِعِهِ من المَوسوعةِ الشِّعريَّة، نُسخة٢٠٠١، والتي تَضُمُّ مِليونًا وثَلاثمئةِ ألفِ بيتٍ من الشِّعرِ العربيِّ لأكثرَ مِن ألفِ شَاعرٍ، وثلاثةَ عَشَرَ مُعجَمًا من معاجِمِ العربيَّةِ.

وأخيرًا، فإنَّني أتقدّمُ بِعظيمِ الامتِنانِ وخَالِصِ الشُّكرِ والعِرفَانِ لأستاذي الفَاضِلِ مُشرِفِ البَحثِ الأستاذ الدُّكتور علي عبدالله عمرو، الذي أفدتُ منهُ كثيرًا في بَحثي، وأرشَدَني إلى أنِ اكْتَمَلَ هذا البحثُ المُتواضِعُ، فَدُمْتَ بعينِ اللهِ وعِنايَتِهِ.

تَمهيد: القلب والفؤاد في اللُّغة والقرآن الكريم والحديث الشِّريف

- أولًا: معاني القلب
- ثانيًا: تقسيمات القلب
- ثالثًا: الفؤاد والأفئدة
- رابعًا: الفرق بين القلب والفؤاد
- خامسًا: معاني القلب في القرآن الكريم
- سادسًا: معاني القلب في الحديث الشَّريف
- سابعًا: الفؤاد في القرآن الكريم واختلافه بين القلب والعقل
- ثامنًا: الفؤاد في الحديث الشَّريف
- تاسعًا: القلب وَمحلُّ الحُبِّ والكُرهِ فيهِ

أولًا: معاني القلب

يَأتِي القلبُ فِي اللُّغةِ بِمَعانٍ مُختلفةٍ متباينَةٍ:

أ- قَلْبُ الشَّيءِ عنْ غيرِ وُجهتهِ، وتَحويلُهُ وِجهةً أُخرى:

"القَلْبُ: تَحْويلُ الشيءِ عن وجْهِهِ. قَلَبه يَقْلِبُه قَلْبًا، وأَقْلَبه، وقد انْقَلَب، وقَلَبَ الشيءَ، وقَلَّبه: حَوَّله ظَهْرًا لبَطْنٍ. القَلْبُ مُضْغةٌ من الفُؤَاد مُعَلَّقةٌ بالنِّياطِ: القَلْبُ الفُؤَاد، مُذَكَّر، صَرَّح بذلك اللّحياني والجمع: أَقْلُبٌ وقُلوبٌ، وفي قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ فقد علَّق الزَّجَّاج على الآية: مَعناه نَزَلَ به جبريلُ -عليه السلام- عليك، فَوَعاه قَلْبُك وثَبَتَ فلا تَنْساه أَبدًا"[1].

وقدْ عرَّف العَسكريُّ القلبَ فِي كِتابِهِ مُفرِّقًا إيَّاهُ عن البَالِ، "القلبُ اسمٌ للجارحةِ. وسُميَ بذلك لأنَّه وُضِعَ في مَوضِعهِ من الجوفِ مقلوبًا، والبَالُ والحالُ، وحَالُ الشَّيءِ: عُمدتُه، فلمَّا كانَ القلبُ عُمدةَ البدنِ سُمِّي بالًا، فقولنا: بالٌ، يُفيد خِلاف مَا يُفيدهُ قولنا: قَلبٌ، لأنَّ قولَنَا: بالٌ يُفيد أنَّه الجارحةُ التي هِي عُمدةُ البدنِ، وقولُنا: قلبٌ؛ يفيد أنَّه الجَارحةُ التي وُضعتْ مَقلوبةً، أو الجَارحَةُ التي تتقلَّبُ بِالأفكارِ والعُزومِ"[2].

فالعَسكريُّ قد بيَّن أنَّ سَببَ تسمية القلبِ بذلكَ الاسمِ إنَّما هُو حَاصِلٌ مِن تَموضُعِ القلبِ مَعكوسًا بالشَّكلِ المقلوبِ، ثم بيَّن أنَّ تسَميتَهُ بالقلبِ لأنَّه يتقلّب بالأفكارِ والهمومِ وما شابَه. ونَجدُ الخليلَ بن أحمد الفَراهِيديَّ قدْ جَعلَ الفؤادَ أشملَ مِن القلبِ، فقَدْ عدَّ القلبَ مُضغةً من الفؤادِ وجُزءًا منه، تَتعَلَّقُ تِلكَ المُضغَةُ بِالنِّياطِ[3]، وأوردَ بيتًا من الشِّعر على ذلك:

ما سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِهِ والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإنْسان أَطْوارا[4].

وإذَا مَا نَظرنَا فِي تَراتبِ الحُروفِ وانْسلاخِها عَن الكَلمةِ مُفردَةً، فإنَّ "القافَ واللَّامَ والباءَ أصلانِ صَحيحانِ: أحدهُمَا يَدلُّ على خالِص شَيءٍ وشَرِيفِه، والآخَرُ على رَدِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة. فالأوَّل؛ القَلْبُ: قلب الإنسان وغيره، سُمِّي لأنَّه أَخْلصُ شيءٍ فيه وأرفَعُهُ. وخالِصُ كلِّ شيءٍ

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قَلَبَ)، ٦٨٧/١. والآية من سورة الشعراء، ١٩٣.

[2] **الفروق اللغوية**، ١٦١.

[3] النِّياط: عرقٌ عُلِّق به القلبُ من الوتين، الجوهري، الصحاح، مادة (نوط) .

[4] ينظر: **العين**، ٤٢١/٣، مادة (قلب). والبيت في التهذيب واللسان بلا نسبة .

وأشرفُه قَلْبُه[1]". ولستُ في مَعرِض التَّشكيك بابن فارسٍ في مقاييسه اللغوية، بل أُضَعِّفُ اعتمادَهُ التصاقَ الحُروفِ بَعضِها بِبعضٍ، وَجَعْلَهُ كلَّ حرفٍ مُستقلاً لذاتِهِ يَدلُّ على معنىً مُختلفٍ في كلِّ حرفٍ، لكنَّه صَادقٌ تَمامَ الصِّدقِ في اسْتخلاصِ مَعنى القلبِ.

ب- العَقلُ والوعيُ والإدراكُ:

ومعناه في قول العلماء: هو الفؤادُ، والعقلُ المَحضُ، وصفوة الشيء، "وقال الفرَّاءُ: وجائزٌ في العربيَّةِ قولنا: ما لَكَ قَلْبٌ، وما قَلْبُك معك؛ تقول: ما عَقْلُكَ معكَ، وأَين ذَهَبَ قَلْبُك؟ وقال بعضهم: لمن كان له قَلْبٌ؛ أَي تَفَهُّمٌ وتَدَبُّرٌ. وَرُوي عن النبيِّﷺ، أَنَّه قال: (أتاكم أَهل اليَمن هُم أَرَقُّ قلوبًا وأَلْيَنُ أَفْئِدَةً)[2]. فوَصَفَ القلوبَ بالرِّقة والأَفْئِدَةَ باللِّينِ"[3].

ج- خَالصُ الأمرِ وصَفوتُهُ:

هو العقلُ المَحضُ، وخَالِصُ كُلِّ شيء والأمرُ المَحْضُ، ومنهُ قولهم: جِئتُ بهذا الأمرِ قلبًا أيْ محضًا لا تشوبُهُ شائِبَةٌ[4]، وهذا ما عدَّه ابن فارسٍ أيضًا: "سمِّي لأنَّه أَخْلصُ شيء فيه وأرفَعُه. وخالِصُ كلِّ شيءٍ وأشرفُه قَلْبُه"[5].، وبهِ قالَ الكفويُّ: "وقلبُ كلِّ شيءٍ خَالصُهُ"[6].

ثانيًا: تَقسيماتُ القلبِ

قالَ الجرجَانيُّ: "القلبُ مُصطَلَحٌ عَلى اللَّطيفةِ الربَّانيةِ بالقلبِ الجِسمانيِّ الصَّنوبريِّ الشَّكل المُودع من الصَّدرِ، وتلك اللَّطيفةُ هِي حَقيقةُ الإنسانِ"[7].

"وقيل: للقلب سبعُ طَبقاتٍ، الصَّدرُ: وهو محلُّ الإسلامِ ومحلُّ الوسواسِ، ثمَّ القلبُ: وهو محلُّ الإيمانِ، ثم الشّغافُ: وهو محلُّ محبَّةِ الخَلْقِ، ثمَّ الفؤادُ: وهوَ مَحلُّ رؤية الحقِّ، ثم حبَّةُ القلبِ: وهو

---

[1] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١٧/٥. مادة (قَلب) .

[2] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير،(د.ط)، بيروت (د.ت)، كتاب المغازي، (باب قدوم الأشعريين، وأهل اليمن)، ١٥٩٤/٤.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، ٦٨٧/١.

[4] يُنظر: **نفسه**، ٦٨٨/١.

[5] **مقاييس اللغة**، **١٧/٥**. مادة (قلب) .

[6] **الكليات**، ٧٠٣ .

[7] **التعريفات**، ٢٢٩ .

محلُّ محبَّةِ الحقِّ، ثمَّ السُّويداءُ: وهَيَ محلُّ العلومِ الدِّينيَّةِ، ومُهجَةُ القلبِ: وهيَ محلُّ تجلِّي الصِّفاتِ"[١].

ثالثًا: الفؤادُ والأفئِدةُ

والمُعوَّل على الفَهمِ، فإنَّهُ لا فَرق بين القلبِ والفؤادِ سواءً أكانَ القلبُ جُزءًا من الفؤادِ أم كانَ الفؤادُ جُزءًا من القلبِ، فالمعنَى عَلى الحَالتينِ قائمٌ لا مَحالة. "والفؤادُ؛ القلب، وقيل وسَطُهُ وقيل الفؤادُ غِشاءُ القلبِ، والقلبُ حبَّتُهُ وسُوَيْداؤُه"[٢].

"إنَّما يُقالُ للقلبِ: الفؤادُ، إذا اعتُبِرَ فيه معنى التَّفؤُّدِ، أي التَّوقُّد"[٣]، "وقيلَ: هُو غِشاءُ القلبِ"[٤] "وقيل: الفؤادُ وِعاءُ القلبِ، أو داخِلُهُ، أو غِشاؤهُ، والقلبُ حَبَّتُهُ، وقال الأزهريُّ : القلبُ مُضغةٌ في الفؤادِ مُعلَّقةٌ بالنِّياطِ"[٥].

يَبدُو أنَّ الفؤادَ جزءٌ من القلبِ أو غِشاءٌ لَه، ولَربَّما كَانَ المَشاعرَ الكامِنةَ في القلبِ مِن حُبٍّ وكُرْهٍ وحزنٍ وفرحٍ، ومشاعرِ سوءٍ وغضبٍ وغيرِها، ولكنَّهُ يظلُّ في الاستعمالِ أقلَّ مِن القلبِ.

"أمَّا إذا ذُكِرَ الفؤادُ فاقترانُهُ مع قوَّة الأذنِ السَّمعيَّةِ وقوَّةِ العينِ البصريَّةِ، وإنْ فسَّرَهَا الكثيرُ عَلى أنَّ المُرادَ الجَارحَةُ من السَّمع والبَصرِ، فالفؤادُ هو الجانبُ المُدركُ في القلبِ، وهوَ مَحلُّ الفَهْمِ والتَّفكُّرِ والرَّأي؛ لأنّهُ وُصِفَ بالتَّقلبِ؛ أي: الحَيرةِ والشَّكِّ وعَدم اليقينِ، والانتقالِ من فكرةٍ لأُخرى ومِنْ رأيٍ لمثلِهِ"[٦].

وَيرى بعضُ أهلِ التَّفسيرِ أنَّ مُخَّ الإدراكِ هُوَ الفُؤادُ، فمنهُ يَتجلَّى الفِكْرُ والإدراكُ، ويظهرُ الوعيُ من خِلالِهِ، ويُسألُ الفؤادُ: "هل كان ما فكَّرَهُ وقضى به يقينيًّا، لا شك فيه؟ وهي لا محالة تجيب بالحقِّ وتشهد على ما هو الواقع"[٧].

---

[١] الكفوي، **الكليات**، ٧٠٤ .

[٢] ابن منظور، **لسان العرب**، ٣٢٩/٣. مادة (فأد) .

[٣] الزبيدي، **تاج العروس**، ٤٧٦/٨. مادة (فأد) .

[٤] الكفوي، **الكليات**، ٦٩٦ .

[٥] الزبيدي، **تاج العروس**، ٤٧٧/٨. مادة (فأد) .

[٦] الشّبكة العنكبوتيَّة ، شبكة الألوكة ، http://www.alukah.net/sharia/٠/٨٧١٧/ عبد الكريم، بليل، **القلب في القرآن**، مقالة، ص٥. وقد اعتمدتُ تفصيلاتِ القلبِ ومعانيها من هذه المقالة، لتكون قاعدة لبدء التّمهيد في البحث .

[٧] الطباطبائي، **دليل الميزان**، ٩٣/١٣ .

رابعًا: الفَرقُ بَينَ القَلبِ والفُؤادِ

يَدحضُ ابن منظورٍ القولَ بأنَّ الفؤادَ أعمُّ شُمولًا من القلبِ، بلْ يجعلُ القلبَ أساسًا والفؤادَ شيئًا منهُ، "وكأَنَّ القَلْبَ أَخَصُّ من الفؤَاد في الاستعمال، ولذلك قالوا: أَصَبْتُ حَبَّةَ قلبِه، وسُوَيْداءَ قلبه وأَنشد بعضهم:

لَيْتَ الغُرابَ رَمى حَماطَةَ قَلْبِهِ عَمْرٌو بأَسْهُمِه التي لم تُلْغَبِ

وقيل: القُلُوبُ والأَفْئِدَةُ قريبانِ من السواءِ، وكَرَّرَ ذِكْرَهما، لاختلاف اللَّفظين تأْكيدًا. وقال بعضهم سُمِّي القَلْبُ قَلْبًا لتَقَلُّبِه؛ وأَنشَدَ:

ما سُمِّيَ القَلبُ إلَّا مِن تَقَلُّبِهِ والرَّأيُ يَصْرِفُ بالإنسانِ أَطوارًا

وروي عن النبيﷺ أَنَّه قال: سُبْحانَ مُقَلِّب القُلُوب! وقال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾. قال الأَزهري: ورأَيتُ بعضَ العرب يُسَمِّي لحمةَ القَلْبِ كُلَّها، شَحْمَها وحِجابَها: قَلْبًا وفُؤَادًا، قال: ولم أَرَهُم يَفْرِقُونَ بينهما؛ قال: ولا أُنْكِر أَن يكون القَلْبُ هي العَلَقةُ السوداءُ في جوفه"[1].

خامسًا: معاني القَلْبِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

لَقدْ نَزَلَ القُرآنُ الكَرِيْمُ مُخَاطِبًا قُلوبَ العَرَبِ، دَاعِيًا إِيَّاهُمْ لِلتَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ، سَائِدًا فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمانٍ سَابِقًا وَلَاحِقًا، فَجَسَّدَ العَواطِفَ وَالأَحَاسِيسَ وَالفِكَر، وَوَضَّحَ ذَلِكَ الأَثَرَ فِي القَلْبِ غَيْرَ مَرَّةٍ فَاللهُ تَعَالَى قَدْ خَصَّ القَلْبَ عَنْ غَيْرِهِ مِن الأَعْضَاءِ بِخَصِيصَةِ التَّفَكُّرِ وَالتَّعَقُّلِ والتَّدبُّر فَجَعلَ القُلوبَ مَحلَّ المَشَّاعِرِ والمَآثِرِ، إِذْ لَيْسَ يَخْلُو مَنْطِقُ قَلبِ أَحَدٍ مِنْهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيا، وأَمَّا لَفْظةُ القَلبِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ فَحَمَّالَةٌ لِمَعانٍ كَثيرةٍ ووُجوهٍ عَديْدةٍ فِي سِياقَاتٍ مُتعَدِّدَةٍ.

وَقَدْ وَرَدَتْ مَلافِظُ (قَلْب وقُلوب) مَعرِفَةً ونَكِرةً ومُتَّصِلَةً وَمُفْرَدَةً فِي القُرآنِ الكَرِيمِ بِحُدودِ مَائةٍ وسِتٍ وسِتينَ مَرَّةً بِوجُوهٍ مُخْتَلِفةٍ لا يتَّسعُ مَجالُ الدِّراسَةِ إِلَّا لِتَفصِيلِ أَمْثلةٍ مُخْتارَةٍ مِنْها وَاسْتعراضِ اخْتِلافَاتِهَا، وَلَا عَجَبَ أَنْ تَرِدَ لفْظَةُ (القلب) وحيدةً في كِتَابِ اللهِ الكَرِيمِ عِنْدَ خِطَابِ مُحَمَّدٍ النّبِيِّ الأَكْرَمِ ﷺ لِتَبِينَ عن قَلْبٍ لَيْسَ كَمِثْلِهِ قَلْبٌ.

---

[1] **لسان العرب**، ٦٨٧/١. مادة (قَلَبَ). والآية من سورة الأنعام، ١١٠ .

أ- القَلبُ العَاقِلُ والقلبُ الغافلُ:

ليسَ أَدَلَّ عَلَى وَسْمِ القَلبِ بالإدْرَاكِ مِنْ جَعْلِهِ وَصِيفًا بِالعَقلِ، مُدْرِكًا كإدراكِهِ، وَقدْ تَنحَرِفُ الكَلمَةُ فِي دِلالتِها اللُّغويَّةِ مَجازًا لِتُشكِّلَ مَعنىً آخرَ يُوقِعُ الفَهْمَ مُغايِرًا عَمَّا سبَقَ إدْرَاكُهُ قَبْلًا. إنَّ المَجازَ ظَاهرةٌ فَرَضتهَا حَركةُ التَّطوُّرِ اللُّغويِّ للألفاظِ، إذْ إنَّهُ ينقلُ الأَلْفاظَ مِن المَعانِي القَديمةِ إلى المَعانِي الجَديدةِ[1]. ويظْهَرُ ذَلِكَ فِي قَولِهِ جَلَّ جَلالُهُ:﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[2]، "وَلَيْسَ المَعْنى أَنَّهم لا يَسمعونَ ولا يَفْقهونَ، وَلكَنْ لَمَّا كَانُوا لا يَنْتفِعونَ بِمَا يَسمعونَ، وَلا يَنقادونَ إِلى الحَقِّ كَانُوا بِمنْزلةِ مَنْ لا يَسْمعُ وَلا يَفْهمُ"[3].

وَنَجِدُ القَلبُ الوَاعِي فِي قَولِهِ تَعَالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[4]، إذ إنَّ الآيةَ تُوضِّحُ لَنَا مَنْهَجًا قَويمًا مِن الفِكْرِ السَّليمِ الذي لا يَنْمازُ بِهِ إلا بَنو البَشرِ بَلْ ويُستَثنى مِنهُ المُعوَّقُونَ عَقْلًا.

ولعلَّ الجرْجَاني قَدْ رَأى فِي هَذهِ الآيةِ أنَّ القَلبَ هُوَ العَقْلُ، فَحَمَلَ المَعنَى ضِمنًا عَلى العَقْلِ وَلَفظًا عَلَى القَلبِ، وَقَدْ نَحَى الجرجَانِيُّ مَنحىً آخَرَ، فقال: "إنّهُ حِينَ لَمْ يَنتفِعْ بِقلبِهِ، وَلَمْ يَفْهمْ بَعدَ أَنْ كَانَ الفَهْمُ لِلقَلْبِ، جُعلَ كَأنَّه قَد عُدِم القَلب جُملةً وخُلعَ مِن صَدرِهِ خَلْعًا، كَما جُعلَ الذي لا يَعي الحِكمةَ ولا يُعمِل الفِكْرَ فِيمَا تُدرِكُهُ عَينُهُ، وَتَسمعهُ أُذُنهُ، كَأنّهُ عَادِمٌ لِلسَّمْعِ وَالبَصرِ، وَداخِلٌ فِي العَمَى والصَّمَمِ"[5].

أمَّا الزَّمَخْشَرِيُّ فِي كَشَّافِهِ فَقَدْ عَلَّقَ عَلى هَذهِ الآيةِ "﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾، أيْ: قَلبٌ وَاعٍ لِأنَّ مَنْ لا يَعِي قَلبهُ فَكأنَّهُ لا قَلبَ لَهُ. وَإلقَاءُ السَّمْعِ: الإصْغَاءُ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، أيْ: حَاضِرٌ بِفطْنتِهِ، لأنَّ مَنْ لا يَحْضُرُ ذِهْنُهُ فَكأنَّهُ غَائِبٌ"[6].

---

[1] ينظر: رولون س، ولز، **علم اللغة**، ٢٨٨ .

[2] الأنعام، ٢٥ .

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٣٤٤/٨ . النَّحاس، **معاني القرآن**، ٤١٠/٢ .

[4] ق، ٣٧ .

[5] **أسرار البلاغة**، ٣٦٣ .

[6] **الكشاف**، ١٠٤٨/٢٦ .

وفِي آيةٍ أُخْرى نَجِدُ أَنَّ اللهَ تعالى قَدْ جَعَلَ وَصْفًا آخَرَ مُتقنًا لِلقُلوبِ، فَقسَّم القُلوبَ وَفْقَ انقِيادِهَا وعَواطِفِهَا وَفِكْرِهَا، فَقالَ تَعالَى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1]، وَقَدْ خصَّ اللهُ تَعالَى القَلْبَ فِي هَذهِ الآيةِ بِخَصيصةِ العَقْلِ، "وَقَدْ يُطلقُ القَلبُ مَجازًا عَلى العَينِ نحو:﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

فَالحَقُّ تَباركَ وَتَعَالَى جَعَلَ القَلْبَ يَرى الحَقَّ فَكَأَنَّ لَهُ عَيْنًا تُبصِرُ وَتَرى."وَمعنَى﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾: أَنَّهُم بِسببِ مَا شَاهَدوا مِن العِبَرِ تَكُونُ لَهُم قُلوبٌ يَعْقِلونَ بِهَا مَا يَجِبُ أَنْ يَتعقَّلوه، وَأُسندَ التَعقُّلُ إلى القُلوبِ لأَنَّها مَحَلُّ العَقلِ. كَما أنَّ الآذانَ مَحلُّ السَّمْعِ. وَقيلَ: إنَّ العَقلَ مَحَلُّهُ الدِّماغُ، وَلا مَانِعَ مِن ذَلِكَ، فَإنَّ القَلبَ هُو الذي يَبعَثُ عَلَى إدرَاكِ العَقْلِ وَإنْ كَانَ مَحلُّهُ خَارِجًا عَنْه"[3]. بَلْ إنَّهُ جَعَلهُ العَقلَ وَمَحلَّ التَّفْكيرِ، وَجَعلَ لِمعَانِي القَلبِ تَضَادًّا، فأضَّدادُ القُلوبِ كَثيرةٌ وَمُتنَاقِضَاتُهَا وَفيرَةٌ، إِذْ إنَّ القَلْبَ فِي الآيةِ السَّابِقَةِ عَاقِلٌ وغَافِلٌ وَمُبصِرٌ وَأعْمى.

وَشَبيهُ قَولُهُ عَزَّ وجَلَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[4]،"وَجعَل القُفْلَ مَثَلًا لِكلِّ مَا للإنسانِ مِن تَعاطِي فِعلِ الطَّاعَةِ، فَإنْ قُلتَ إذَا كَان اللهُ تَعالَى قَدْ أَصمَّهم وَأَعْمَى أَبصَارَهُم وَأَقْفَلَ عَلَى قُلوبِهِم، وَهُو بِمَعنى الخَتْمِ، فَكَيفَ يُمكنُهُم تَدبُّرُ القُرآنِ مَع هَذهِ المَوانِعِ الشَّديدَةِ"[5].

فَالقَلبُ يَتدبَّرُ وَيَتَفكَّرُ، وَهَذهِ صِفَةٌ يَنمازُ بِهَا العَقْلُ عَنْ سَائرِ الأَعْضَاءِ، وَلَكِنْ أَنَّى للقلبِ التَّدبُّر والتَّفكُّر إنْ رَفَضَ ذَلكَ عُنوةً مِنهُ وَصَدًّا وجَهْلًا وكِبْرًا، فاسْتعملَ القرآنُ لفظَ الأقفالِ لِتبيِّنَ الصُّدودَ المُتحَصِّلَ مِن تِلكَ العُقولِ المُنكِرةِ. فَجعلَ الأقْفالَ مُضافةً للقُلوبِ لِلدَّلالَةِ عَلى أَنَّهَا أَقفَالٌ مَخْصوصَةٌ مُناسِبَةٌ لَهَا، غَيرُ مُجَانِسةٍ لِسائرِ الأَقفَالِ المَعروفَةِ[6].

---

[1] الحج، ٤٦ .

[2] الكَفوي، **الكُلِّيَّات**، ٧٠٣. والآية من سورة الحج، ٤٦ .

[3] الشَوكاني، **فتح القدير**، ٦٢٦/٣. والآية من سورة الحج، ٤٦ .

[4] محمد، ٢٤ .

[5] الخازن، **تفسير الخازن ومعه تفسير البغوي**، ٤٧٠/٥ .

[6] ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ٧٤/٢٦ .

ب- القَلبُ المُتكَبِّرُ:

إنَّ اللهَ لَمْ يكره شيئًا قدْرَ ما كَرِهَ الكِبْرَ والاستعلاءَ، فَهِي صِفتهُ جَلَّ جَلالُهُ، فَكيفَ لِنفسٍ أَنْ تُنافِسَ اللهَ عَلى هَذهِ الخَصيصَةِ التي ارْتبطَتْ بِاسمٍ مِن أَسمائِهِ؟ والآيةُ في قَولهِ تعالى تَشرَحُ لَنا كَيفَ يَكونُ التَّكبُّرُ مِن فِعلِ القَلبِ، قال تَعالَى:﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾[1].

فالقلبُ المُتكبِّرُ لا يُدرِكُ التَّكبُّرَ إلّا عَن وَعْيٍ وإدراكٍ وَقَصْدٍ مِنْهُ، "عَلى أَنَّ قَولَهُ مُتكَبِّرٌ جَبَّارٌ مِن صِفةِ ذِي القَلبِ، وَإِنْ كَانَ القَلبُ نَفسُهُ قَدْ يُوصَفُ بِذلِكَ، وَنَحْو هَذَا قَولُهمْ: فلانٌ سَليمُ القَلبِ وقَلبُ فُلانٍ سَليمٌ، فَيُجرِي الصِّفةَ على اللَّفظِ تَارةً؛ أَيْ عَلى القَلبِ، إذا كَانتِ السَّلامةُ والتّكبُّرُ والجَبريَّةُ فِيهِ"[2].

وخرَّجَ القُرْطُبِيُّ الآية لِقراءةٍ شاذَّةٍ "وَقرأَ أبو عَمرٍو وابنُ مُحيصن وابنُ ذَكوانَ عَن أَهْلِ الشَّام (قلبٍ) منّون؛ عَلى أنَّ (مُتكبِّرٌ) نَعْتٌ لِلقلبِ، فَكَنَّى بِالقلبِ عَن الجُملة، لأنَّ القَلبَ هُو الذي يَتكبَّر وَسائِرُ الأعضاءِ تَبَعٌ لَهُ، وَيدلُّ عَلى هَذا قَولُ النَّبيِّ ﷺ: (ألا وإنَّ فِي الجَسدِ مُضْغَةً[3]: إذَا صَلَحتْ صَلَحَ الجَسدُ كُلُّهُ، وإذَا فسَدتْ فَسَدَ الجَسدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ)[4]، وَيجوزُ أنْ يَكونَ عَلى حَذفِ المُضَافِ؛ أيْ عَلَى كُلِّ ذِي قَلبٍ مُتكبِّرٍ؛ تَجعلُ الصِّفة لِصاحِبِ القَلبِ"[5].

وفي آية أخرى نجد التَّكبُّر واضحًا فاضحًا جليًّا في قُلوبِ المُنكرينَ لِلوَحدانِيَّة، فِي قَولِ اللهِ تَعَالى:﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾[6] "أيْ أَنَّ قُلوبَهمْ مُنكرةٌ لِلوحدانِيَّةِ لا يُؤثِّر فِيها وَعظٌ ولا يَنجعُ فِيها تَذكيرٌ، (وَهمْ مُستكبرونَ) عَن قُبولِ الحَقِّ مُتَعظِّمونَ عَن الإذعانِ لِلصَّوابِ، مُستمرُّون عَلى الجَحدِ"[7].

---

[1] غافر، ٣٥ .

[2] المعافى بن زكريا، **الجليس الصالح**، ٣٨٧/٢ .

[3] المضغة: قطعة لحم، وقلب الإنسان مُضْغةٌ من جسده، **الجوهري**، الصّحاح، مادة (مَضَغ) .

[4] البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير،(د.ط)، بيروت(د.ت) كتاب الإيمان، (باب من استبرأ لدينه)، ٢٩/١ .

[5] **الجامع لأحكام القرآن**، ٣٥٧/١٨-٣٥٨ .

[6] النحل، ٢٢ .

[7] الشوكاني، **فتح القدير**، ٢١٦/٣ .

ج- القَلبُ السَّليمُ الخَاشِعُ:

وتُقابِلُ الكِبْرَ سَلامةٌ في القلبِ والنَّفسِ نَجِدُهُ في قوله تعالى:﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1] وقولِهِ:﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾[2]. فَالقلبُ السَّليم مُنقادٌ بِطبيعتِهِ وأَهوائِهِ إلى اللهِ تَعالى، سَليمٌ من الشِّركِ والكَبائرِ والاغترارِ، مُتكبِّرٌ عَنها، وَبِالحديثِ عن القلبِ السَّليمِ فِي القرآنِ، فَإنَّنا نَجِدُ كَثرةً كاثِرةً من مَعانيهِ، وَكُلُّ تِلكمُ التَّفاسيرِ تَحملُ مَعنى الوَحدانيَّةِ وَالإيمانِ المُطلق الرَّاسِخِ في الآيةِ، "إذ جَاء إبراهيمُ ربَّهُ بقلبٍ سليمٍ من الشِّركِ مُخلصٍ لهُ في التَّوحيد"[3].

وأمَّا القلبُ الخَاشعُ فَمذعنٌ لله، لا يَزالُ مُتَّصِلًا بِنورِهِ، سَريعَ الاستجابةِ، لِقولِ اللهِ عزّ وجلَّ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[4]. فَالخشوعُ رقَّةٌ فِي القَلبِ وَخضوعٌ تَامٌّ حَاصِلٌ فِي القلبِ السَّليمِ الذي لا تَشوبُهُ شَائِبةٌ مِن شِركٍ أوْ كُفرٍ أو مَا شَابَه "أمَا حَانَ للذين آمنوا أنْ تَخشَعَ قُلوبُهم؛ أيْ تَرقَّ وَتَلينَ وَتَخْضَعَ قلوبهُم لِذكرِ اللهِ"[5].

د- القَلبُ الخائفُ:

وَفِي تَنزيلِ العَزيزِ ثَلاثُ آياتٍ قُرآنيَّة تَتحدَّثُ عَن الرُّعبِ والخَوفِ الذي ألقاهُ اللهُ في قُلوبِ الكافرينَ، فيقولُ الحقُّ:﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[6]، وقوله تعالى:﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾[7] وقوله تعالى:﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[8]، وَفِي الآياتِ الثَّلاثِ نَلحَظُ أنَّ اللهَ قدْ أنزلَ الخوفَ بلِ الرُّعبَ لِيجعلَهُ فِي قُلوبِ المُجرمينَ، فالرُّعبُ والخوفُ مَنبعُهما القلبُ، وَلذلكَ ألقاهُ اللهُ فِي قُلوبِ الكافرينَ.

---

[1] الشعراء، ٨٩ .

[2] الصافات، ٨٤ .

[3] الطبري، **جامع البيان**، ٣١٢/٦ .

[4] الحديد، ١٦ .

[5] الخازن، **تفسير الخازن ومعه تفسير البغوي** ، ١٢١/٦ .

[6] الأنفال، ١٢ .

[7] الأحزاب، ٢٦ .

[8] آل عمران، ١٥١ .

وَيظهرُ الخِطابُ في الآيةِ الأخيرَةِ مُوجَهًا للمُشركينَ مِمَّنْ حارَبَ اللهَ ورَسولَهُ، "فاللهُ قَد مَلأَ قُلوبَهُم بالرُّعبِ والخَوفِ والفَزَعِ، والإلقَاءُ يُستعملُ حقيقةً في الأجسام، ويُستعمَلُ مَجَازًا في غَيرِها من الأُمورِ[1].

هـ- القَلبُ الشُّجاعُ المُطمئِنُّ:

فَكَما أَنَّ الرُّعبَ والتَّزَعزُعَ وَاضِحانِ فِي قُلوبِ المُشركينَ، فَالطّمأنِينةُ وَالشَّجاعةُ جَليَّةٌ فِي قُلوبِ المُوحِّدين، وإنَّ الشَّجاعةَ والطّمأنينة والثَّبات مَصدرُها القَلبُ، فَحَسْبُها مِن آيةٍ تَكفينا مُؤنَةَ الاطْمئنانِ والهُدوِّ في قَولِهِ تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[2].

فأيّةُ سَكينةِ نَفْسٍ نَرجُوهَا بَعدَ سَكينةٍ قَدْ وَضَعَهَا اللهُ فِي قُلوبِ عِبادِهِ الذَّاكرينَ، ويُؤكِّد اللهُ جلَّ سُلطانهُ حَتميَّة الطّمأنينةِ للمؤمنِ أيَّما زَمانٍ ومكانٍ وَحربٍ وإذْعانٍ في قوله:﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾[3] "أي: السُّكون والطّمأنينةُ بِما يَسَّره لهم منْ الفَتحِ؛ لِئلَّا تنزعجَ نُفوسُهم لِما يَرِد عَليهم ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ أيْ: لِيزدَادُوا بِسببِ تِلكَ السَّكينةِ إيْمانًا مُنضَمًّا إلى إيمانِهم الحَاصِلِ لهم من قبل. قالَ الكلبيُّ: كُلَّما نزلتْ آيةٌ مِن السَّماءِ، فَصدَّقوا بِها ازدَادوا تَصديقًا إلى تَصديقِهِم، وقَالَ الرَّبيع بن أنسٍ: خَشية مع خَشيتهم"[4].

و- القلبُ الفَاجرُ القَاسي:

وَحِينَ ذَكر اللهُ تَعالى قَسوةَ القلوبِ خَصَّ الكُفَّارَ الفُّجَارَ بِها، "فالقافُ والسينُ والحَرفُ المُعتلُّ يَدلُّ على شِدَّةٍ وصَلابةٍ. وَمنْ ذلكَ الحَجرُ القَاسي، وَالقسوةُ غِلظُ القلبِ، وَهِي مِنْ قَسوةِ الحَجَرِ"[5]. ويَتضِحُ ذلكَ في الآيةِ:﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾[6]. إنَّ تلكَ القَسوةِ نَابعةٌ مِن شِدَّة الكُفْرِ والكِبْر فِي قُلوبِ بَني إسرائيلَ؛ فَقلوبُهم أَقْسى مِن الحِجَارةِ الجَامِدةِ، وَذلكَ لِبشاعةِ أَعمالِهم، وَخلوِّ قُلوبِهِمْ مِن الرَّحمةِ والرَّأفَةِ.

---

[1] ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ٦٣٣/١ .

[2] الرعد، ٢٨ .

[3] الفتح، ٤ .

[4] الشوكاني، **فتح القدير**، ٦٠/٥ .

[5] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٨٧/٥، مادة (قسى) .

[6] البقرة، ٧٤ .

وَنلحَظُ قسوةَ القلبِ أيضًا فِي قَولِهِ تَعَالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[1]، فَلمَّا قَستْ قُلوبهم وأُخرجَ مِنْهَا الحَقُّ صَارتْ عُلماءُ بَنِي إسرائيلَ تُحرِّفُ كِتابَ اللهِ إليهِمْ، وتَدسُّ فيهِ مِمّا تَرتضيهِ أَهواؤُهمْ وقُلوبُهمْ. "وَجعلنَا قُلوبَهم قَاسيةً أيْ صَلبةً لا تَعي خَيْرًا ولا تَغفلُه"[2].

وَقدْ وصفَ اللهُ سبحانهُ وتَعالى قُلوبَ الكافرينَ المُستكبرينَ مِن بَني إسرائيلَ بِأَنَّها مُغَطَّاةٌ مُغَلَّفةٌ مِن شِدَّة الكُفْرِ والقَسوةِ وَالكِبْر عَن الإذعان لِلحقِّ، والخِطابُ عَلى لِسانِهمْ، وَخَارجٌ من أَفْواهِهِمْ، قال تعالى:﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[3]. "وغُلْفٌ: جَمعُ أغْلفٍ وهُو الذي عَليهِ غِشاوةٌ، فَلا تَسمعُ وَلَا تَفقَهُ مَا يَقول"[4].

ز- القَلبُ الرَّحيمُ:

لمْ يُغفِلِ القرآنُ دَورَ القلبِ فِي رِقَّتِهِ وَعَطْفِهِ وجعلَ الرَّحمةَ صفةً منْ صِفاتهِ واسمًا مِن أَسمائِهِ وَخَصَّ بِها سيِّدَ الخَلْقِ مُحمدًا ﷺ مُخاطِبًا جَمْعَ المُؤمنينَ المُوقِنينَ، قال تعالى:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[5].

وفِي قَولِهِ الكَريم أيضًا مُخاطبًا صَفيَّهُ، وَاصِفًا إياه بالرَّحمةِ:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[6].

فحَاشَا وَكلَّا أنْ يَكونَ مُحمَّدٌ - صَلواتُ رَبِّي وسَلامُهُ عليهِ- مُتَّصِفًا قلبُهُ بذرَّة مِن غِلظَةٍ أوْ قَسوةٍ، وأَعنِي القَلبَ السَّليمَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ وَمَعصِيةٍ وفَظَاظةٍ، "الفَظُّ: الغَليظُ الجَافِي. وقَالَ الرَّاغبُ الفظُّ هُو: الكريهُ الخُلُقِ، وأَصْلُهُ فَظِظٌ كَحَذِرٍ. وغِلظُ القَلبِ: قَساوَتُهُ، وقِلَّةُ إشفَاقِهِ، وعَدمُ انفعالهِ للخيرِ

---

[1] المائدة، ١٣ .

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، ٣٢/٢ .

[3] البقرة، ٨٨ .

[4] الخازن، **تفسير الخازن ومعه تفسير البغوي** ، ١٠٨/١ .

[5] التوبة، ١٢٨ .

[6] آل عمران، ١٥٩ .

والانفِضاضُ: التَّفرُّق، يُقالُ: فَضَضتَهمْ، فانْفَضُّوا، أيْ: فرّقتهم، فتفرّقوا والمَعنى: لوْ كُنتَ فظًّا غَليظَ القلبِ لا تَرْفِق بِهم لَتفرَّقوا مَن حَولكَ هَيبَةً لكَ واحتشامًا مِنكَ بِسببِ مَا كان من تَولِيهم"[1].

والرَّأفَةُ مِن نَظيرِ الرَّحمةِ والعَطفِ، فَكلُّها مُترادفاتٌ لِمعنى وَاحدٍ، قَال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً﴾[2]، "رأفة ورحمة يعني أنهم كانوا مُتَوادِّينَ بعضهم لِبعض"[3].

سادسًا: معاني القلبِ في الحديثِ الشَّريفِ

ومنْ مأثورِ القولِ وبديعهِ وجُملةِ مُختارهِ وَمنتَهى وَديعِهِ حديثُ محمَّد ﷺ، فقدْ كانَ للقلبِ مِنها الحَظُّ الوفيرُ، والمَبلغُ الأثيرُ، لأنَّه منبعُ الإيمانِ والهِدايةِ فِي كُلِّ حَالٍ وزَمانٍ.

أ- صَلاحُ القلبِ أو فَسادُهُ:

ويَظهرُ ذلكَ الأثرُ فِي قولهﷺ :(أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ)[4].

"والمُضْغَةُ: قِطْعةُ لحمٍ بقَدْرَ ما يُمْضَغُ في الفم"[5]. وتلكَ المُضغَةُ تُصلِحُ الجَسدَ بِصلاحِها أو تُفسده بِفَسادِهَا.

ب- القلب الخاشع:

وفي مَعرِض الدُّعاء؛ يَستعيذ مُحَمّدٌ ﷺ من القلبِ الغافلِ الذي لا يخشع، قالَ ﷺ: "اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ قَلبٍ لا يَخْشعُ"[6]، فالخُشوعُ محلُّه القلبُ وجوهرهُ البصيرةُ واللُّبُّ، لأنَّه مّحلُّ الإحساسِ وكَمْن العطْفِ والإخلاصِ. ولَنا في خشوع النبيِّ ﷺ عِبرةٌ، فعن أيِّ خشوع نتحدث؟! والأنبياءُ

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، ٦٤٠/١ .

[2] الحديد، ٢٧ .

[3] الخازن، **تفسير الخازن ومعه تفسير البغوي**، ١٢٦/٦ .

[4] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير،(د.ط)، بيروت(د.ت)، كتاب بدء الوحي (باب فضل من استبرأ لدينه)، ٢٩/١. أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، (باب أخذ الحلال وترك الشبهات)، ١٥٩٩ .

[5] البخاري، **صحيح البخاري، هامش التحقيق**، ٢٩ .

[6] الذهبي، **ميزان الاعتدال**، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، ٢٠٨/٣ .

أصفياءُ اللهِ وأخيارهُ، ومنْ اختصَّهم لِصفوتِهِ عن سَائرِ عِبادهِ، فَقلوبُهم خَاشِعةٌ لا تَنام، كَما أخبرنَا الرَّسولُ الأكرمُ ﷺ.

ج- قَسوةُ القلبِ ورِقَّتُها:

"القسوةُ تُستعمل فِيما لا يَقبل العِلاجَ، ولِهذَا يُوصفُ بِها القلبُ، وإنْ لم يكن صُلبًا"[1]، وقد روى عمرٌو بن مَسعودٍ للنبيِّ ﷺ حَديثًا فِي إشَارتهِ لِلقَسوةِ، قالَ: "أشارَ رسول الله ﷺ بِيدِهِ نحوَ اليَمنِ فقالَ:(الإيمانُ يَمانٍ هَا هُنا، أَلا إنَّ القَسوةَ وغِلَظَ القلوبِ في الفدَّادِينَ[2]، عندَ أُصولِ أذْنابِ الإبلِ حَيثُ يَطلُعُ قرنا الشَّيطانِ، في رَبيعةَ ومُضَرَ)"[3].

وفِي حديثٍ آخرَ منْ أحاديثِ النبيِّ ﷺ عن القَسوةِ داءً والرِّقةِ للقلوب دواءً، حادِثَةٌ تمثّلتْ برجلٍ جاء النَّبِيَّ مُجتهدًا سائِلًا حتَّى يقي نفسهُ من قسوةٍ وَقَعتْ في القلبِ، فكانَ جوابهُ ﷺ أجملَ من سؤالِ الرجلِ: أنْ أطعمِ المُحتاجَ الفقيرَ، واعطفْ على اليتيم يَرقُّ قلبكَ، كما يُظْهِرُهُ الحديث في قوله ﷺ "عن أبي الدَّرداء ﷺ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ يَشكو قسوةَ قلبِهِ. قال: (أَتحِبُّ أن يلينَ قلبُكَ وتُدرِكَ حاجَتَك؟ ارحمْ اليتيمَ وامْسَحْ رأسَهُ وأطعمهُ من طعامك، يلِنْ قلبُكَ وتدرِكْ حاجَتَك)"[4].

وتقابلُ قَسوةَ القلبِ رِقَّةٌ لم نعهدَها إلَّا لِخالصِ المؤمنينَ، فكيفَ إذا كانت في صِدِّيق رسول اللهِ ﷺ وصَديقِهِ، وأول مناصريه؟ حين جعله الرَّسولُ الأكرمُ – وقتَ مرضهِ الأخيرِ- إمامًا يصلِّي في النَّاسِ، فأمرَ عائشةَ أنْ تُخبر أباها بذَلِكَ: "مَرِضَ رسول الله ﷺ فاشتدَّ مَرضُهُ. فقال: (مُروا أَبا بَكرٍ فليصلِ بالناس)، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: (يا رسول اللهِ إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، متى يقم مقَامكَ لا يستطيع أن يصلي بالنّاس)"[5].

---

[1] العسكري، **الفروق اللغوية**، ١٠٩ .

[2] هي البقر التي يحرث بها، وأهلها أهل جفاء وغلظة، لسان العرب، مادة (فدد) .

[3] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير،(د.ط)، بيروت (د.ت)، كتاب بدء الخلق (باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال)، ١٢٠٢/٣ .

[4] المنذري، **الترغيب والترهيب**، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٤هـ، باب (في الترغيب في كفالة اليتيم ورحمته والنفقة عليه والسعي على الأرملة والمسكين)، ٩٦٢/٢ .

[5] مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار طيبة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، كتاب الصلاة (باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر)، ١٩٩/١ .

د- القلبُ التَّقيُّ والقلبُ الشَّقيُّ:

وفي حديثٍ قدُسيٍّ يخاطب فيهِ اللهُ عزَّ وجلَّ عِباده: (يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ما زَادَ ذلك في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلك من مُلْكِي شيئًا)[1]، فقدْ نسبَ اللهُ تَعالى التَّقوى والفجورَ إلى القلوبِ لأنَّها مَكانُها، فالقلبُ حَمّالٌ للتقوى أو للفجورِ، لأنَّهُ المُضْغةُ التي يَكونُ بِها صَلاح الجَسدِ أو فَسادُهُ.

سابعًا: الفُؤادُ فِي القرآنِ الكريمِ وَاختلافُهُ بين القلبِ والعقلِ

يَأتِي ذِكْر الفُؤادِ فِي القرآنِ مَقرونًا بِذكرِ القلبِ والعَقلِ، رَديفًا لِكلتا اللَّفظتينِ، فمَعناهَا مَقرونٌ بِسياقَاتِها القُرآنِيَّةِ، لكنَّ بَعض العُلماءِ قَدْ عَدَّ الْفؤادَ القلبَ الخَالصَ ولا علاقةَ لهُ بِالعقلِ، ولمْ ترِدْ لفظَةُ الفُؤادِ إلا خَمسَ مَرَّاتٍ فِي القرآنِ الكريمِ.

ومنْ أَمثلةِ حَمْلِ المَعنَى مِنها على العَقْلِ، قَولُ اللهِ جَلَّ فِي عُلاه:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[2]. وفي قوله:﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ إشارةٌ واضِحةٌ عَلى أنَّ العُلومَ مُستفادةٌ مِن الحواسِّ والعقولِ، وقد رتَّبها القرآن بالسَّمع فَالبصرِ فالفؤادِ وذكر ابن عطيَّة أنَّه يَختصُّ بِالعاقل، فقال: وعبَّر عنْ (السَّمع والبصرِ والفؤادِ) بِأولئكَ؛ لأنَّها حَواسُّ لَها إدراكٌ، وجَعلها في هذهِ الآيةِ مَسؤولةً، فَهيَ حالةُ مَن يعقلُ[3]. فَقد حَمل الأندلسيُّ مَعنى الفؤادِ في هذهِ الآيةِ على العقلِ ووافقهُ الطَّبري والقُرطبيُّ وغَيرهُم مِن المُفسِّرين، وجَعلوهُ مَحلَّ الإدراكِ ومَسؤولًا عَن الحَواسِّ.

أمَّا حَمْلُ مَعنى الفؤادِ عَلى أنَّهُ القلبُ، فيحدِّده سِياقُ النَّص والفَهمُ العامُّ لِمضمونهِ، إذْ نجدُ في افتراقِ النَّبيِّ موسى الرَّضيعِ عليه السلام عن أُمِّه فؤادًا يَكادُ يَنفطرُ، ويَخلو مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن التَّفكيرِ فِي موسى عليه السلام، قَال تَعالى:﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾[4]؛ أيْ أنَّ قَلبَها

---

[1] مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار طيبة، الطبعة الأولى، الرياض،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، كتاب البر والصلة (باب تحريم الظلم)، ١١٩٩/٢ .

[2] الإسراء، ٣٦ .

[3] ينظر: التوحيدي، **تفسير البحر المحيط**، ٣٣/٦ .

[4] القصص، ١٠ .

صَارَ فارغًا مِنْ أيِّ فِكرٍ فِي الدُّنيا إلَّا من التَّفكيرِ في وَلدِها كَيف فَعلتها وألقتْهُ، وَماذَا قدْ حَلَّ بِهِ؟ لَكنَّ بَعض المُفسِّرين ومِنهم الطَّبريُّ والقُرطُبيُّ وابن عَاشور وغَيرهُم قَدْ أَجْمعوا عَلى أنَّ فُؤادَ أمِّ موسى هُو عَقلُها. أمَّا الزَّمخشريُّ فأخذهُ عَلى الوَجهينِ: فأصبحتْ صِفرًا مِن العَقلِ، لأنَّ القلوبَ مَراكِزُ العُقولِ، ويَعنِي ذَلكَ أنَّ قلبَها بَطُلَ وَذَهَبَ، وَبقيتْ لا قَلبْ لَها مِن شِدَّةِ مَا رَأتْ مِن ضَياع ابنِها[1].

وَلا ريبَ أنَّ مَن حَملَ المَعنَى عَلى العَقلِ قَد استوحَى ذلكَ من النَّصِّ القُرآنيِّ التَّالِي للآيةِ السَّابِقَةِ، في قولِهِ تَعَالَى:﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[2] ،لأنَّ القلبَ قَد ذُكر صَراحةً، وقَد ثبَّتهُ اللهُ تَعالى بَعد طُولِ التَّفكيرِ الهَامِّ لِفؤادِها الذي كَادَ أنْ يَهلَكَ.

ونجدُ في موضعٍ آخرَ أنَّ الفؤادَ هو القلبُ، وأنَّ اختلافَ اللَّفظتينِ في المبنَى وائتلافَهُما فِي المَّعنى يَدلُّ على التَّرادفِ المُطْبِق بين كِلتيهما، وتُؤكِّد الآيةُ القرآنيَّة القولَ بأنَّ اللهَ تعالَى قدْ ثبَّتَ قلبَ مُحمَّدٍ ﷺ، مُخَاطبًا إيَّاهُ:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[3]، ومَعنَاهُ: "لنُصحِّحَ بهِ عزيمةَ قلبكَ ويقينَ نفسِكَ، ونُشجِّعكَ بهِ"[4]، "أي فَعلنا﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ﴾، نُقوي بِه قَلبكَ فَتَعيَه وتَحملَهُ؛ لأنّ الكتبَ المتقدِّمةَ أُنزلتْ على أنبياءَ يكتبونَ ويقرؤونَ، والقرآنُ أُنزلَ عَلى نَبيٍّ أمِّيٍّ، ولأنَّ من القرآنِ الناسخَ والمنسوخَ، ومنهُ مَا هُو جَوابٌ لمن سألَ، ففرَّقناهُ ليكون أوعَى للنبيِّ ﷺ، وأيَسرَ للعامِلِ بهِ؛ فكانَ كُلَّما نزلَ وحيٌ جديدٌ زادَهُ قوَّةَ قلبٍ"[5].

وفي مَعرِضِ الحديث عن الفؤاد أيضًا، فإنَّنا نَلحظُ خِطاب الله تَعالى لِنبيِّه الكريمِ صَلواتُ اللهِ وسَلامُه عليهِ، مُصدِّقًا لَهُ بِالذي رَأى، فشَاهد النَبيُّﷺ جِبريلَ على هَيْئَتِهِ الحَقيقيَّةِ ليلة عُرِجَ به إلى السَّماء، مِصداقًا لِقَوله تَعالى:﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[6]، "يعني: ما رآه ببصرهِ من صُورةِ جِبريل عليه السلام، أيْ مَا قالَ فُؤادهُ لِمَا رَآه لم أعْرفك، ولو قالَ ذلكَ لكانَ كَاذبًا لأنَّهُ عرفهُ، يعني أنَّه رَآهُ بعينِه

---

[1] ينظر: **الكشاف**، ٧٩٥/٢٠ .

[2] القصص، ١٠ .

[3] الفرقان، ٣٢ .

[4] الطبري، **جامع البيان**، ٤٦٩/٥ .

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٤٠٦/١٥ .

[6] النجم، ١١ .

وَعرفَهُ بِقلبِهِ"[1]، فالرُّؤيةُ بَصريَّةٌ حقيقيّةٌ، وليست تصوُّرًا عقليًا، بلْ إدراكٌ من القلبِ. "لمْ يكذبْ قلبُ مُحمَّدٍ ﷺ فيما رآهُ ليلةَ المِعراجِ، وذلكَ أنَّ اللهَ جعلَ بصرَهُ فِي فُؤادِهِ حتَّى رآه، وحَقَّقَ اللهُ تعالى تلكَ الرُّؤيةَ، وقال: إنَّها كانتْ رؤيةً حقيقيةً ولم تكن كذبًا"[2].

ثامنًا: الفُؤادُ في الحديثِ الشَّريف

أ- الفؤادُ السَّقيمُ:

وَقَدْ ذَكرتْ عَائشةُ رضي اللهُ عنْها عن النَّبيِّ ﷺ فِعلَهُ: (كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أخذ أهلَهُ الوَعَكُ، أمر بالحساءِ فصُنِعَ، ثم أمرهم فحسَوا منه، وكان يقول: إنه لَيرتُو فؤادَ الحزينِ، ويَسرو عن فؤادِ السَّقيمِ، كما تَسرو إحداكنّ الوَسَخَ بالماءِ عن وجهِها)[3]، ويَظهرُ من كلام الرَّسول الأكرمﷺ بأنَّ الفؤادَ هو القلبُ، ولذلكَ فإنَّ الحُزنَ مَكنونٌ فِيه، ظاهرٌ مِنهُ، وجاء في القاموس: "(إنه ليرتو فؤاد الحزين)، يعني يشدُّ قلبَهُ ويقويِّه، (ويسرو عن فؤاد السقيم)؛ فمَعناهُ يَكشِفُ الألمَعنْ قلبِهِ ويُزيلُهُ"[4].

ومِنْ مثيلِ ما تقدَّم ذكرُهُ من القولِ في حُزن الفؤادِ وسَقَمِهِ مَا رَوته عَائشةُ رَضي الله عنها للنبيِّ ﷺ في قولِها: "فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ التَّلبينةَ[5] تُجِمُّ[6] فؤادَ المَريضِ، وتذهبُ ببعض الحُزْنِ)"[7].

ب- الفؤادُ الحزينُ:

وَلعلَّ الحزن بفقد عزيزٍ من أعظمِ الأحزانِ التي تُصيبُ القلبَ، روى أبو هُرَيْرَةُ رضِيَ اللهُ عنهُ عن النَّبيِّ ﷺ حَديثًا، فقالَ: (مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاجْتَمَعَ النِّسَاءُ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ يَنْهَاهُنَّ وَيَطْرُدُهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: دَعْهُنَّ يَا عُمَرُ، فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةٌ، وَالْفُؤَادَ مُصَابٌ، وَالْعَهْدَ قَرِيبٌ)[8].

---

[1] الزمخشري، **الكشاف**، ١٠٥٩/٢٧ .

[2] الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، مجلد٢، جزء ١٠٣٩/٢٧ .

[3] المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الفكر (د.ط)، مصر(د.ت)، (باب ما جاء ما يُطعَمُ المريض)، ١٩١/٦ .

[4] **نفسه، هامش التعليق**، ١٩١/٦ .

[5] التَّلبِينة: مرقٌ يُتّخذ من ماء النُّخالة يُجعل فيه اللبن، ابن عبّاد، **المحيط في اللغة**، مادة (لبَنَ) .

[6] تُجِمُّ: تجم الفؤاد أي تريحه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جمم) .

[7] مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار طيبة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، كتاب السلام (باب التلبينة مجمّة لفؤائد المريض)، ١٠٥٤/٢ .

[8] ابن المُلقن، **تحفة المحتاج إلى أدلّة المنهاج**، رواه النّسائي وابن ماجه، وصحّحه ابن حبّان والحاكم. قال: صحيح على شرط الشيخين (باب الرخصة في البكاء على الميت)، ٦١٧/١-٦١٨ .

ويظهرُ من متنِ الحديثِ أنَّ مُصيبةَ الموتِ قد جَعلتْ النِّسوةَ يبكينَ فَرَقًا على فقْدِ من فَقَدْنَ ونُهيَةُ عمر لَهنَّ مِن بَاب كَراهةِ النَّدبِ عَلى المَصائبِ، واستحبابِ الصَّبرِ عَليها، فأمرَهُ الرَّسولُ ﷺ بِتركهنَّ وَما يَفعلنَ لأنَّ قُلوبَهنَّ تَتفطَّر حُزنًا، فالحزنُ عَاطِفة جيَّاشَةٌ يُغيَّب فِيهَا العَقْلُ، وتَبرُزُ فيهِ عَاطِفَةُ القَلْبِ.

ج- الفؤادُ الخائفُ:

الخَوفُ ظَاهِرَةٌ كَامِنَةٌ في القلبِ، فلا يَخافُ إلَّا من يُدرِكُ مَعنى الخَوفِ، وقدْ كانَ سيِّدنا مُحمَّدﷺ في الغارِ قبل تبليغِهِ الدَّعوةَ، إذْ نَاداه جِبريلُ أنْ اقرأ، فَردَّ ما أنا بقارئٍ، إذْ فزِعَ مِنْ هَولِ ما رأَى وَسَمِعَ، "قال ابن شهاب: سَمِعْتُ عُروةَ بن الزُّبيرِ يقولُ، قالتْ عائشةُ زوجُ النَّبيِّ ﷺ: (فرجَعَ إلى خديجةَ يرجفُ فؤادهُ)"[1].

د- الفؤادُ الرَّقيقُ الرَّحيمُ:

وفي حديثِ الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام عن رقَّة الفؤاد، يُخبرنا عن أهل اليمن وأحْوالهم، "عن الأعرج قال: قال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: (أتَاكُم أهلُ اليَمنِ. هم أضعفُ قلوبًا، وأرَقُّ أفئِدةً الفِقهُ يَمان والحِكمةُ يَمانيَّةٌ)"[2].

تاسعًا: القلبُ وَمحلُّ الحُبِّ والكُرهِ فيهِ

أ- مَراتِبُ الحُبِّ:

لا ريبَ أنَّ الحُبَّ من أجْلى سِمات القلبِ، فإذا ذُكر الحُبُّ اقترنَ بالقلبِ، وإذَا ذُكرَ القلبُ كانتْ الصُّورةُ الأجلى لَهُ هِيَ صورةُ الحُبِّ والمَحبوبةِ والمُحِبِّ والحَبيبِ، وقد صنّفَ علماءُ العربيّةِ الحبَّ في مَراتبَ، وأوضَحوا دَرجاتِهِ في القلبِ، لكنْ لِمَ كُلُّ هذهِ المعاني للحبِّ؟ أليستْ من بابِ المُبالغة في التَّرادفِ، إنْ كانَ هناكَ ترادفٌ حاصلٌ أصلًا، وعَليهِ فَقَدْ وجبَ التّعريفُ بكلِّ رتبةٍ مِنها حتّى

[1] مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار طيبة، الطبعة الأولى، الرياض،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، كتاب الايمان، (باب بدء نزول الوحي إلى رسول الله ﷺ)، ٨٤/١ .

[2] **نفسه**، ٤٣/١ . كتاب الإيمان، (باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه) .

نَتبينَ معانيها ونَفْهَمَ فُروقَاتِهَا، وفي تعريف المعاجم العربيَّة نجد أنَّ: "الحبَّ نقيض البغض والحُبُّ الوِدادُ والمَحبَّةُ، وذلكَ الحِب بالكسر"[1].

والحُبُّ عند الكفوي: "هو عبارة عن مَيْل الطَّبْع في الشَّيءِ المُلّذ، فإن تأكَّد الميْل وقويَ يُسمَّى عِشقًا"[2]. أما ابن فارسٍ فقد فصَّل حروف الكلمة في كِتابِهِ "الحاء والباء أصولٌ ثلاثةٌ، أحَدُها اللُّزوم والثبات، والآخر الحَبَّة من الشيء ذي الحِبِّ، والثَّالثُ وصف القِصَر، ومن هذا الباب حبَّةُ القلبِ: سؤيداؤه، ويقالُ ثَمَرتُه، وأمَّا اللُّزوم، فالحبُّ والمَحبَّةُ اشتقاقه من أحبَّهُ إذا لَزِمَهُ"[3].

"وأول مراتب الحبِّ؛ الهَوى: وهو مَيل النَّفسِ، ثمَّ العَلاقةُ وهي الحُبُّ اللَّازمُ للقلبِ، وسُمِّيتْ علاقةً لِتعلُّقِ المَحبوبِ بِالقلوبِ، ثمَّ الكَلَفُ وهو شدَّةُ الحُبِ، وأصْلُهُ من الكَلف، وهي المشقَّةُ، ثمَّ العِشق، في الصِّحاح هُو فرْطُ الحبِّ، ثمَّ الشَّغف أيْ حُرْقةُ القلبِ مع اللَّذةِ، واللَّوعةُ: حُرقةُ الهَوى والجَوى: الهَوى البَاطِن، والتَّتيم: وهو اسْتعبادَكَ الحُبُّ، والتَبلُ: المرض من الحب، والوَلَهُ: ذهابُ العقلِ من شدَّة الحُبِّ، والهِيامُ؛ فَيُلقَى على وَجْهِهِ من الحُبِّ، والصَّبابةُ: رِقَّةُ الشَّوقِ، والوَجْدُ: الحُبُّ مع الحُزنِ، والشَّوق: اللُّجوء إلى الشَّيء، والوَصَبُ ألم الحبِّ ومَرضُهُ، والخُلَّةَ: تَوحيد المَحبَّةِ، وهِي رُتبةٌ لا تَقبلُ المُشاركةَ، والوُدُّ: خَالِص المَحبَّةِ، والغَرامُ: الحُبُّ المُلازمُ"[4].

ويَتبيَّنُ لنَا مِن تقسيم الحُبِّ في مَراتِبِهِ المُختلفةِ أنَّ لِكلِّ مَرتَبَةٍ ومقامٍ منها مَقالًا فيها. فالهوى يَخلو من كلِّ خيرٍ، لأنه يَهوي بِصاحِبه فِيما لا يَنبغي، لأنَّ الهَاءَ والواوَ تَدلُّ على خُلوًّ وسُقوطٍ بِصاحبها، قال تعالى:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾[5]. ويتَّضحُ المَعنى مِن الهَوى فِي مَيلِهِ في بيتٍ للمُتنبي، إذْ يقولُ:

الوافر

فَلَيتَ هَوى الأَحِبَّةِ كانَ عَدلًا فَحَـمَّلَ كُلَّ قَلبٍ ما أَطاقا[6]

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ٢٨٩/١ . مادة (حبب) .

[2] **الكليات**، ٣٩٨ .

[3] **مقاييس اللغة**، ٢٦/٢. مادة (حبَّ) .

[4] الكفوي، **الكليات**، ٣٩٨ .

[5] ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١٥/٦، مادة (هَوى). والآية من سورة النجم، ٣ .

[6] **ديوانه**، ٢٩٥/٢ .

أمَّا العَلاقةُ وجَمعُها عَلائق، فارتباطُ العَلائقِ بِالقُلوبِ تَدلُّ عَلى التّعلُّق بالشَّيءِ. "والكَلَفُ هُوَ الولوعُ بِالشَّيءِ مَع شَغلِ قلبٍ ومَشقّةٍ، وفِي الحَديثِ (عثمانُ كَلِف بِأقاربِه أيْ شديدُ الحُبِّ لَهُمْ)"[1].

ولقدْ جَعل ابن تيمِيةَ الخُلّة أعلى مراتب الحبِّ، لأنَّه نَظَرَ إليْها مِن مَنظورٍ دِينيٍّ مُتعلِّقٍ بحبُّ اللهِ، وقد عرَّفها مفرِّقًا مَعناها عن التتيُّم الذي لا يَكونُ إلَّا للحبيبِ: "الخُلَّةُ هِي كَمالُ المَحبَّةِ المُستلزِمةِ من العَبدِ كَمالَ العُبوديَّةِ للهِ، ومِن الرَّبِّ سُبحانَهُ كَمالَ الرُّبوبيَّةِ لِعبادِهِ الذينَ يُحبُّهُمْ وَيُحبُّونَهُ، ولفظُ العبوديةِ يتضمَّنُ كمالَ الذُّلِّ، وكَمالَ الحُبِّ، فإنَّهم يقولونَ قلبٌ مُتيَّمٌ إذا كانَ مُتعبَّدًا للمحبوبِ، والمُتيَّمُ المَتعبِّد، وتيَّم اللهُ عبدَهُ، وهَذا عَلَى الكمالِ حَصلَ لإبراهيمَ عليه السلام ومُحمَّدٍ ﷺ، ولِهذَا لمْ يَكنْ لَهُ من أهلِ الأرضِ خَليلٌ؛ إذْ الخلَّةُ لا تَحتَملُ الشِّركةَ فإنَّهُ كَما قيلَ في المَعنَى:

قَدْ تَخَلَّلتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبِذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلًا"[2].

"والخُلَّةُ رُتبةٌ لا تقبلُ المُشاركَةَ، فَلَمْ تَتأتَ إلَّا لنَبِيي اللهِ إبراهيمَ ومحمَّدٍ، وقدْ ورد صادقًا أنَّ اللهَ اتّخذَ محمدًا خَليلًا"[3].

ب- مراتبُ الكَراهيةِ :

فَكَمَا أنَّ الحُبَّ صِفةٌ مَكنونةٌ فِي القُلوبِ، فإنَّ الكُرْهَ صِفةٌ لَهُ، وَكيفَ لا تَكونُ صِفتَهُ وهُو المُتقلِّبُ الذي يَحملُ المُتضادّاتِ فِي مَعانيه وصِفاتِهِ، وقدْ وقفَ البَاحِثُ عَلى مَعانِي الكُرْهِ فِي المَعاجِمِ واستَخلصَ طَائفةً مِن تِلكَ المَراتبِ في بَابِ الكُرْهِ، غيرَ أن مَلافِظَ الكُره أو الكَراهِيةِ لا تَكادُ تُذكرُ مُقارنةً بِمراتِبِ الحُبِّ الكَثيرةِ، والتِي سَبقَ القَولُ فِيهَا.

ويُمكنُنَا تَقسيمُ مَراتبِ الكُراهِيةِ عندَ العربِ إلى هَذِهِ الأقْسامِ التي أوردَهَا عُلماءُ العَربيَّةِ، فأوَّلُها "الكُرْهُ: الكاف والرَّاء والهاء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على خِلاف الرِّضا والمَحَبَّة، والكُره: المَشَقَّة والكَره: أن تُكلَّف الشَّيءَ فتعمَلهُ كارِهًا، ويُقال من الكره: الكَرَاهِية والكَرَاهيَّة"[4]. أمّا البُغْضُ فَهو: "نَفرةَ الطَّبعِ المُؤلِمِ المُتعبِ، فإذا قَويَ يُسمَّى مَقْتًا"[5]. قالَ الشاعر:

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ٣٠٧/٩ . مادة (كلف) .

[2] **طب القلوب**، ٢٣٥-٢٣٦، والبيت للبحتري في **ديوانه**، ١٩١٢/٣ .

[3] الكفوي، **الكليات**، ٣٩٨ .

[4] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١٧٢/٥-١٧٣. مادة (كَرِهَ) .

[5] الكفوي، **الكليات**، ٣٩٨ .

الوافر

وَرُبَّ تَقَطبٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ وَبُغْضٍ كامِنٍ تَحْتَ ابْتِسامِ[1]

والقِلى: "هُو البُغضُ يُقالُ منه: قليتُهُ أقليهِ قِلى، وقَدْ قالوا قليتُهُ أقْلاهُ. والقِلى تَجافٍ عن الشَّيءِ وذَهابٌ عَنْهُ"[2]، ومِنهُ قولهُ تَعالى مُخاطبًا نبيه:﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ﴿٣﴾﴾[3].

والشَّنآن: شَنا، الشِّينُ والنونُ والهَمزةُ حُروفٌ تَدلُّ على البُغْضةِ والانصرافِ عَن الشَيءِ، وشَنِئَ فلانٌ فلانًا إذا أبْغضهُ وتَجَنَّبَهُ، وأنشدَ الشَّاعرُ فِي هَذَا البَابِ:

فَمَا العَيشُ إلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي وإنْ لامَ فِيهِ ذُو الشَّنانِ وأفْنَدَا[4].

ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[5]

والمَقْتُ: "البُغضُ الشَّديدُ لمن تراه تعاطى القبيح"[6]. ومِنْهُ قَولُهُ تعالى:﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[7].

وقد وردَ أنَّ اللهَ اختارَ لَفظَ المَقتِ لأنَّهُ أشَدُّ البُغضِ وأبْلغُهُ وأقْسَى دَرجاتِهِ، ومِنهُ نِكاحُ المَقتِ أيْ العَقْدُ على الزَابةِ، وهِي زَواج الرَّجلِ من امرأةِ أبيهِ، ولمْ يَقتصِرْ على كَونِ البُغضِ فيهِ كبيرًا، بَل جَاءَ بِأَشَدِّهِ وأكبَرِهِ فُحْشًا[8]. وآخرها الفِرْك والفُروك: "وفَرِكت المرأةُ زوجها تفرَكُه، إذا أبْغَضتْهُ، قَالَ: (ولمْ يَضعهَا بينَ فِرْك وعَشَق)، ورجل مفرّك: يُبغضُهُ النِّساءُ"[9].

---

[1] ابن رشيق القيرواني، **الديوان**، ١٥٩ .

[2] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١٦/٥. مادة (قَلو) .

[3] الضحى، ٣ .

[4] ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٢١٧/٣. مادة (شَنَأ) .

[5] المائدة، ٨ .

[6] الرَّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ٦٠٨/٢ .

[7] الصف، ٣ .

[8] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ١١٠٢/٢٨ .

[9] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٤٩٥/٤. مادة (فرك). وشطر البيت لرؤبة في ديوانه، ١٠٤ .

الفصل الأوَّلُ: القَلبُ ودَورُهُ فِي تَوصِيلِ العَاطِفَةِ وَتَشْكِيلِ الفِكْرِ والأَدبِ في الشِّعر العبَّاسيِّ

- أولًا: القلبُ منبعُ الإحساسِ والإدراك والفِكْر
- ثانيًا: علاقةُ القلبِ بالعقلِ والحواسِّ الخمس
- ثالثًا: معاني الحُبِّ والكُرْهِ في الشِّعر العبَّاسيِّ

أولًا: القلبُ منْبعُ الإحسَاسِ والإدراكِ والفِكْرِ

- التَّمايزُ بين القَلبِ والعقلِ في الإدرْاكِ والإحساسِ:

لَستُ بِصدَدِ البحثِ في الجانبِ العِلميِّ التَّشريحِيِّ لِلقلبِ، وَلكنْ لا بُدَّ مِنْ التَّعريجِ إِلَى شَيءٍ نَزيرٍ مِن العَلاقَةِ المُتفاوتَةِ بَينَ العَقلِ وَوظيفَتِهِ وَالعَلاقَةِ بَينَهُ وبَينَ القَلبِ، لِنتَبيَّنَ مَدارِكَ الوَعِي وَالإحْسَاسِ التي تَجري فِي العُقولِ والقلوبِ، ويتَّضِح جَانبٌ مِن العِلمِ البَشريِّ فِي مَاهِيَّة القَلبِ وكَيفيةِ نقْلِهِ الإحسَاسَ، وتتفاوتُ الدِّراسَاتُ العِلميَّة المُحكَّمةُ فِي كَينونَةِ الإدراكِ والإحسَاسِ وكَيفيَّتِهِ، وهَلْ يَتأتَّى هذا الإحساسُ مِن القَلبِ أم العَقلِ؟

مِن العُلماء مَنْ جَعلَ القَلبَ مَصدَرًا خَالِصًا لِلإحْسَاسِ لا شَأَنَ لِلعَقلِ بِهِ. وَبَعضُ تِلْكُمُ البَحثَةِ جَعلَ العَقلَ مَنْبعًا وَاحدًا لِتدفُّقِ الأَحَاسِيسِ وَالمَشَاعِرِ، وَآخرونَ حَكَّمُوا اثْنَيهِمَا، فَعدُّوا القلبَ والعَقلَ مُشْترِكَيْنِ فِي الإحسَاسِ يَتَناوَبَانِ فِيهِ، ولِكلٍّ وظيفتُهُ وطَبيعَةُ عَملِهِ.

ويُطالعُنا البَاحثُ أَحمدُ البَشير أحمدُ إدريس فِي وَرقَتِهِ البَحثيَّةِ لِملَخَّصِ بَحثِهِ عَن كَونِ القلبِ مَصدرًا وَحيدًا للإدراكِ مُلَخِّصًا بِهِ إعجازًا علميًا، إذْ يَقولُ: "فالقلبُ لهُ أكثرُ مِنْ مَهمَّةٍ يَقومُ بِها فبالإضافةِ إلى كونِهِ عُضوَ إحساسٍ تَابِعٍ لِمركزِ الدِّماغِ (الفؤادِ)، فَإنَّهُ أيضًا مُتحكِّمٌ فِي كُلِّ وَسائلِ الإدرَاكِ الأُخْرَى، فَالإبصارُ لا يتمُّ إلا عَن طريقِهِ، والسَّمْعُ لا يكونُ إلَّا بَعد إذنِهِ، والتَّعقُّلُ والتَّفقُّهُ لا يَكتَملُ إلَّا يَكونُ القلبُ حَاضِرًا"[1].

وَلا يَكتَفِي أحمد البَشير بِسردِ تِلكمُ الأدلةِ لِيثبتَ صِحَّةَ مَا رَمَى إليهِ، فَقَدْ بَرهَنَ عَلَى ذَلكَ مِنْ وجهةِ نَظرِهِ العِلميَّةِ التي يَراهَا هُو: "توجدُ إشاراتٌ علميةٌ كثيرةٌ تدعمُ حَقيقةَ أنَّ القلبَ هُو المَدخلُ الوحيدُ إلى مَراكِزِ الإدراكِ، فقدْ أثبتَ العلمُ الحديثُ بأنَّ القلبَ يتَّصلُ بالدِّماغِ وبَقيةِ الجسمِ بثلاثِ طُرقٍ تَمَّ تَوثيقُهَا بِالأدِلَّةِ العِلميَّةِ القَويَّةِ والصَّلبةِ وهذهِ الطرقُ هِي: عَصبيًّا؛ مِن خِلالِ إرسالِ النَّبضاتِ العصبيَّةِ بَيُوكِيمْيَائِيًا مِنْ خلالِ الهُرموناتِ والإنزيماتِ والنَّاقلاتِ العصبيَّة، وفِيزيائيًا؛ عنْ طريقِ مَوجةِ الضَّغطِ"[2].

---

[1] **ملخص بحث الإعجاز العلمي في الإشارة للقلب بأنه المدخل الوحيد للإدراك، ١ .**

[2] **نفسه، ١ .**

مِن المَعلومِ لكلِّ ذي عقلٍ ولُبابةٍ أنَّ اللهَ لمْ يخلقْ شَيئًا إلَّا وجعلَ لهُ وظيفةً، فكيفَ يُبرهنُ البَشيرُ في مُلخَّصِ بَحثهِ عَلَى أنَّ القلبَ هوَ المسؤولُ الأوحدُ عن الإدراكِ والوعِي؟ وفي متنِ حديثِهِ سابقًا قد بيَّن أنَّ القلبَ يتَّصلُ مع الدِّماغِ، فَهُمَا إذن مُشتركانِ في نَقلِ الوعي والإدراكاتِ والمشاعرِ.

وقدْ أشارَ ابنُ القيِّمِ بأنَّ الدِّماغَ هو المسؤولُ عَن الإدراكِ والوعي والتَّفكُّرِ، "ورغمَ إشارةِ ابن القيِّمِ إلى أن الرأسَ هُوَ مَستودعُ التذكُّر والتَّفكرِ والتَّعقُّلِ عند وصْفهِ لهُ، إلَّا أنَّه لم يتوَسَّعْ في وصْفِ الدِّماغِ عِندمَا وَصَفهُ مُباشرةً بعد وصْفِهِ للقلب"[1]. ولكنْ هلْ صَحيحٌ أنَّ العقلَ هو المسؤولُ الأوَّلُ والأخيرُ عن الأحاسيسِ والمَشاعرِ والتفكُّرِ والقَضَايا الوجدانيَّة، أم أنَّ القلبَ هو المسؤولُ ولا يشاركُهُ عُضوٌ آخرُ فِي ذَلكَ؟ أمِ العُضوانِ يُكمِّل بعضهُما الآخَرُ؟

ويرى ابن القيِّم أنّ التَّوسُّطَ بينَ القلبِ والعقلِ هُوَ المَرجوحُ على الآراءِ الأُخَرِ "والصّوابُ التّوسطُ بين الفريقينِ، وهوَ أنَّ القلبَ تَنبعثُ منهُ قوةٌ إلى هذه الحواسِّ، وهي قوةٌ مَعنويَّةٌ لا تحتاج في وصولِها إليهِ إلى مَجارٍ مَخصوصَةٍ وأعْصابٍ تكونُ حَاملةً لَها، فإنَّ وُصولَ القُوى إلى هذهِ الحواسِّ والأعضاءِ لا يَتوقَّفُ إلا على قبولِها واستعدادِها، وإمدادِ القلبِ لا عَلى مَجارٍ وأعصابٍ"[2].

ثانيًا: علاقةُ القلبِ بالعقلِ والحواسِّ الخمس

أ- القلب والعقل:

بين القلب والعقل علاقةٌ وثيقةٌ لا تنفصل، "إنّ العَقْل عينُ القَلْب، فإذا لم يَكُن للمرءِ عقْلٌ كانَ قَلْبه أكْمَه[3]. وقالَ صالح بنُ جَنَاح:

ألاَ إنَّ عقْل المرءِ عَيْنَا فُؤادِه وإنْ لم يكن عقْلٌ فلا يُبْصِر القَلبُ

وقال بعضُ الفلاسفة: الهَوَى مَصَادُ العَقْلِ"[4].

"نقل إبراهيمُ الحربِيُّ[5] عن أحمد بن حنبل، أنَّه قال: العقلُ غريزة، ومِثله عن الحَارث المُحَاسِبي. ورُويَ عن المُحاسِبيِّ أيضًا أنَّه قالَ: هُوَ نُورٌ، وقالَ آخرونَ: هُو قوة يُفصَل بِها بين

---

[1] عشوي، مصطفى، **الإنسان في فكر ابن قيم الجوزية**، دراسة نفسية تربوية، ١٩ .

[2] **نفسه**، ٢٢ .

[3] الأَكْمَهُ: الذي يُولَدُ أعمى، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كَمَهَ) .

[4] ابن عبد ربه الاندلسي، **العقد الفريد**، ١١٣/٢ .

[5] هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبدالله، من جلة المحدِّثين، العارفين بالحديث، وكان عالمًا ورعًا وعارفًا باللغة وكان من الحفَّاظ، وتوفي سنة خمس وثمانين ومائتين، ابن النديم، **الفهرست**، ٢٨٧/٦ .

حَقائقِ المَعلوماتِ، وقالَ قومٌ: هُوَ نوعٌ من العُلومِ الضَّرورِيَّةِ، وهو العِلمُ بِجَوازِ الجَائِزاتِ واستِحالَة المُستحيلاتِ"[1].

"واعلَمْ أنَّ التَّحقيقَ فِي هذا أنْ يُقالَ: هَذا الاسمُ – أعْني العقلَ– يُطلق بالاشتراكِ على أربعةِ مَعانٍ، أحَدُهَا: الوصفُ الذي يُفارقُ به الإنسانُ البهائمَ، وهو الذي استعدَّ لقبولِ العُلومِ النَّظريَّةِ وتدبيرِ الصِّناعاتِ الخَفيَّةِ الفِكريَّةِ، وهوَ الذي أرادَهُ مَنْ قالَ: هُو غَريزةٌ، وكأنَّهُ نُورٌ يُقذَفُ فِي القلبِ يُستعدُّ بِهِ لإدْراكِ الأَشيَاءِ، والثَّانِي: مَا وُضِعَ في الطِّباعِ مِن العِلمِ بِجوازِ الجَائزاتِ واستِحالَةِ المُستَحِيلاتِ، والثَّالثُ: عُلومٌ تُستَفادُ مِن التَّجارِبِ فَتُسَمَّى عَقْلاً، والرَّابِعُ أنْ تَنتَهِي قُوةُ الغَريزةِ إلى أنْ تَقمَعَ الشَّهوةَ الدَّاعِيةَ إلى اللَّذة العاجلةِ"[2].

وفي قولِ ابن المُعتَزِّ[3] يَتحيَّرُ العقلُ ويتيهُ القلبُ من منظرِ جَمالِ الحَبيبِ، فقدْ وَصَفهُ الشَّاعرُ بالبَدرِ الذي دَنَا مِنهُ لِيقْتُلَهُ، وَتَعَجَّبَ مِنْ صَفَاءِ وَجْهِهِ ونُورِهِ السَّالبِ لِلعقولِ والأفْئِدَةِ، فَقدْ غَطَّتْ أنْوارُ وَجْهِهِ الظَّلامَ لِجَمَالِهِ، وَاصِفًا إياهُ أيْضًا بالطُّولِ، فَكنّى عَن ذَلكَ بِجُمْلَةِ (تَتفاوتُ فِيهِ من فَرقٍ إلى قَدمٍ)، وقدْ أبْهرَ جَمالهُ الأحْداقَ، فقالَ:

البسيط

بَـدْرٌ تَعرَّضَ لِيْ عَمْدًا لِيَقْتُلنِـي تَذُبُّ أَنوارُهُ عَنْ وجْهِهِ الغَسَقَـا

تَفاوتتْ فيهِ مِنْ فَرْقٍ إلى قَـدَمٍ مَحَـاسنُ بِدعٍ تَستَوقِفُ الحَدَقَـا

فَكَمْ تَحيّـر مِنْ عَقْلٍ وَمِنْ نَظَـرٍ فِيهِ وكَمْ تَاهَ مِنْ قَلْبٍ وَكَمْ خَفَقَـا[4]

وهذا أبو فراسٍ يُريحُ قلبهُ بِبَعضِ المِزاحِ، فَبِهِ تَرتاحُ القُلوبُ، وَلَيْسَ مِزاحُهُ ذَلِكَ عَن جَهْلٍ غِرٍّ طَائِشٍ، بَل يَنمُّ عن تَجاهلٍ لذِي رَشَدٍ، لينْسَى أَلَمَ واقِعِهِ حِينًا مِن الوَقتِ، فالمزاحُ يَصفُو بِهِ العَقْلُ وَتَرتَاحُ بِهِ القُلوبُ. "فهوَ إذْ يَمرحُ إنَّما يُروِّحُ عَن قَلبِهِ ببعضِ الهَزَلِ تَجاهُلًا ولَيْسَ عَنْ جَهلٍ بِحقيقَةِ

---

[1] ابن الجوزي، **أخبار الأذكياء**، ٣٥ .

[2] **نفسه**، ٣٥ .

[3] هو عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي(٢٤٩هـ-٢٩٦هـ)، ولد في بغداد ونشأ فيها بعيدًا عن البلاط ودسائسه، حتَّى استُخلف المقتدر وثار عليه بعض رؤساء الجند والكتَّاب، فخلعوه وحملوا ابن المعتز إلى العرش، وبايعوه بالخلافة ولقّبوه المرتضى بالله، غير أنَّ خلافته لم تدم إلَّا يومًا وليلة. **ديوان ابن المعتز، مقدمة المحقق**، ٥ .

[4] الزجاجي، **أخبار أبي القاسم الزجاجي**، ١٠٦، لم أجد الأبيات في **ديوان ابن المعتز** .

الوجودِ، وَلا عَن سَفاهةٍ أو قِصَرِ نَظَرٍ، وإنَّما يمزحُ كَما يَمزَحُ أهلُ الفَضْلِ الذينَ يَجدونَ فِي المِزاحِ تَرويحًا عن النَّفسِ وجَلاءً للعقولِ"[1].

وليسَ ذَلكَ غَريبًا على العُلماءِ، فأبو فِراسٍ مِنْهُم، وبِذلكَ يَصحُّ القَولُ: "ونفوسُ العلماءِ تَسرحُ في مَباهِي اللَّهو الذي يُكسِبُها نشاطًا للجدِّ، فَكأنَّها منَ الجِدِّ لمْ تَزل"[2]، قَالَ أبُو فِراسٍ:

الرجز

أُروِّحُ القلــبَ ببعضِ الهَزْلِ تَجاهــلاً مِنِّي، بغير جَهْـلِ

أَمزَحُ فيهِ مَزْح أهلِ الفضْـلِ والمَزْح، أَحيانًا، جَلاء العقْلِ[3]

"ومِنْ حِكاياتِهِم في البَلاغَةِ ما ذُكِرَ في (المَطْمَحِ) أنَّ أبَا الوَليدِ ابن عِيالٍ لمَّا انصرَفَ من الحَجِّ اجتمعَ مَع أبِي الطِّيبِ في مَسجد عَمرِو بن العاصِ بِمصرَ، ففَاوضَهُ قليلاً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أنْشِدنِي لِمليحِ الأنْدلُسِ، يَعنِي ابن عبدِ ربِّه[4]، فأنْشَدهُ:

الكامل

يا لُــؤلؤًا يَـسبِي العُقولَ أنيقًا ورَشًا بتعذيبِ القلــوبِ رَفِيــقًا

مَا إنْ رأيتُ ولا سَمعــتُ بمثلِهِ دُرًّا يَــعودُ مِن الحَـياءِ عَقيـقًا![5]

وإذَا نَظَرْتَ إلى مَحاسِنِ وَجْهِهِ أَبْصَرْتَ وجْهكَ فِي سَناهُ غَرِيقًا

يَا مَنْ تقطَّعَ خَصْــرُهُ مِن رِقَّةٍ ما بالُ قَلبِـــــكَ لا يكونُ رقِيقًا؟![6]

فَلمَّا كَملَ إنْشادَهَا اسْتعادَها، ثُمَّ صَفَّقَ بيديهِ وقَالَ: يَا ابنَ عَبدِ رَبِّهِ، لَقَدْ تأتيكَ العِراقُ حَبوًا"[7].

---

[1] القاضي، النعمان، **أبو فراس الحمداني: الموقف والتَشكيل الجمالي**، ١٦٢ .

[2] ابن الجَوزي، **أخبار الحمقى والمغفلين**، ١٩ .

[3] **ديوانه**، ٣١٢/٢ .

[4] هو أبو عمر أحمد بن عبد ربه، وجدُّه الأعلى (سالم)، مولى الأمير هشام بن عبد الرّحمن الدَّاخل، وُلد ابن عبد ربّه سنة ٢٤٦هـ، وهو صاحب كتاب (العقد الفريد)، مات ابن عبد ربّه سنة ٣٢٨هـ، ينظر: **ديوان ابن عبد ربّه، مقدّمة المحقّق**، ٥ .

[5] العقيق: خرزٌ أحمر يُنظم ويُتّخذ منه الفُصوص، الواحدة عقيقة، الفراهيدي، **العين**، مادة (عقّ) .

[6] **ديوانه**، ١٢٠ . المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٥٦٤/٣ .

[7] المقري، **نفسه**، ٥٦٤/٣-٥٦٥ .

وفيها يَصفُ ابنُ عبدِ ربِّهِ امرأةً جَميلةً، فَهي لؤلؤةٌ لِبياضِ وَجْهِهَا تَأسِرُ العُقولَ، وهِي ظَبيٌ لِرشَاقَتِهَا ودِقَّةِ خَصْرِهَا، تُعذِّب القُلوبَ بِجَمالِها، فَلَمْ يَرَ الشَّاعِرُ شَبيهًا لَها فِي الجَمالِ، ولَمْ يَسْمَعْ صَوْتًا أحْلَى منْ صَوتِها، ويَعودُ فَيَصِفُها بِالجَوهَرِ الذي أصْبحَ عقيقًا – وهو حجر كريمٌ لونُهُ أحمرُ– فقد احمرَّ وجْهها الأبيضُ اللُّؤلؤيُّ فَصَارَ مِن شِدَّة الحَياءِ أحْمرَ كَالعَقِيقِ، وقَدْ شَبَّهَ وَجهَها بِالماءِ الصَّافِي الذي يَرَى عَلى سَطْحِهِ وجهَهُ، ثمّ ينتقل للأوصَافِ الحِسيَّةِ، فَيصِفُ دِقّةَ خَصْرِهَا، ويَسألها أنْ تُرقّق قَلبَها رقَّةَ خَصْرِها الدَّقيقِ، والرِّقَّةُ في الخَصْرِ حِسّيَّةٌ، وَهِيَ فِي القَلْبِ مَعْنَويَّةٌ.

وفي بَابِ تَغليبِ القَلبِ عَلَى العَقْلِ، نَجِدُ المُتَنبِّيَ يَمدحُ (سيفَ الدَّولةِ)[1] ويَشكُره على هَديَّةٍ بعثَها إليه مَع رَسولِهِ، وفِي مُقدِّمَتِه الغزليَّة للقَصِيدَةِ يُعاتِبُ الرَّسولَ لِمُشَارَكتِهِ حبّهُ لمَحبوبته، فأصَابَهُ مَا أَصَابَ المُتنبِّي مِن الجَوى، وقَد أصبحَ رسولُ غرامِهِ يَغارُ عَليها، حَتَّى بَدأَ يَخونُهُ، مُعجَبًا بشدَّة جَمالِها، فَأفْسدَتْ بِسحرِ عُيونِها الأماناتِ، وزعزعت الثِّقةَ– بَلْ ونَزعَتْها– بينَهُ وبينَ مَن وَثقَ بِهِ في أَداءِ الأَمانَةِ، فغلبتِ العاطفةُ العقلَ، إذِ الجَمالُ هُو المُبرِّرُ، "ومَعْنَى خِيانَةِ العُقولِ: أنَّها لا تُصوِّرُ للقلوبِ حِفظَ الأَمانَةِ ، لِأنَّ الرَّسولَ إذا نَظرَ إليهَا غَلب عَليهِ هَواهَا عَلى الأَمَانَةِ"[2]، فيقول:

الخفيف

مَـا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ[3] يـا رَسُولُ أنـا أهْوى وقَلْـبكَ المَتْبُولُ

كُلّـمَا عَـادَ مَن بَعثْتُ إليـهـا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيْما يَقُولُ

أَفْسَدَتْ بَينَنَا الأَمانَاتِ عَيْنَـا هَـا وخَانَتْ قُلُوبَـهُنَّ العُقُولُ[4]

وفِي مَعنى مُخالِفٍ لِما سَبقهُ، نَجدُ شَاعِرَ الزُّهدِ أبا العتاهِيةِ قدْ غَلَّبَ العقلَ عَلى العاطفةِ وَنَسِيَ أيام لَهوِه وَطيشِهِ، فَقدْ صَحَا قَلبُهُ بَعدَ غَفْلةٍ، وانْصَاعَ إلى عَقْلِهِ، وأَعْرَضَ عَن بَاطِلِ الأُمورِ وسَفَاسِفِهَا، ونَسِيَ الجَهْلَ والطَّيْشَ، أمّا الغَانياتُ من بنات الهوى فأصْبَحنَ مَاضِيًا في قَلْبِهِ ليس إلَّا

---

[1] هو علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن أبي الهيجاء التَّغلبي، صاحب حلب، نشأ ببغداد وكان فارسًا شجاعًا، مدَحه الكثير من الشُّعراء ومنهم المتنبي، ولد سنة ٣٠٢هـ، وتوفي سنة ٣٥٦هـ بمرض الفالج، وقيل بعسر البول بحلب في شهر صفر، ودفن بجوار أمه في بلد مَيّافارقين، ينظر: الصّفدي، **الوافي بالوفيات**، ١٢٦/٢١–١٢٧ .

[2] **ديوان المتنبي، هامش التَّعليق**، ١٤٨/٣ .

[3] جوٍ: جوِي الرّجلُ بالكسرِ فهو جوٍ، والجوى الحرقة وشدة الوجد، الجوهري، **الصحاح**، مادة (جوا) .

[4] **ديوانه**، ١٤٨/٣ .

لأنّهنَّ أَلْهَيْنَه وشَغَلْنَهُ باللّهو. إنَّ أبَا العَتاهيةِ لمْ يَكُنْ من المُتخيّلينَ لِينظِمَ شِعرَهُ، ولَمْ يَكنْ يقرأُ الكُتُبَ فيَنقلُ ويُعيدُ، بَل كانَ شِعرهُ سِجِلًّا لمَا عَرَكَ فِي الحَياةِ مِنْ تَجاربِهِ ونَظَراتِهِ، لِتنطَبِعَ في ذِهنهِ تَصوُّراتُ الحَياةِ بِحُلوِهَا ومُرِّهَا[1]. فَقَالَ فِي مَعنَى مَا سَبَقَ:

الوافر

صَحَا قَلْبِي وَراعَ إِلَيَّ عَقْلِي وَأَقصَرَ بَاطِلي وَنَسيتُ جَهْلِي

رَأَيتُ الغانِيــاتِ وَكُنَّ صُوْرًا[2] إِلَيَّ صَرَمْنَنــي وَقَطَـعنَ حَبْلِـي[3]

لا ريبَ في أنَّ الحَواسَّ الخَمسَ تُشكِّلُ وجدانَ الإنسانِ الشَّاعرِ وأحَاسِيسَهُ المُرهَفةَ، وتكونُ دَاعِمةً لَها، فبفقْد إحداها فقْدٌ لِمزيّةٍ مِنْ مَزيَّات الشَّاعرِ، "والقُوى النَّفسانيَّةُ ثلاثٌ: القوَّةُ المُحَسِّنةُ والقوَّةُ المدبِّرةُ، والقوَّة المُحرِّكةُ. فأمَّا القُوى المُحسِّنةُ فَهِيَ الحَواسُّ الخَمسُ: السَّمْعُ والبصرُ والشَّمُّ والمذاقُ واللَّمسُ"[4].

"والحواسُّ هي المصدرُ الأساس في اكتسابِ المَعرفةِ التي تنشَأُ مِنها اللُّغة، وهيَ المَنافذ التي من خِلالِها يُنفذُ إلى العلومِ المُختلفَةِ، وكلُّ لفظٍ لا بُدَّ أنْ يَمرَّ بِدايةً عَلى الحَواسِّ المُختلفةِ أو إحداهَا سَواءً في ذلك المَسموعُ، والمقروءُ، والملموس"[5].

إنَّ ارتباطَ الحواسِّ الخَمْسِ مُتحصِّل في العقلِ أكثرَ مِنهُ في القلبِ –وكَما أسلَفْنا– فَإذَا كانَتْ مَركزيَّة الفؤادِ في الرَّأسِ– وَهُو شَكلٌ مِن أشْكالِ القلبِ متَّصلٌ بالعقلِ– فإنَّ للحواسِّ الخمْسِ أثرًا بَليغًا في إدراكِ القلبِ، مشاعِرِه وعواطِفِه.

ب– القلب والعين:

قبلَ الحديثِ عَن مُقدِّمةٍ في عَلاقة العينِ بالقلبِ، كان لِزاما عليَّ أنْ أسوقَ هذهِ الحادثة الوَارِدَةَ في كتاب الزّهْرةِ تحت باب: (مَنْ كَثُرتْ لحظاتُهُ دَامتْ حَسَراتُهُ). قالَ بَعضُ الحُكماءِ: ربَّ

---

[1] ينظر: شرارة، عبداللطيف، **أبو العتاهية: شاعر الزهد والحب الخائب**، ٧٨ .

[2] الصَّوَر: المَيْل، ابن عباد، **المحيط في اللغة**، مادة (صَوَرَ) .

[3] **الموسوعة الشعرية**، لم أجدهما في **ديوان أبي العتاهية** .

[4] التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ٢١٢/٩ .

[5] أبو حامد، مها، **العين وتطورها الدلالي في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي**، ١١، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، ٢٠١٠م .

حَربٍ جُنيت من لفظة، وربَّ عِشقٍ غُرس من لحظة، وقال العُتْبيُّ[1] (أبو الغصن الأعرابي): خرجتُ حَاجًّا فلمَّا مررتُ بقِباء، تداعى النَّاس ألمًا وقالوا قد أقبلتِ الصَّقيلُ، فنَظرتُ وإذا جَاريةٌ كأَنَّ وجهَهَا سَيفٌ صَقيلٌ، فلمَّا رَمينَاها بالحَدَقِ ألقت البرقع على وجْهِهَا، فقلتُ: يَرحمكِ الله إنَّا سَفْرٌ وفينا أجرٌ فأمتِعِينا بوجهكِ، فانصاعت، وأنا أرى الضَّحِكَ في عينيها وهي تقول:

الطويل

وكنتَ متى أرسَلْتَ طَرْفَكَ رائدًا لِقلبِكَ يومًا أتبعتْكَ المَنَاظِرُ

رأيتَ الذي لا كُلُّهُ أنتَ قادرٌ عَلَيْهِ ولا عَنْ بَعْضِهِ أنتَ صَابِرُ[2]

لقد استحوذتِ العينُ على سائر الحواسِّ الأُخرى في دواوين الشُّعراء الجاهليين والأمويينَ والعباسيّنَ وإلى يومنا هذا، وهذا أمرٌ ليس مُستغرَبًا، فالعينُ مِرآة الجسم، تُظهِرُ ما يُخفي القلبُ وتُكمِنُ المَشاعر، وقد تكونُ لُغةُ العيونِ أَبْلغَ من لُغةِ الأَلْسنِ، لِمَا فِيها من الاخْتصارِ والتَّوريةِ والتّفرُّد والإِلْغَازِ بين مُحبَّينِ في لغتهما أمامَ جَمهرةٍ من النّاسِ، وبينَ تاجرينِ تَنصَّلا لزبونٍ وأرادا التّدليس له، وبين حاكمٍ ووزيرهِ أرادا التَّعميةَ والتَّوريةَ، والأمثلةُ تَطولُ في هذا البابِ.

وفي تَعريف العين– أقصدُ عينَ الإنسانِ الباصرةَ– دليلٌ على أنَّ العينَ جَوهرُ الرَّأسِ وأصلُهُ وتشريفُهُ، "العينُ والياءُ والنّونُ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يَدلُّ على عضو به يُبصَر ويُنظَر، والعينُ النَّاظِرةُ لِكلِّ ذِي بَصَرٍ. والعين تُجمع على أعين وعيون وأعيان، ومنه قول الشاعر:

فَقَدْ أَرُوعُ قُلوبَ الغَانِياتِ بِهِ حَتَّى يَمِلْنَ بِأَجْيادٍ وأَعيَانِ

وعَينُ القَلبِ مَثَلٌ عَلَى مَعنَى التَّشْبِيهِ"[3].

فالقلبُ قد يَرى مجازًا، وهذه الرُّؤيةُ الحَاصِلةُ مَجازِيَّةٌ، فالرُّؤيةُ عند ابن فارسٍ في قولنا (رأى) لا تختصُّ به العينُ وَحدَهَا، بلْ يكونُ القلبُ مُختصًّا بذلك أيضًا، ويُؤكِّدُ ذلكَ القولَ ابنُ مَنظورٍ فِي

---

[1] هو مُحمّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتبة بن أبي سفيان، أبو عبد الرحمن العُتبي الأموي، أديب كثير الأخبار حسن الشعر من أهل البصرة، توفي سنة ٢٢٨ هـ، ينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٥٦٢/٣–٥٦٤ .

[2] الظَّاهري، **الزهرة**، ٤٥/١ .

[3] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١٩٩/٤. مادة (عين) .

لسان العربِ حين يفصِلُ بين رُؤيةِ العينِ ورؤيةِ القلبِ، وأنَّ رؤيةَ العينِ تتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ ورؤيةَ القلبِ أو العقلِ تَتعدَّى إلى مَفعولينِ[١].

ولمَّا كانَتِ العينُ أشرفَ الأَعضاءِ وأجَلَّها في الوجهِ، فلا غَرابةَ في أنْ تكونَ وظيفتُها مُتفوّقَةً على الأعضاءِ جميعِها، ومُتَّصلةً اتِّصالًا وَثيقًا بالعقلِ والقلبِ لتُشكِّلَ الصُّورَ الفنيَّةَ المُتعدِّدةَ ممَّا تراه فيختزنُ في الذَّاكرة، ويَألفُهُ القلبُ ليصبِحَ صورةً مُتكاملةً مَبدؤها العينُ فَالنَّظرُ.

إنَّ العينَ تختَلِفُ في وَظِيفَتِها عن غيرها من الأعضاءِ المَسؤولةِ عَن الحَواسِّ، فَهِيَ تتحرّك بكلِّ الاتّجاهاتِ تقريبًا، نحو اليمينِ والشمالِ والأعلَى والأسفل، وهذا يجْعلُها أكثَرَ إدرَاكًا لِما يدورُ حَولَها[٢]، "بينما تقفُ الأذنُ وبقيّةُ الحَواسِّ ثَابتةً في مَكانِهَا، فالأُذنُ تسمع من مكانِها، فإنْ أرادتْ مَعرفةَ الصَّوتِ التفتَ الإنسانُ برأسه تِجاهَهُ، وكَذلكَ الحالُ بالنِّسبة لحاسَّة الشمِّ، فالثَّباتُ فِي المكانِ يُعطي فرصةً أقلَّ في اكتسابِ المَعارفِ من التَّنقُّلِ والارتِحالِ والحَركَةِ"[٣].

وممَّا لا اخْتلافَ فيه أنَّ العَين لا تَعلم الغيبَ ولا تَدري مَكنونَ النَّفسِ، "فَوظيفتُها ليستِ ادّعاء اختراقِ الحُجُبِ، ولكنْ مَعرفةُ مَدلولاتِ صِفاتِها وحَركاتِها المُتغيّرة بتغيّرِ المَكنونِ والمَكبوتِ في النَّفس والقَلبِ"[٤].

والعينُ مصدرُ إلهَامِ القَلبِ ووحيُهُ، فالنَّظَرُ كَفيلٌ بتوجيهِ مَشاعِرِ الحُبِّ أو الكُرهِ وتَأجِيجِهَا، لأنَّ لهُ المَقامَ الأوَّلَ فِي إدراكِ الحَواسِّ، والنّصيبَ الأوفى منهُ، فَفِيهِ تمييزُ الحسَنِ من القبيحِ والجيِّدِ من الرَّديء.

١- العينُ فاضِحةُ القلوبِ:

"وفي هذا المعنى يقول بعض البُلغاءِ: اللَّحظُ، يُعرب عن اللَّفظ، وقال آخر: ربَّ كنايةٍ تُغني عن إيضاح، ورُبَّ لفظٍ يدلُّ على ضميرٍ، ونَظَمه الشَّاعِرُ، فقال:

---

[١] ينظر: أبو حامد، مها، **العين وتطورها الدلالي في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي**، ١٥-١٦، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، ٢٠١٠م .

[٢] ينظر: جبر، يحيى، **نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة**، ٢٠ .

[٣] أبو حامد، مها، **العين وتطورها الدلالي في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي**، ١٤، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، ٢٠١٠م .

[٤] شلق، علي، **العين في الشعر العربي**، ٥ .

الطويل

جَـعَلْـنَـا عَـلَامَـــاتِ المَـوَدَّةِ بَيـنَـنَـــا دَقـائقَ لَحْظٍ هُنّ أَمْضى مِنَ السِّحْرِ

فَأَعْرِفُ مِنْها الوَصْلَ فِي لِيْنِ لَحْظِها وَأَعْرِفُ مِنْهَا الهَجْرَ بالنَّظَرِ (الشَّزْرِ[1])[2]

أمّا دَقَائِقُ اللَّحظِ فَهِي إيماءاتُ العينِ التي لا يَفطنُ إليها أحد، فَمتى ما كانَت الحَبيبَةُ واصِلَةً لَهُ لا تَقطَعُهُ عرَفَ ذلِكَ من لِحاظِ عينِها، وكَذَلِكَ إن كانَتْ قاطِعَةً لِما بينَهُما من مودَّةٍ عَلِمَ ذَلِكَ من لِحاظِ عَينَهَا، ورأى شزَرَهُما في عَينيهِ.

"وفي هذا قال بعض الحكماء: العينُ بابُ القلبِ، فَما فِي القلبِ ظَهَر في العَين"[3]، وقالَ عُمارة ابن عَقيلٍ[4]:

البسيط

تُبـدِي لكَ العينُ مَا في نَفْسِ صَاحِبِها مِـن المَحبَّـةِ أو بُـغْضٍ إِذَا كَـانَـا

إنَّ البَـغيضَ لَــهُ عيــنٌ يصـدُّ بِـهـا لا يَسـتَطيْعُ لِمَا في القلبِ كِتْمانـا

وعَيـنُ ذِي الـودِّ لا تنفــكُّ مُقبـلـةً تَـرى لَها مَحجرًا بَشًّـا[5] وإِنْسَانـا

فالعيــنُ تَنطِقُ والأَفواهُ صَـــامِتَــةٌ حَتَّى تَرى من ضَميْرِ القَلْبِ تِبيَانـا[6]

وقال ابن المُعذَّل[7] :

الطويل

تُبَيِّـنُ عَينِـيْ أنَّ قَلبِي يُحبُّـه وفِي العَينُ تِبيانٌ مِن الحُبِّ والبُغضِ

---

[1] الشَّزْر: نَظَرٌ فيه إعراضٌ كنظر المُعادي، ابن عباد، **المحيط في اللّغة**، مادة (شَزَرَ) .

[2] المقَّري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٦١٩/١ . **شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد)**، ١٠٥/٣، وأشار محقّق الديوان سامي الدهان من باب التحريف بورود(مصايد) بدل (دقائق) ، و(أخفى) بدل (أمضى) .

[3] المقَّري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٦١٩/١ .

[4] هو عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي، واسم الخطفي حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع، وعمارة بن عقيل شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية، إذ إن جميع أخباره تنحصر بين عهدي المأمون والمتوكل، وهو من أهل اليمامة ويسكن بادية البصرة، وتشير مصادر دراسته إلى أنّ النحويين في البصرة كانوا يأخذون اللغة عنه. **ديوان عمارة بن عقيل، مقدمة المحقّق**، ٧-٨، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ١٨٣/٢٠،١٨٧-١٨٨، وينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٢٨٢/١٢-٢٨٣، وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ١٩٣/٥ .

[5] البَشُّ: اللّطف في المسألة والإقبالُ على أخيكَ، الفراهيدي، **العين**، مادة (بشش) .

[6] **ديوانه**، ٨٢ .

[7] هو عبد الصَّمد بن المعذَّل بن غيلان بن الحكم بن البَختريّ، شاعرٌ فصيح من شعراء الدَّولة العبَّاسية، بصري المولد والمنشأ، كان هجّاء خبيث اللّسان. الأصفهاني، **الأغاني**، ١٥٩/١٣ . توفي في حدود الأربعين ومائتين. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٧٥/١٨ .

وَمَا هُوَ إلا خَلْقُ ربِّي مُصوَّر وَلَـكنّ بَعْضَ النَّاسِ أَمْلَحُ مِنْ بَـعْضِ[1]

فالعينُ تَصريحٌ مباشرٌ لِما يَحملُ القلبُ داخلَهُ مِن لَواعِجِ الشَّوقِ أو مَظانِّ السُّوء أو البُغضِ فَلا حَاجَةَ من كلامٍ للإبانةِ عن دفائنِ القلبِ، فتكفِي إشارةُ العينِ لتُنبئَنَا عن حُبٍّ أو بغضٍ يَسترُهُ القلبُ فتفضَحُهُ الأعْينُ.

وقالَ ابنُ الرُّومِيِّ في هذا المعنى مادحًا (عليِّ بن يَحيى المُنْجِمِ)[2]:

الطويل

وَهَبْنِـي كَتَمْتُ الحَقَّ أو قُلتُ غَيـرَهُ أَتَخفَى عَلَى أهلِ العقولِ السَّرائرُ

أبَى ذَاكَ أنَّ السِّرَّ فِي الوجْهِ نَاطقٌ وأنَّ ضَميرَ القلبِ في العينِ ظاهِرُ[3]

فنَرى أنَّ ابنَ الرُّوميِّ لا يَرضَى لِنفسِهِ أنْ يَكتُمَ حقًّا، لأنَّه وإنْ طالَ كِتمانُه، فحتمًا سَيظهر بعدها لذوي النُّهى، ولو خَفِي فَستُظهِرُهُ نظراتِ العيونِ، ذلكَ أنَّ مُضمَراتِ القُلوبِ لا تَستطيعُ إخفاءَ السِّرِّ لأنَّ العُيونَ سَتَفضَحُهَا.

وإذا كانَتْ لُغةُ الكَلامِ بَليغةً في الإفهامِ، فإنَّ لغةَ الجَسدِ سَريعةٌ المَدْركِ والتُّرجمانِ، لأنّها أبلغ في التَّعميةِ وشَغْل الأَذْهانِ. وقدْ عبَّر (يحيى بن معاذ الرّازي)[4] في أنَّ القُلوبَ نَاظرةٌ بِبَصيرتِها أَسرعَ من النَّظرة بِالعين: "لحظُ القلوبِ أسرعُ خُطىً من لحظِ العُيونِ"[5]. وفي ذلك يقول الحَلَّاجُ[6]:

---

[1] السَّريُّ الرَّفَّاء، **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب**، ٢٠٠/١، والبيتان لعبد الصَّمد بن المُعذَّل وأوردهما محقّق الكتاب في ديوان **شعر عبد الصمد بن المعذّل**، ١١٤، ولم أعثر على كتاب شعره أو ديوانِهِ .

[2] هو أبو الحسن، علي بن أبي يحيى بن منصور الإخباري الشاعر، نديم المتوكل، ثم من بعدَه، وكان ذا فنون وعقليات وتوسع في الأدبيات. وله تصانيف، منها كتاب (أخبار ابن إسحاق النديم)، مات سنة ٢٧٥هـ. ينظر: الذّهبي، **سير أعلام النبلاء** ٢٨٢/١٣. **ديوان ابن الرومي، هامش التحقيق**، ١٧/١ .

[3] **ديوانه**، ١٤٩/٢ .

[4] من الزهاد المتهجدين، وكان عابدًا، وله أصحاب، توفي سنة ست وثمانين ومائتين، وله من الكتب؛ كتاب (مراد المريدين)، **ابن النديم**، الفهرست ٢٣٥/٥ .

[5] التوحيدي، أبو حيّان، **البصائر والذخائر**، ١٦٢/٢ .

[6] هو أبو المُغيث، الحسين بن منصور بن مِحْمَى البيضاوي، وُلد في قرية الطور في الشمال الشّرقي من مدينة البيضاء من مدن مقاطعة فارس بإيران في نحو سنة ٢٤٤هـ/٨٥٧ م، كانت وفاته سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢ م. **شرح ديوان الحلّاج، مقدّمة المحقّق**، ٢٣-٥٠، ينظر ترجمته: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٦٨٨/٨-٧٢٠ .

الوافر

قُلوبُ العاشقينَ لَهَا عُيونٌ تَـرى مَالا يَـراهُ النَّاظِرونَـا

وألسـنـةٌ بِأسـرارٍ تُنـاجِـي تَغيبُ عَن الكِـرامِ الكَاتِبينا

وأجْنحَـةٌ تَطيـرُ بِغيرِ رِيْشٍ إلى مَلكـوتِ ربِّ العَالمِينَا[1]

وإنَّما تُدرِكُ القلوبُ في عيونِ المؤمنينَ الصَّادقينَ بنورِ رَبِّها وتُحجَبُ عن غيرهم، لأنّها معلّقة باللهِ أينما حَلَّت وارْتَحلتْ.

وهذا محمَّدٌ بن هانئ[2] يرثي (والدة جعفر ويحيى، ابني علي)[3]، ويُبالغ فيجعلُ الرُّؤيةَ لمنظرِ الفَقيدةِ واقعًا في القلوبِ لا في العيونِ من بابِ وجوبِ وقوعِ الحُزنِ في القلوبِ لا فِي العُيونِ، فيقول:

المتقارب

وليسَ النَّواظرُ إلا القُلوبُ فأمَّا العُيونُ ففِيها العَمىْ[4]

ومن شعر الحكمة والموعظة ما أوردَهُ الشَّاعِرُ محمودُ الورّاق[5] في أنَّ العُيونَ تُنبئُ عن دفين القلوب، فالعينُ تشهدُ على القلوب إن كانت مُحِبَّةً أو كانَتْ مُبغِضةً، وتصمتُ الأَلسُنُ في حضورِ العيونِ لأنَّها تتكلّم نيابة عنها بِلغةٍ أبْلغَ وأسمى، وليس في هذا المجاز؛ بل هي الحقيقة المُجلِّلة في إيضاحِ المَعانِي بينَ المُتحابِّين أو المُتبَاغِضينَ. قال:

الكامل

إنّ العُيُونَ عَلَى القُلوبِ شَواهِدٌ فَبَغِيضُهَا لـكَ بيِّنٌ وَحَـبِيْبُهَا

---

[1] **شرح الديوان**، ٣٨٠-٣٨١ .

[2] هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي، كان أبوه هاني من قرية المهدية في إفريقية، ولد الشاعر سنة ٣٢٦هـ في إشبيلية ونشأ فيها بعد أن انتقل والده إلى الأندلس، اتّصل بصاحب إشبيلية ومدحه، مات في سنٍّ مبكّرة لم يتجاوز فيها سنَّ السادسة والثلاثين، سنة ٣٦٢هـ. ينظر: **ديوان ابن هانئ الأندلسي، مقدمة المحقّق، ٥** .

[3] لم أعثر على ترجمتهم، ولم يذكر محقق الديوان (كرم البُستاني) نِسبتهم .

[4] **ديوانه**، ٢٧ .

[5] محمود بن الحسن الوراق شاعر مشهور، وشعره ذائع متداول وهو من شعراء القرن الثاني والثالث المرموقين اشتهر بالبغدادي، لم تذكر المصادر أبعد من هذا النسب . **ديوان محمود الورّاق، مقدمة المحقّق، ١١**، انظر ترجمته كما أوردها مُحقّق الديوان للنويري، **نهاية الأرب**، ٨٨/٣، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٤٦١/١١ .

وإذا تلاحظَتِ العُيونُ تَفَاوَضتْ وتَحدَّثَتْ عَمَّا تُجـنُّ[1] قُلُوبُـها

يَنْطِقنَ والأَفـوَاهُ صَـامِتـةٌ فَمـا يَخفى عَليك بريْئُـها ومُريبُـها[2]

وفي دَعوتِهِ لِغضِّ البَصرِ، والامتناعِ عن النَّظر–لأنّ أوَّل الشَّهوة تقع بالنَّظر– جعلَ محمودُ الورَّاق للقلب لسانًا يَتحدَّثُ صَامِتًا لا صَوتَ فِيه، لمن كان له قلب يعقل به الرائي قُبالَتَهُ، فيَتناظرانِ بأطرافِ العُيونِ ويَتراءَيان، فتفْهمُ العين ما يُرادُ، إنْ كانَ شَرًّا أو كانَ خَيرًا. وَفِي هذَا يقولُ:

السريع

مَن أَطَلَـقَ الطَّرْفَ اجتَنى شَهـوَةً وَحـارِسُ الشَهوَةِ غَضُّ البَصـرْ

وَالطَّـرفُ لِلقَلـبِ لِـسانٌ فَـإِنْ أَرادَ نُـطقًا فَلْيُكِـرَّ النَّظـرْ

يُفـهَمُ بِالعَيـنِ عَنِ العَيـنِ مـا في القَلبِ مِن مَكنونِ خَيرٍ وَشرْ

يَطـوي لِـسانُ المَـرءِ أَخبـارَهُ وَالطَّـرفُ لا يَملِكُ طَيَّ الخَبـرْ[3]

ولعبدِ اللهِ بن سليمانَ القُرْطُبِيِّ النَّحويِّ[4] شعرٌ في وصْفِ العَمَى وقَدْ كانَ أعمى، فُيخاطِبُ منْ تَلومُه في عَماه، إذْ تقولُ لهُ: أنَّى لكَ إدراكُ الجَمالِ إذا لمْ ترَهُ بِعينك؟ فأجَابها أنَّ البَصيرةَ التي تُدرِك لا البَصرُ، والنّفس تَمِيزُ لا العين، فجعلَ القلوبَ لا العيونَ مِيزانًا لتمييزِ الجَمالِ مِن القُبْحِ والحَسَنِ من الرَّديء، فقالَ:

البسيط

تقُولُ منْ للعَمَى بِالحُسْنَ؟ قُلْتُ لَهَا: كَفَـى عَن اللهِ فِي تَصْدِيقِهِ الخَبـرُ

القَلَبُ يُدرِكُ مَا لا عَيـنَ تُدْرِكُـهُ والحُسْنُ ما اسْتحسنَتْهُ النَّفسُ لا البَصرُ

وَمَا العُيونُ التي تَعْمَى إذا نَظَـرتْ بَلِ القُلـوبُ التي يَعْمَى بِهَا النَّـظَرُ[5]

---

[1] جنَّ الشيءُ يجُنّه جَنًا: ستره، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مادة (جنَّ) .

[2] **ديوانه**، ٨٤، ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٠٤/٢، **ينظر**: ابن عبد البر، **بهجة المجالس** مع تغييرٍ في الكلماتِ، ٢٦١/٢–٢٦٢ .

[3] **ديوانه**، ١١٠، ابن عبد البر، **بهجة المجالس**، ٢٧/٢ .

[4] عبد الله بن سليمان، المعروف بدرود، وبعضهم يصغره فيقول دريود، وفاته سنة ٣٢٥هـ، من أهل النحو والشعر، وله كتاب في العربية شرح به كتاب الكسائي، وهو مذكور في (كتاب الحدائق)، ينظر: الزّبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ٢٩٨ .

[5] الحميدي، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، ٣٧٥ .

ومنْ شَبِيهِهِ قَولُ ابن طيفور[1]:

الوافر

وَمَجلِسِ لَذَّةٍ لَمْ نَقوَ فيهِ عَلى شَكوى وَلا عُذْرِ الذُّنوبِ

فَلَمّا لَم نُطِقْ فيهِ كَلامًا تَكَلَّمَتِ العُيونُ عَنِ القُلوبِ[2]

لمّا لَمْ يَستطعْ ابن طيفور التّغزُّل كلامًا فاضحًا في مجلس اللّهو ولا بثًّا لِشكايتِه في الحُبِّ ورّى عن ذلك بالعيْن الفاهمة، لتنقل بثّها إلى القلب عينًا لعين وقلبًا لقلب، فتكلّمت وأبانتْ عن المَخبوءِ المؤمَّل، وبَدا الغَمْزُ والإيمَاءُ يَتبَعُهُ بالعينِ المُقابلةَ لحاجةٍ في النَّفس لا تُباح في العَلَن.

٢- جِنايةُ العينِ على القلبِ واجتماعُهُما في تشكيلِ الحبِّ:

النَّظرُ أوَّلُ الحُبِّ والشَّغفِ، وبدايةُ الخيالِ والتَّخيلاتِ التي تَنطبعُ في الذَّاكرةِ، وقد أبدعَ العاشقونَ في توظيفِ لُغة العُيونِ، فهذا البُحتريُّ يمدح (المعتزَّ بالله)[3]، مُبتدِئًا مُقدمةَ قَصيدتِهِ غَزَلاً واضحًا بَيِّنًا ترقُّ له النُّفوسُ وتَشتهِيه القلوبُ، فيجعلُ العينَ للقلبِ إزارًا لا يَنفكُّ، ويَجْعَلُ قلبَهُ رَهينًا حبيسًا عندَ من يُحبُّ، وكلُّ ذلكَ الوَجْدِ الذي عانى منهُ مَبدؤُهُ العينُ، فَنَظراتُهُ إليْهَا قَدْ تكفَّلت بإضرارِهِ بعدَ صَدِّهَا عَنْهُ، بلْ أصبحَ لِينسى ملامِحها، مُشتغلًا بالسُّكْرِ لِيضيعَ عقلَهُ الذي كادَ يفقدُهُ بصدِّها عنهُ، ونلحظُ جمالَ التّشبيهِ في قولِ البُحتريِّ حينَ جَعَلِ القلبَ سَجينًا عِند سَجَّانِهِ (العين)، فقالَ:

الوافر

بِعَينِكَ لَوعَةُ القَلْبِ الرَّهينِ وَفَرْطُ تَتابُعِ الدَّمعِ الهَتونِ[4]

وَقَد أَصْغَيتِ لِلواشِينَ حَتّى رَكَنْتِ إِلَيْهِمُ بَعضَ الرُّكونِ

---

[1] هو أبو الفضل بن أبي طاهر مَرورذي الأصل، أحد البلغاء الشعراء الرّواة من أهل الفهم المذكورين بالعلم، وهو صاحب كتاب (تاريخ بغداد في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم)، توفي سنة ثمانين ومئتين، ومولده سنة أربعٍ ومائتين، مدخَل المأمونِ إلى بغداد. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٧/٧. وينظر: الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٨٧/٣-٩٨ .

[2] الظاهري، **الزهرة**، ١١٤/١، أورده الظاهري لشاعر لم يسمّ اسمه. وأورده الرّاغب الأصفهاني لابن أبي طاهر(طيفور) في كتابه، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ١١٨/٣ .

[3] هو محمد بن جعفر، ويقال الزّبير، ويقال أحمد أمير المؤمنين، ولد سنة ٢٣٢هـ، وتوفي سنة ٢٥٥هـ لأربع وعشرين سنةً وكان قد حكم ثلاثَ سنين وستة أشهرٍ وأربعة عشر يومًا. ينظر: الصفدي **الوافي بالوفيات**، ٢١٧/٢-٢١٨. وهو أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، وأمه روميَّة سمَّاها المتوكل قبيحة لتفوقها في الجمال، وقد وُلد سنة ٢٣١هـ، وكان أبوه قد جعله ولي عهده بعد المنتصر، ينظر: **ديوان البحتري، هامش التحقيق**، ١٠٨/١ .

[4] الدّمع الهتون: دمع يقطر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هَتَنَ) .

وَلَـــوْ جَازَيتِ صَبًّا عَن هَـواهُ لَـكانَ العَدلُ أَلّا تَهجُــرِينـــــي

نَظَـرتُ وَكَمْ نَظَرتُ فَأَقْصَدَتْنِـي فُجاءاتُ[1] البُدورِ عَلى الغُصونِ

وَرُبَّةَ نَظـــرَةٍ أَقلَعْـتُ عَنهـــا بِسُكرٍ في التَّـصَابِي أَوْ جُنــونِ

فَيا لِلَّهِ مَا تَلْقَى القُلوبُ الـــــ هَوائِـــــمُ مِن جِنَايَاتِ العُيُـــونِ[2]

"على أنَّ العينَ تُوقِعُ القلبَ في التَّعبِ، وتُوفِّرُ نصيبَهُ من أسهمِ الهَمِّ والنَّصبِ، وترمِيهِ بِدواعِي الهَوانِ ودواهِي الهَوى، وتُسلِمُه إلى مُكايدة الغَرامِ ومُكابدةِ الجَوى، لو عُذِّبتْ بِطولِ السَّهَرِ وكثرةِ الدُّموعِ، وبِفيضِ الشُؤونِ وعَدمِ الهُجوعِ، وَبِمسَامرةِ الأحزانِ والفِكرِ"[3].

وتَجتمعُ تِلكمُ الأحاسيسُ بالنَّظرِ الذي يُشكِّل الصُّورةَ المَحسوسَةَ في العَقلِ لِينقلَهَا النَّظرُ بَعدها إلى القلبِ، "وهذهِ جَميعُها مُدرَكاتٌ بصريَّةٌ، تَلمحُهَا العَينُ وتَنقلها إلى العقلِ لتصبحَ صورةً مَعنويَّةً ويترجِمُها الأديبُ إلى أدبٍ يُجسِّد الواقعَ الحِسِّيَّ. فمن العَسيرِ، إنْ لمْ يكن من المُستحيل أنْ تُتخيَّل (معنويًّا) مهما كانَ في غيبةِ مُدرَكاتِ الحِسِّ"[4].

وفي غزلٍ جَريءٍ خَارجٍ عن المألوفِ الذي كانَ في زمانهِ مُتمكّنًا لرذيلةٍ من النَّاسِ يتغزّل أبو نُواس فيه بالغِلمان، واصفًا حالةَ ضَياعِهِ وتَشتّته مِن هَجْرِ غُلامِهِ الذي أحبَّ.

"ربَّما لا يكونُ أبو نُواسٍ قد وُلدَ بِشذوذٍ جنسيٍّ مُستأصِلٍ في جِبِلَّتِه، ولكنَّه مِن غيرِ شكٍّ، وُلدَ رقيقَ التَّكوينِ مَشحوذَ الأعصابِ بالغَ الحَساسِيَّةِ، وإلّا لمْ يكنِ الشَّاعرَ الذي نَعرفهُ في حِدَّة شعورهِ وسرعةِ تأثُّره ودقَّةِ استجابَتِه الشِّعريَّة لمؤثِّراتِ حياتِهِ"[5]. فيقولُ في غُلامِهِ:

الكامل

يَا تَارِكِي جَسَدًا بِغَيرِ فُـــــؤادِ أَسْرَفتَ فِي هَجْرِي وَفِي إِبْعَادِي

---

[1] فُجاءة، بالضَّم والمدِّ: ما فاجأك، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (فجا) .

[2] **ديوانه**، ٢٢٦٦/٤ . بعينكَ: وردت هكذا بالفتح في الديوان .

[3] الصفدي، **لوعة الشاكي ودمعة الباكي**، ٧-٨ .

[4] عصفور، جابر، **الصّورة الفنيّة في التراث النّقديّ البلاغيّ عند العرب**، ٣٢٤ .

[5] النويهي، محمد، **نفسية أبي نواس**، ٧٩ .

إِنْ كَانَ يَمنَعُكَ الزِيارَةَ أَعيُـــنٌ فَادْخُل عَلَيَّ بِعِلَّةِ العُـــــــوَّادِ

إِنَّ القُلوبَ مَعَ العُيونِ إِذَا جَنَتْ جَاءَت بَلِيَّتُها عَلَى الأَجْسَـــــادِ

أَشْكُو إِلَيْكَ جَفاءَ أَهْلِكَ إِنَّهُـــمْ ضَرَبُوا عَلَيَّ الأَرضَ (بِالأَسْـــدادِ[1])[2]

ما أغزلَ الشَاعرَ الخُبزَأرزيَّ[3] في هذِهِ الأبياتِ، إذْ يُحْسِنُ التَّشبيهَ لِمنظرٍ حَسَنٍ جميلٍ يزدادُ بَهاءً، فالشَّاعرُ قدْ جعلَ العيونَ خارجةً عن مُنطلَقِ سَيطرتِها، والقلوبَ مُستدعاةً مُستَحضَرةً، والعقولَ خاشعةً للقلوبِ في لَحظةِ النَّظرِ والذُّهولِ بِحُسنِ المَحبوبِ، فكأنَّ حُسنَهُ جُندٌ تخبَّط في معركةٍ، إذْ إنَّ جمالَهُ يقبِّحُ في مُقابِله كلَّ جمالٍ آخر، وهذا الجَمالُ قدْ جَعَلَهُ يتَمَعَّن وينظر، ليقولَ:

البسيط

يَرْمِـي العُيُونَ وَيَستَدْعِي القُلُوبَ وَيسْـ تَصْفِي العُقُولَ وَيَسْتَوْلِي عَلَى المُهَجِ

أَمِيـــــرُ حُسْنٍ يُرينَا مِنْ مَحَاسِـنِـهِ جُنْدًا تَرَكْنَ قُلوبَ النّاسِ فِي رَهَـــجِ[4]

إذا العُيـــــونُ بِذاكَ المَنْظَرِ اكْتَحَلتْ رَأَيْنَ مَـا غَيـرُهُ فِي مَنْظَـــرٍ سَمِـجِ[5]

فَكُلَّمَا كُحِلتْ عَينْـــــــي بِرُؤْيَتِـــهِ زَادَ البَلاءُ عَلَى قَلْـــبٍ بِهِ بَهِـــجِ[6]

ومن شبيهِ الحبِّ الذي يقَعُ من العيونِ في مكمنِ القلوبِ، مِن عِشق العباسيين، ما قالهُ ابن الرُّوميِّ في جاريةٍ اسْمُها وَحيدٌ: "أمّا (وحيد)[7] جارية (عمهة)، فكانتِ الحبيبةَ إلى قلبهِ، إذ هَامَ

---

[1] الأسداد: سُدَّت علي الطريق؛ أي عميت عليَّ مَذاهبي، وواحدُ الأسداد سدٌّ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سَددَ) .

[2] **ديوانه**، ٢٨١ .

[3] هو نصر بن أحمد بن نصر بن المأمون أبو القاسم البصري وأصله الخابز رُز، لم تُعرف تاريخ ولادته، ولم يذكر المؤرخون عمره الحقيقي أو التقريبي حين وفاته، ولم يذكروا نشأته ومسيرة حياته، إلّا أنّه ولد في البصرة ونشأ فيها، وكان أميًّا لا يعرف القراءة والكتابة، وكان يصنع خبز الأرز بدكان له في المربد كان يقول منه الشعر. ينظر: **ديوان الخبزأرزي، مقدمة المحقّق**، ٩٣/١-٩٤ . ينظر ترجمته: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٤٠٤/١٥-٤٠٨ .

[4] رهَج: الغُبار، الجوهري، **الصحاح**، مادة (رَهَجَ) .

[5] سَمِج: سَمُجَ الشيء سَماجةً؛ أي لا ملاحةَ فيه، الفراهيدي، **العين**، مادة (سَمِج) .

[6] **ديوانه**، ١١٨/١ .

[7] لم أعثر لها على ترجمة، أوردها محقق **ديوان ابن الرومي** في **هامش التحقيق**، باسم وحيد المغنية، ٤٩٤/١ .

بحُسنِها وجمالِ صَوتِهَا. وخصَّها بقصيدةٍ داليَّةٍ مُتوسطةِ الطُّول، وهي قصيدةٌ جعلته واحدًا من كبار شُعراء الغزلِ في الأدبِ العربِيِّ"[1]. فقال فيها:

الخفيف

حُسْنُها في العيونِ حُسْنٌ وحيدُ فَلَها في القُلوبِ حبٌّ وحيدُ

ونَصيحٍ يلومُني في هواهـــــا ضَلَّ عنْه التَّوفيقُ والتَّسديدُ

لــو رَأى من يلُوم فيه لأضحى وَهُـوَ المسْتَريثُ والمسْتَزيدُ

ضِلَّةً[2] للفُؤاد يَحْنُــو عليـــــها وَهِـي تَزْهُو حَياتَه وتَكيـــدُ

سَحرَتْهُ بمقْلتيْـــها فأضـــــحَتْ عِنده والذَّميمُ منها حمـــــيدُ[3]

وتدورُ بينَ ابن الرُّوميِّ عَاشقِ الجاريةِ ونَاصِحهِ- بل عاذِلِهِ- مُحاورةٌ تخصُّ المحبوب؛ أنْ دَعْ عنكَ حبّها، وهو لا يدري أنّ حسنها متفرِّد وحيد، لو رآه العاذل لاستغرق في الحُسن ولم يلُمه أبدًا، بل لاستزاد من الحُسن أكثرَ فأكثرَ. وقد ذَكر اسمَ (وَحيد) في بيتِهِ الأوَّلِ من بابِ التَّورِيَةِ.

ويُبالغ ابن الرُّوميِّ أيضًا في جَعْل نَظراتِ عيونِ حَبيبتِهِ سِهامًا مَاضيةً، وقد رسم لنا صورةً حِسيَّةً جميلةً، حينَ يُنزع السَّهم من قلبهِ، وما يُعانيه من وجع النَّزع وأَلمه، وكُلُّ ذلك حاصِلٌ من جنايةِ العينِ على القلبِ. فنراه يقولُ:

البسيط

لَطَرْفِها، وَهْوَ مَصْروفٌ، كَمَوقِعِــه فِي القَلْبِ حِينَ يَروعُ القلبَ موقِعُهُ

تَصُدُّ بالطَّرْفِ، لا كالسَّهْمِ تَصْرِفُـهُ عَنِّـــي، ولَكنَّهُ كَـالسَّهمِ تَنْزِعُـــــهُ

وَنَزْعُهَـا السَّهمَ مِنْ قَلبِي كَمَوْقِعِـهِ فِيهِ وَكُلُّ أليـــــمِ المَسِّ مُـوجِعُهُ[4]

---

[1] أبو زيد، سامي يوسف، **ابن الرومي: قراءة نقدية في شعره**، ٢٧٥ .

[2] ضِلَّة: يتبع النِّساء، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (ضَلَلَ) .

[3] **ديوانه**، ٤٩٤/١ .

[4] **ديوانه**، ٣٤٤/٢ .

ج- القلب والأذن:

إنَّ لحاسةِ السَّمعِ بعدَ البَصَرِ دورًا كبيرًا من نَصيب المُحبِّين، فقد يُغيَّب الحبيبُ عن ناظِر المَحبوبِ مُلزِمًا بالهَجرِ، أو لِعاهةٍ أصابتِ العيونَ فأفقدتْهُ البَصرَ، لذلكَ لا بُدَّ من الإنابةِ عنهُ بالسَّمعِ، فالحوَاسُّ مُترابطةٌ مُتَّصلةٌ فيمَا بَينها، إذا غَابتْ حَاسَّةٌ عوّضتْها الحوَاسُّ الأخْرى. إنَّ المراكزَ الحِسيَّةَ مرتَبطَةٌ فيما بينها ارتِباطًا وَثيقًا، ومع ذلك فَإنَّها تولِّد استجابةً نفسيَّةً واحِدةً بِتكامُلٍ حَاصِلٍ بينَ أعضاءِ التَّلقي فيها، مُكَوِّنَةً بِذلكَ الموقفَ الإدراكيَّ، ومن هذا البابِ؛ فَإنَّهُ لو عُطِّلتْ إحدى الحواسّ، فإنَّ بقيَّةَ الحَواسِّ الأُخرى تتآزَرُ في الأعصابِ الحِسِّيَّةِ لإعطاءِ التّأثير اللَّازمِ وتتصاعُ للاستجابةِ النَّفسيَّةِ التي يُحَتِّمُها الموقِفُ، وبِهذا تُعَوِّضُ شيئًا عن عَملِ العُضوِ المُغَيَّبِ[1].

إنَّ الحُجُبَ قد تحولُ دونَ النَّظرِ، فيبقى رَجعُ الصَّوت في ذهنِ السَّامِعِ حتَّى لو غُيِّب النَّظرُ لبُعد المَكان أو عِلَّة الأنظارِ. وقيلَ لعمارةَ بن عقيلٍ ما أجودُ الشِّعر؟ قال: "ما كان كثير العُيون أملس المتون، لا يَمُجُّه السَّمع، ولا يُستأذن على القلب"[2]. وإنّ أحسنَهُ "ما سبقَ مَعناهُ إلى القلبِ مع لفظهِ إلى السَّمْعِ"[3].

وأمَّا الأُذن فلمْ تَحظَ بِما حَظيتْ به العين في علاقتها بالقلوب، ذلك لأنّ الحُبَّ والمَدحَ والغَزلَ والوَصَفَ وغيرها مُتعلِّقات تَخُتصُّ بالعين قبل الحواسِّ الأُخرى. وعَليهِ فَإنَّ الكَفيفَ يَميلُ في العادةِ إلى الاهتمامِ بالحَديثِ، ويُولِي الجانِبَ الصَّوتِيَّ مَكانَةً عُليا، إذِ السَّمْعُ يُحيي فِيهِ إدراكَ الشُّعورِ النَّفسِيِّ لَدى النَّاقلِ المُرسِلِ[4]. ويَستحضرني قول بشَّار بن برد في جَعْلِ الأُذُن وسيلةً للحبِّ بدل العين، فيقول:

البسيط

يا قَومُ أُذْنِي لِبَعضِ الحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالأُذْنُ تَعشَقُ قَبلَ العَينِ أَحيانا[5]

فنجد أُذُنَ بَشَّارٍ حاضرةً، ولعلّهُ قدْ أبدعَ في الغزل بما لم يُبدعه المُبصرون، مُعتمدًا على سَمْعِهِ مُغيَّبًا بَصَرُهُ. وقدْ أورد الأصمعيُّ حكايةَ بيتِهِ المشهورِ ذاك ومناسبته، "كانَ لبشَّارٍ مَجلِسٌ يجلسُ فيه

---

[1] ينظر: السقطي، رسمية، **أثر كف البَصر على الصورة عند أبي العلاء المعري**، ٣٠ .

[2] التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ١٣٨/٧ .

[3] ابن منقذ، **البديع في نقد الشعر**، ٢٩٧ .

[4] ينظر: العلي، عدنان عبيد، **شعر المكفوفين في العصر العباسي**، ٣٢ .

[5] الأصفهاني، **الأغاني**، ١٦٦/٣ .

يُقال لَه (البَرْدَان)، وكانَ النِّساءُ يحضُرْنَهُ فيه، فبيْنَما هو ذات يومٍ في مَجلسه إذْ سمع كلامَ امرأةٍ في المجلسِ فعَشِقَها، فدعا غُلامَهُ، فقالَ: إذا تكلَّمتِ المَرأةُ عرَّفْتُكَ فاعرِفْها، فإذا انصرفَتْ من المجلسِ فاتْبَعها وكَلِّمها وأَعْلِمها أني لها مُحِبٌّ؛ وقالَ فيها:

البسيط

يا قُومُ أذْني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ والأُذْن تعشــقُ قبلَ العيـنِ أَحْيانَا

قالوا بمَنْ لا تَرى تَهذي فقلتُ لهـم الأُذْن كَالـعينِ تُوفي القَلبَ مَا كَانَا

هـلْ منْ دَواءٍ لِمَشْغُوفٍ بِجَاريـــةٍ يَلْـقَى بلُقْيَـانـِها رُوْحـًا ورَيْحانـا"[1].

"وهنا يقرنُ الشَّاعرُ العشقَ بالسَّمعِ، ويُعطي الأُذُنَ وظيفةَ العِشْقِ العَامِّ الذي يقتصرُ على الصَّوتِ دُونَ الرُّؤيةِ. ثمَّ يقدِّم تبريرًا واضحًا في الأُذن التي تعشقُ قبلَ العينِ، فهو يستعيرُ هنا مألوفةً اجتماعيّةً يقبلُ بِها القارِئُ مَبدئيّا، ويَنْسى مَعَها مُعاناةَ الشَّاعِرِ، ولأجْلِ أنْ يصيرَ الشَّاعرُ في هذا البيتِ حَالةً صادقةً أمامَ القارئِ فإنّه يُلحِقُ قَوله (أحيانًا) لِيعطيَ استثناءً يحقّقُ به قَبُولَهُ في ذِهْنِ قَارِئِه"[2].

ونرى الأذنَ المُشنَّفة التي تُحاكِي صَوتَ المَعشوقِ، الذي يَدخُل مُتسلِّلاً إلى القلبِ خِلسةً بدونِ استئذانٍ منه ولا طلبٍ، فكأنَّ هذا الصَّوتَ يُحاكِي جَمالَ المَحبوبَةِ (الغزال الجميل)، وتَتوظَّفُ عَناصِرُ الطَّبيعةِ في تصوير لوحةٍ غِنائِيَّةٍ من تِلكُم العَناصرِ، فيَصِفُ ابن الرّوميِّ صوتَ المُغنين في مهرجان، "إذ شاعتْ في عَصْرِهِ التَّهنئة بعيد النّيروز، وبيوم المهرجانِ الكبيرِ، فضلاً عن عيدي الفطر والأضحى. وكان يهنئُ بها الوُلاةَ من أمثالِ عُبيد اللهِ بن عبدِ اللهِ؛ حاَكِم بغدادَ حينئذٍ، وقد هنَّأهُ بما يَقرُبُ من عشر قصائد، وتتضمّن قصيدته النونيَّةُ في يوم المهرجانِ وصفًا لدُنيا الأمير وخاصَّةً الربيع"[3]. قالَ مِنها:

الخفيف

ذَلِكَ الصَّوتُ فِي المَسَامِعِ يَحْكِي ذَلِكَ الغُصْنَ فِي العُيونِ الرَّوَانِي

---

[1] الأصفهاني، **الأغاني** ١٦٦/٣، والأبيات لبشار في **ديوانه**، ٢٠٦/٤-٢٠٧ .

[2] ريكان، **نقد الشّعر**، ١٣١ . نقلًا عن: العلي، عدنان عبيد، **شعر المكفوفين في العصر العباسي**، ٣٦ .

[3] أبو زيد، سامي يوسف، **ابن الرومي: قراءة نقديّة في شعره**، ٧٦ .

جَهْوريٌّ[1] بِلا جَفاءٍ عَلَى السَّمْـــ ـــع مَشوبٌ[2] بِغُنَّةِ الغِـــــزلان

فيـه بَمٌّ[3] وفيه زِيرٌ من النَعَـــــ ـــمِ وفيه مَثالِـث وَمَثانِـــــــي

فتراهُ يَجِـلُّ في السَّمــع حينًـــا وتَراه يَـدقُّ في الأحْيـــــانِ

رخَّمَتْهُ[4] ورَقَّرَقْتْهُ وَضَـــاهَـــــى فِعْلَهَا الأحــمرانِ والأسمـــرانِ

فَهْوَ يَحْكِي تَرْقْرُقَ النِّهْيِ[5] فِي الرِّيـ ـــح لِعَيْنَيْ ذِيْ غُلَّةٍ[6] صَدْيـــــانِ

يلِجُ السَّمعَ مستمرًّا إلى القَلـــــ ـــبِ بـلا آذِنٍ ولا استئـــــذان[7]

وفي حديث ابن نُباته السَّعديّ[8] عن الحب، يَجعل الأسماع ثاني مَطافات الحُبِّ عندما يَغيبُ مَن أحبَّ عن صُورتِهِ المَاثلة أمامهُ، في بلدٍ يسوقهُ الشَّوق إليهِ حَنينًا وأنينًا، فَيكونُ سَمْعُهُ مُوْغِلاً في القلب، عَصيًّا على النِّسيانِ، وقد قالَ مَادِحًا فيها (فَخْرَ الملك)[9] وقد أنفذَها إليهِ إلى الأهوازِ، قالَ:

الخفيف

وتُراعِي حَبَّ القُلوبِ فما تُحـــ ـــمى عَليها أعطانُها[10] والمَراعِي

وإذا الأوجُهُ اجتليْنَ على الأَعـ ـــينِ ظَلَّتْ تُجلـــى على الأسْمَاعِ[11]

---

[1] جَهْوَري: الصوت العالي، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جَهَرَ) .

[2] مَشُوب: مُختَلَط، **نفسه**، مادة (خَلَطَ) .

[3] بَمٌّ: حِكايَة بَعضُ أصواتِ العودِ، ابن عبّاد، **المحيط في اللغة**، مادة (بمّ) .

[4] رخّمَ: ليّن في المَنطق، **نفسه**، مادة (رَخَمَ) .

[5] النِّهي: الغدير، حيث ينخرم السَّيل في الغدير فيوسَّع، الفراهيدي، العين. مادة (نهى) .

[6] غُلَّة: شدَّة العَطش وحرارة الجَوف، ابن سيدَه، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة (غَلَّ) .

[7] **ديوانه**، ٤٢٢/٣-٤٢٣ .

[8] هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد، ولد ببغداد سنة ٣٢٧هـ، وتوفي سنة ٤٠٥هـ، ينظر: **ديوان ابن نُباته، مقدمة المحقّق**، ٢٢/١-٢٥. وينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٢٤١/١٢-٢٤٢، ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ١٤٠/٥ .

[9] هو فخر الملك، أبو غالب محمد بن علي بن خلف، وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي، يقال له ابن الصيرفي، ولد سنة ٣٥٤هـ ونشأ بواسط، وكان من أعظم وزراء بني بويه، قتله سلطان الدولة سنة ٤٠٧هـ، **ديوان ابن نُباته، هامش التحقيق**، ٤٥٩/٢. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ١٦٠/٧ . وينظر: ابن برْدي، **النجوم الزاهرة**، ٢٣٥/٤ .

[10] الأعْطانُ: ما حول الحوض والبئر من مبارك الإبل، الفراهيدي، **العين**، مادة (عَطَنَ) .

[11] **ديوانه**، ٥٣١/٢ .

ونَجدُ الشَّاعِرَ السَّريَّ الرَّفَّاءَ[1] يجعل من مَسمَع المَمدوح فَخرًا، فِي استعارةِ السَّمع عن الأيدي المُتصافِحَةِ، فذِكْر المَمدوح يجعل القلب مُتبسمًا والضميرَ مُرتاحًا، صَانعًا شاعرنا من القلب إنسانًا مُتَبَسِّمًا فأَحْسَنَ فيه التَّشخِيص، والتَّشْخيصُ عَمليّةٌ نفسيّةٌ خالصَةٌ تَجعلُ العملَ الأدبيَّ مُمَارسةً حياتيّةً حِسيّة تُمثّلُها الألفاظُ في إشعاعَاتِها لتُوحيَ دِلالاتٍ رَمزيّةً[2]، ويَتجلَّى ذلكَ في قَولِهِ:

الوافر

ومَدْحٍ فوَّقَتْهُ لَكَ المَعَالِـــــــي فَجَاءَ كَأنَّه بُـــــــرَدٌ قَشِـيْبُ[3]

إذا مَا صَافحَ الأسْماعَ يومًـــا تَبسَّمَتِ الضَّمـــائرُ والقـلوبُ

فَمِنْ حُسْنِ الصَّنائعِ فِيْهِ حُسْنٌ ومِن طِيبِ المَحَامدِ فِيهِ طِيبُ[4]

وفي الحديث عن الأذن وعلاقتها بالقلب، يَتَغَنَّى الشّاعر مِهيارُ الدّيلميُّ[5] بمَمدُوحِهِ، مُلقيًا قَصيدَةً في مُناسبة عيد (النَّيروز)[6]، جاعِلاً في لسانه فصيح القول والمدح، وتِلكمُ المَدائحُ إنَّما هي جميلةٌ في أذُن السَّامِعِ، خفيفةُ الظِّلِّ والوقْع، وثَقيلةٌ على كُلِّ قلبٍ كَارِهٍ لِمَمدوحِهِ. فنراه يقول:

الطويل

فَمَهْمَا يَطُلْ هذا اللِّسانُ ويتَّسعْ لـه القولُ تُسمعْها فِصاحا وتُرواها

خَفَائِفُ فِي الأَسْمَاعِ وِهْيَ ثَقَائلٌ عَلَى قَلْبِ من يَشنا عُلاكَ ويشناها[7]

---

[1] هو السَّريُّ بن أحمد الكِندي، وكُنيتُه أبو الحسن، ولقبه الرَّفاءُ، وُلدَ بالمُوصل، ولم يذكر أحدٌ من مؤرخيه تاريخ ميلاده، حتّى إنَّ السنة التي توفي فيها مشكوكٌ في صحّتها توفي عام ٣٦٢هـ. **ديوان السّري الرَّفاء، مقدمة المحقّق،** ٥. وكان في صباه يرفو ويطرِّز بدكان في الموصل ويقول الشعر حتى حذق به، وكان شاعرًا مطبوعًا، متفنّنًا بالوصف والتّشبيه، مدح سيف الدولة، ثمَّ وشى به الخالديان حتّى طرده سيف الدّولة. ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات،** ١٥/٨٥-٨٦ .

[2] ينظر: إسماعيل، عز الدين، **الأسس الجماليّة في النّقد العربي،** ٢٠٩ .

[3] قَشيب: جديد، الجوهري، **الصّحاح،** مادة (قَشَبَ) .

[4] **ديوانه،** ٤٦ .

[5] هو أبو الحسين مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسي الديلميُّ الشاعر المشهور، كان مجوسيا فأسلم، وكان شاعرًا أديبًا وفاضلًا، تتلمذ للشريف الرضي، وتوفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة هجريّة. **ديوان مِهيار الدَّيلمي، مقدمة الديوان، الجزء الأول، (و)**، ينظر ترجمته: ابن خلكان، **وفيات الأعيان،** ٤/٤٤١ .

[6] النَّيروز: من أعياد الفُرس ويكون في أول الربيع، وهو أول السنة الشمسيَّة، **ديوان ابن الرومي، هامش التحقيق،** ١/٣٢ .

[7] **ديوانه،** ٤/١٨٦ .

وللحبيبِ نصيبٌ عند الشَّاعرِ الخُبزأرزيِّ، فيجدُ العذرَ طريقًا إلى قلبِ مَحبوبتِهِ مِمَّا اجتنتهُ يداهُ بلْ لا تكادُ، فكيفَ يَعتذر من جرمٍ لم تَقترِفْهُ يداهُ؟! إذْ يؤثِرُ الاعتذارَ خوفًا من ذهابِ الحبِّ بينَهما وإنّه يريدُ لذنْبهِ ألّا يُفسد الودّ، فليسَ العِقابُ بِالصدّ حَلًا يرتَضيه، ومَا هُناكَ وَسيلةٌ للتّقرُّبِ من الحبيبِ إلّا سَماعُ صوتهِ ورؤيتُهُ. يقولُ:

البسيط

قد يَحْسُنُ العذْرُ مِمَّنْ كانَ مُجْترِمًـا وما اجترَمتُ فَصِف لي كيف أعتذرُ

بل يُغفَر الذَّنْبُ مِن قَبلِ العِقابِ بِـهِ وأيُّ شَيءٍ إذا عاقبتَ يُغتَفَـــــرُ

وأيُّ شيءٍ أقودُ القـلبَ عنكِ بِـــهِ وقَائداهُ إليك السَّمعُ والبَصَـــــرُ[1]

ولنعُدْ إلى قصيدة ابن الرّوميِّ الشَّهيرة الطَّويلة، السَّابق ذِكرُ بَعض أبياتِها في وَصْف المَهرجانِ لِنراهُ يصفُ خطبة الملك (عُبَيْد الله بن عَبْدِ اللهِ)[2] في المَهرجان، وما رَافَقَهُ مِنْ أصواتِ المُوسيقى والغناءِ، فالقلوبُ هُناكَ فَرِحَةٌ بِما تَسمع، والهواءُ يسوقُ المُوسيقى إلى الأَسماعِ، فترتاحُ نتيجتَها القلوبُ وتفرحُ بصوت المعازف، وقدْ كنَّى عن حُسْنِ مَمدُوحِهِ بـ (ثَرِّ البنان)، كِنَايَةً عن الكَرَمِ، لأنَّ ابن الروميّ يَطلبُ الرِّفْدَ مُبَطَّنًا، أمَّا مدائحُ المَلِكِ فتَنهالُ عَليه تَترى من أفواهِ الغوانِي الجميلاتِ، فيُنشِدُنا:

الخفيف

فكأنَّ القُلوبَ إذ ذَاك يَذْكـــرْ نَ عُهودًا لَهُنَّ في أوْطَانِ

فَنَفَثْنَ السَّمَاعَ فِي أُذْنِ خِرقٍ[3] أَريَحيٍّ[4] عَليْهِ ثَرِّ البَنـــانِ

وتَغنَّته بالمَدائـــــــحِ فِيهِ كُلُّ غَيْداءَ غَادةٍ مِفتـــانِ[5]

---

[1] **الموسوعة الشعرية**، لم أجد الشعر في **ديوان الخبزأرزي** .

[2] هو عبيد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد، وقد يعرف بابن طاهر، أمير من الأدباء والشعراء، انتهت إليه رياسة أسرته. ولي شرطة بغداد ومولده ووفاته فيها، كان مهيبًا رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي، له براعة في الهندسة والموسيقى، ولد سنة ٢٢٣هـ وتوفي سنة ٣٠٠هـ، **ديوان ابن الرومي، هامش التّحقيق**، ٣١/١. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ١٩٥/٤ .

[3] خِرْق: يَتَخَرَّق في السَّخاء، يتَّسِعُ فيه، الزّمخشري، **أساس البلاغة**. مادة (خرق) .

[4] أريحيُّ: إذا كان سَخِيًّا، الزبيدي، **تاج العروس**. مادة (رَوَحَ) .

[5] **ديوانه**، ٤٢٢/٣ .

ولو طالعنا قصيدةً أخرى لابن الرّوميِّ، يَحضُّ فِيها على مَكارم الأخلاقِ، ونَطَرْنَا البيتينِ الأوَّل والثاني من القصيدةِ لوجدنَا ابن الرُّوميِّ يَهجو إذا لمْ يَنل رِفْدًا أو عطيَّةً، وقد فعلَ، فهو يَمدح فَيرسمُ مَنطقَهُ هُناك، لِيقولَ هذا مَنطقي الذي لا منطقَ مِثلهُ في المَدح، فظاهرُ الأمرِ مدحٌ لا يشكُّ به السّامعُ، وبَاطِنُهُ قَدْحٌ، إذ القلبُ يعي ويفهم مُرادهُ حينَ سماعِهِ.

"وقد فَطِنَ ابن الروميِّ إلى خِططِ الممدوحينَ، فكانَ يُضمِّنُ قصيدتَهُ وجهينِ من المَعانِي، إذا أُثيبَ سكتَ وإنْ لم يُثبْ صرَّحَ بأنَّ قصيدتَهُ كانتْ تَحملُ هِجاءً للممدوحِ، وقد صرَّح بذلكَ في أكثرَ منْ مَوضِعٍ في شِعرِهِ"[1]. فيقول:

الطويل

فتمدحُهُ بالفَهم والجُودِ صَامتًـــــا ولمْ يَحتفلْ ذُو مَنطِقٍ كَاحْتِفالِكـا

هُنالِكَ أسْمَعْتَ القُلـوبَ مَديحَـــــهُ وإنْ أنتَ لم تُسْمِعْهُ أذْنًا هُنالِكـا

مَديْحًا يَعيه القَلبُ لا السَّمعُ سَالكًا مَسَالكَ ليسَ القولُ فيهنَّ سالِكـا[2]

د- القلب والأنف:

ونجدُ ابنَ الرُّوميِّ يمدحُ (أبا عَليٍّ، الحسنَ بن إسماعيلَ بن إسحاق بن القاضي)[3]، ونجدُهُ يَمدحُهُ مُستشْهدًا عَلى ذَلك بِحاسَّة الشَّمِّ، إذ يشم عَيبهُ في أنفهِ فكأنَّها المِسكُ، وكأنّه يريد أنْ يقولَ لهُ: لم أجِدْ لكَ نَقيصَةً ولا خُبْثًا ولا نَتَنًا، لذلك فإنّهُ يجعلُ من القبيحِ جميلًا فيقلبُ الحَقائقَ، وعيبُ مَمدوحِهِ مِسْكٌ يُشمّ في الأنوفِ، فيبعثُ الرَّائحةَ لِترتاحَ بِها القلوبُ، في قصيدةٍ استَهدى مِن بعضِ إخوانِه فِيها بخورًا، يقول فيها:

المنسرح

وذاكَ عَيْبٌ كَأنَّهُ ذَفَرُ[4] الــ مِسْك إذا شُمَّ نشرهُ رُشِفـــا

---

[1] الكعبي، ماجد عبد الحميد، **الحركة النقدية حول شعري البحتري وابن الرومي**، مقالة، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، ص٧ . الشبكة العنكبوتيَّة، http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=٨٧٩ .

[2] **ديوانه**، ٢٤/٣ .

[3] هو ابن إسماعيل بن إسماعيل بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم. كان إسماعيل فقيهًا فاضلًا على مذهب مالك، وانتهى إليه القضاء. مات سنة ٢٨٢هـ. **ديوان ابن الرومي، هامش التّحقيق**، ١١٦/١. ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، ٢٨٢/٦ .

[4] ذَفَر: شدّة ذُكاء الريح من طيب أو نتن، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ذَفَر) .

وليسَ يَروي كَثيرُ مَائِكَ بَلْ مَا طَابَ مِنْهُ لِشاربٍ، وَصَفَا

إنَّ الكثيرَ الخَبيثَ مُقْتَحِمٌ فِي العَينِ والقَلبِ يَبعثُ الأنفا[1]

وكتبَ أبو فِراسٍ الحَمْدانِيُّ، وهو في سجنهِ عندَ الرُّوم، إلى غلامهِ مَنصورٍ، يُواسي نفسه: إنِّي لأجِدُ ريح منْصورٍ لولا أنْ تُفنِّدونِ. فقد هيَّجتْ ريحُ الشّامِ قلبهُ المشتاقَ إلى أحبابهِ هناكَ. والرّيحُ الشَّاميَّةُ باردةٌ رقيقةٌ، تحملُ مَعها رائحةَ ترابِ الشَّامِ التي بها الأهلُ والخِلّان والأحبابُ، ولا تَخصُّ هُنا إلَّا الحَمْدانِيَّ بمَشاعره المُرهفةِ، البعيدةِ مَكانيًّا عن بَلَدهِ الذي أحبَّ، القريبةِ بِمشَاعِرِها فِي قلبهِ الذي فَهمَهَا فوَعَاهَا. قال:

السريع

يا لَيلُ؛ ما أَغفَلُ، عَمّـــا بـي حَبائِبـــي فيكَ وَأَحْبَابِـــي

يا لَيلُ، نامَ النَّاسُ عَنْ مُوجَعٍ ناءٍ، عَلى مَضْجَعِهِ نَابِـي

هَبَّتْ لَهُ رِيـــــحٌ شَآمِيَّـــةٌ مَتَّتْ إلـى القَلْبِ بِأَسْـبابِ

أَدَّتْ رِسَالاتِ حَبِيـــــبٍ لَنـــا فَهِمْتُها مِن بَينِ أَصْحَابِي[2]

وفي وَصْفِ الطَّبيعةِ نَرى الشَّاعِرَ السَّريَّ الرَّفَّاءَ يَذكُرُ زَهرَ (الآذريون)– وهو الأُقْحُوانُ فِي لُغةِ العَرَبِ– وقدْ مَلأ البُستانَ وشَاكَلَهُ المِسكُ بين زهورِهِ، فالرَّائحةُ المُنبعثَةُ من المِسْكِ مُختلِطةً بالأقحوانِ تَجعلُ الرَّائحةَ منْ أجملِ ما يَكونُ، فَتُحيي قَلبَ الشَّاعرِ وتهيِّج أحَاسيسَهُ. ويَعتمِدُ الشّاعرُ التّشْخيصَ في وصفِهِ لذلكَ الزَّهرِ والرَّوضِ، إذْ يَجعَلُهُ مُشَابِهًا للعيونِ نَهارًا، وعندَ المساءِ يَجعلُهُ أزْرَارًا فِي ثوبٍ. يقول:

الطويل

وروضةُ آذَرْيـونَ[3] قد زُرَّ وسْطَها نَوافـجُ[4] مِسْكٍ هيَّجَت قلـبَ مُهتاجِ

---

[1] **ديوانه**، مع فروق ترتيب الأبيات وإسقاط أبياتٍ قبل البيت الأخير، ٢/٤١٤– ٤١٥ .

[2] **ديوانه**، ٢/٥٢ .

[3] آذريون: الحَنْوةُ، وهي قليلة شديدة الخُضرة، طيبة الريح، وزهرتُها صفراء، وليست بضخْمةٍ، ابن سيدَه، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة (حنو) . هو نبات يقال له أيضًا بخور مريم، وهو نوع من الزهر الأصفر أو الأحمر الذي يكتنفه السَّواد في وسطه. **ديوان السَّري الرَّفاء، هامش التّحقيق**، ١١٧ .

[4] نوافِج: النافجة، وعاء المِسك، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (نَفَجَ) .

تراها عُيونًا بالنَّـــــهارِ روانيَـــــا وَعِنْدَ غُروبِ الشَّمسِ أزرارَ(ديباجِ[1])[2]

وقال الرَّاضي باللهِ[3] في وصْفِ النّيْلُوفَرِ، مُشبِّهًا ريق الحَبيبِ بالخمرةِ، وقَدْ صُبَّ لهُ بذلكَ النَّبتِ خَمْرٌ، أحيا القلبَ بطيبِ رائِحَتِهِ حينَ شمَّهُ، وبدتْ رَائحتُهُ كرائحةِ الحَبيبِ العَطِرِ، حتَّى أشبَه الشَّاعرُ النيلوفرَ في انفتاحه بنومةِ حبيبِه المَعشوقِ، ووصَفَهُ في انْغِلاقِهِ كجفنِه العَاشِقِ النّائم الجَميلِ. فقال:

الطويل

سَقانِـيَ صَفْوًا مِنْ سُلافٍ كَرِيقِـــهِ وحَيَّا فَأَحْيـا قَلْبَ لَهْفانَ وامِـــــقِ[4]

بِنَيْلُوفَرٍ[5] مِثْلِ الكُؤُوسِ شَمَمْتُـــــهُ حَكَتْ رِيـحُهُ رِيحَ الحَبِيبِ المُوافِقِ

حَكَى رَقْدَةَ المَعْشُوقِ قَبْلَ انْفتاحِهِ وَبَعْدَ انْفِتاحِ الجَفْنِ تَسْهِيدَ عاشِقِ[6]

هـ- القلبُ واللِّسان:

وفي حَاسَةِ الذَّوقِ- وهُوَ مَحْمُولٌ عَلى المَجازِ- يَصِفُ الشَّاعِرُ البِنبوعِيُّ[7] حَالَةَ تمرُّغِهِ بِالعِشْقِ، فَهُوَ بَكَّاءٌ دائم البُكاءِ مِنْ هَجْرِ الحَبيبِ، وقَلبُهُ مِن الشَّوقِ يَشْتعِلُ، كأنَّ تَحْتَهُ الجَمْر، وقَدْ ذَاقَ مِن أسْبابِ الحُبِّ مَرارةً وحَلاوةً، فَكأنّه جَعل البُعدَ عَلقمًا، والقُرْبَ عَسَلاً، فَذَاقَ مِنْ كِلَيهِمَا. قال:

الهزج

جُــفونٌ دَمْعُها يَجْري لِطُولِ الصَّدِّ وَالهَجْرِ

---

[1] ديباج: الوشاية والجمال في الأرض، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دَبَجَ) .

[2] **ديوانه**، ١١٧ .

[3] هو محمد أمير المؤمنين، الرّاضي بالله بن جعفر المقتدر بالله بن أحمد المُعتضد بالله بن أبي أحمد الموفَّق بن جعفر المتوكّل بن محمد المعتصم بن هارون الرّشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يُكنّى أبا العبّاس، استُخلف بعد عمّه أبي منصور المُلقَّب بالقاهر، استُخلف الرّاضي بالله سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة، وأمه أم ولد رُومية تسمى ظَلوم أدركت خلافته. ومولده في رجب سنة سبع وتسعين ومئتين، وتوفي ليلة السبت لست عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وثلاثمئة، ودفن ليلة الأحد في الرُّصافة، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام. البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٥٢٠/٢، وانظر ترجمته للصولي، **كتاب الأوراق، قسم أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، ١-٣ .

[4] وامِق: محبّة لغير ريبةٍ، ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة (وَمق) .

[5] نَيلُوفَر: المُستعمل في الطّيب، وشَمُّه نافع من الأمراض، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (نَيلوفر) .

[6] الصولي، **كتاب الأوراق، قسم أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، ١٧٨ .

[7] هو أبو الدُّلَفِ الخَزْرَجِيُّ اليَنْبُوعِيُّ، مِسْعَرُ بن مُهَلْهِلٍ، شاعر كثير الملح والظرف، خنق التسعين في الإطراب والاغتراب، وركوب الأسفار والصِّعاب، كان ينتاب حضرة الصاحب، ويكثر المقام عنده . الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ٤١٣/٣-٤١٤ . له رسالة في أخبار رحلته إلى إيران الغربية والشمالية وأرمينية، توفي نحو ٣٩٠هـ. الزركلي، **الأعلام**، ٢١٦/٧ .

وقلـــبٌ تَرَكَ الوَجْـــدَ بِـــهِ جَمْرًا عَلى جَمْرِ

لَقَدْ ذُقْتُ الهَوى طَعْمَيـ نِ مِنْ حُلوٍ ومن مُرِّ[1]

وهَذا أَبُو فِراسٍ الحَمْدَانِيُّ وقَدْ غَلَبتْهُ الحَسرةُ على أُمِّهِ وهُوَ فِي الحَبْسِ، لَمَّا ماتَتْ، "إنَّكَ تَرَى أنَّ المُقدِّمةَ تَدلُّ عَلى أنَّ الشَّاعِرَ يَرثِي أمَّهُ، وَهُوَ فِي أَسْرِهِ، فَهِيَ إِذًا قَد مَاتَتْ قَبْلَهُ، ولَكِنَّ ابنَ خِلِّكانِ يُورد غَير ذَلكَ، إذْ يَقولُ:(فِي الجُزءِ الأوَّلِ، صَفحة، ١٢٨طبعة مصر،١٣١٠هـ): قَالَ غيرهُ: (وكَانَ أَبُو فِراسٍ خَالَ أَبِي المَعَالِي، وَقَلَعَتْ أُمُّهُ (سَخِينَةُ) عَينَهَا لَمَّا بَلَغَهَا وَفَاتُهُ، وَقِيْلَ إنَّها لَطَمَتْ وَجْهَها فَقُلِعَتْ عِينُها)"[2].

ويَستذكرُ فيها أَبو فِراسٍ أُمَّهُ عِنْدمَا يَرثِي حَالَتَهُ وَهُوَ أَسِيرٌ عِندَ الرُّومِ، وقَدْ ذَاقتْ مِن البَلاءِ مَا ذَاقتْ قَبلَ مَوتِها، لمَّا أنْ رحَلَ عَنْها أسيرًا لا تَعلَمُ مِنْ حَالَتِهِ شَيْئًا! لِيستحضِرَ المَوتَ بِذِكْرِ المَلائِكَةِ فقالَ معزِّيًا فِيهَا نَفْسَهُ:

الوافر

وَقَدْ ذُقْتِ المَنَـايَـا والرَّزَايَـــا وَلا وَلَدٌ لَدَيـــــكِ وَلا عَشِيرُ[3]

وَغابَ حَبيبُ قَلْبِكِ عَن مَكانٍ مَلائِكَةُ السَماءِ بِهِ حُضُورُ[4]

وفي شعرٍ نُسِب إلى الحلّاج، تأبَى فيه نَفْسُ مَمدوحِهِ (الحُسين) خُضوعًا حَتَّى لَو ذاقَ مِن المَوتِ مَا ذَاقَ، لأنَّ اللهَ قد خصَّ أولِياءَهُ الصَّالِحينَ بِالبَلاءِ، فَاستَعَارَ لِلمَوتِ (كُؤوسَ الحِمامِ)، فَي مَعنى أنَّه ذاقَ الموتَ وتجرَّعهُ، فَلن تَرْضَى نَفْسُهُ الموتَ، ولنْ يقولَ قَلبهُ لِسَاقِي تِلكَ الكُؤوسِ: دَعْهَا ولا تَسقِني مِنها، لأنَّهُ سَيذوقُها حَتمًا. فيقول:

المتقارب

أَمَـــــا وَالذي لِدَمـــي حَلَّلا وَمَن خَصَّ أَهلَ الوَلا بِالبَلا

لَئِن ذُقتُ فيكَ كُؤوسَ الحِمام لَما قَالَ قَلبي لِساقَيـــهِ: لا[5]

---

[1] الثعالبي، **يتيمة الدَّهر**، ٤١٦/٣ .

[2] **ديوان أبي فراس الحمداني، هامش التحقيق**، ٢١٥/٢ .

[3] عشير: زوج المرأة، الفراهيدي، **العين**، مادة (عَشَر) .

[4] **ديوانه**، ٢١٧/٢ .

[5] **شرح الديوان**، ٤٨٠. في باب (أشعارٌ نُسبت إلى الحلَّاج)، قصة حسين الحلاج حين ثار به الوجد، ١٠٦ . وأول ٥ أبيات للحلاج والباقي منها لابن غانم المقدسي. الولا : الولاء، البلا : البلاء، وحُذفت همزتهما للضرورة الشعرية .

وليسَ يدرِي ابن الروميِّ أيُّ مَحاسنِ الحبيبِ قد هيَّج لَه حزنَهُ فَجَنحتْ أعْضاؤُه، وفَتَّحَتْ عليهِ مَواجِعَهُ، أهُوَ مَنظرُ الوَجهِ الجَميلِ فِي عَينيهِ عِندمَا يَرى الحَبيبَ، أَم رِيقُ فِيهِ وقد ذاقَهُ، أم وَقْعُ حَديثِهِ المُرهَفِ، أمْ اجْتِماعُ الحبِّ فِي قَلبِهِ، وذاكَ الأَخيرُ جَعَلهُ مُتفنِّنًا فِي الحُبِّ لِيرضَى بِكلِّ عُضوٍ من أعْضَاءِ حَبيبِهِ، وقدْ ذَكَرَ الرِّيقَ فِي الفَمِ، مُصوِّرًا غَزلًا حِسيًّا فَاحشًا، يُدخِلُ الشَّهوةَ والسُّرورَ إلى القَلبِ، وإنّهُ أكثَرُ المَلذَّاتِ هَياجًا في القلبِ لأنّهُ حِسيٌّ فَاحِشٌ، فَبِغيَابِهِ عن الشَّاعرِ تَغيبُ مَعهُ الشَّهوة واللَّذَّةُ. قال:

الطويل

وفــي أربعٍ منّـــي خَلَتْ منك أربــعٌ فلستُ بدارٍ أيَّها هاجَ لـــي كَرْبِـــــــي

أَ وَجهُك في عيني، أم الريقُ في فمي أم النطقُ في سَمعي، أم الحُبُّ فِي قَلبِي[1]؟

ونرى البُحتريَّ يجعلُ اللِّسانَ خالِصًا لمدحِ الخليفةِ المعتزِّ باللهِ، فيُثني عليهِ بقلبهِ الذي لا يُخلِصُ لِغيرِهِ، ولِسَانِهِ الذي لا يمدحُ سِواهُ، وقد ذَكَرَ الشَّاعِرُ مَيْل اللِّسانِ، وهذا شأن يخصُّ الجنان ويسترعي عَطْفَ الإنسانِ، لكنّهُ جَعلَ اللّسانَ بِمرتبةِ القَلبِ في الحُبِّ، فَصَارَ لِسانُهُ كُلًّا واحدًا يَميلُ كَمَا يَميلُ القَلبُ، ويظلّ اللِّسانُ شَاكِرًا، والقلبُ مُحبًّا، وهذا هو الإخلاصُ في قوله:

الخفيف

مَا تَوَلَّى قَلْبِي سِواكُمْ، وَلا مَا لَ إِلى غَيرِكُمْ بِمَـدْحٍ لِسَانِـي

شَأنِيَ الشُّكرُ وَالمَحَبَّةُ مُذ كُنْـ ـتُ وَحَقٌّ عَلَيْكَ تَعظيمُ شَانِي[2]

وفي قَصيدةٍ يَرثِي الصَّنوبريُّ[3] فِيهَا آلَ البيتِ وَيَخُصُّ عَليًا وَفَاطمةَ بِمدائِحِه، يَحنُّ فِيها إِلى الطَّفِّ[4]، لمَا تَحويهِ من قُبورِ بَعضِ آلِ البيتِ، فَيتغزّل بَأرضِها، بَاديتِها وحَاضِرتِها التي لا أرْضَ تَحوِي مِثْلَها مِن النُّجبَاءِ الأطْهَارِ. وقد رمزَ للأرضِ بِامرأةٍ حَامِلٍ تُخبِّئُ الأجنَّةَ في أحْشَائِها فاستخدَمَ التَّوريةَ في كَلِمةِ (تحمل) لِيَجْعَلَها امرأةً وأرضًا، وبذِكرِهَا وسَاكِني مَقابِرها يكبُرُ حبُّها في قلبهِ، كَمَا

---

[1] **ديوانه**، ٢٤٣/١ .

[2] **ديوانه**، ٢٢٧٤/٤ .

[3] هو أحمد بن محمّد بن الحسن بن مرار الضّبي، يُكنَّى أبا بكرٍ، نشأ بحلب وقضى أكثر وقتهِ فيها، ولفظة الصنوبريِّ اكتسبها من جدِّه حيثُ لُقِّبَ بالصَّنوبر لِجِدَّة ذَكائِهِ، وصف الطَّبيعة ومظاهرها، كانت وفاته سنة ٣٣٤هـ. ينظر: **ديوان الصَّنوبري، مقدّمة المُحقّق**، ١١/١ .

[4] الطَّف: أرضٌ من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن علي، وهي أرض بادية قريبة من الريف، الحموي، ياقوت **معجم البلدان**، ٣٦/٤ .

يَكبُرُ الجَنينُ، ويُفاخرُ القلوبَ الأُخرى وَيزهو كِبرياءً عَليها، وقد ارتَبطَ حُبُّ القَلبِ باللِّسانِ ليكونَ تُرجُمانَهُ الذي يُحْسنُ الوَصفَ، إذْ لا يتكبَّرُ أو يَزِلُّ في المَدحِ والوَصْفِ، فَيقولُ:

الكامل

تِلكَ التِي لا أرْضَ تَحْمِلُ مِثْلَها لا مثلَ حَاضِرِهَا ولا بَادِيْـــهَا

قَلبِي يَتيهُ عَلى القُلوبِ بِحُبِّـها وَكذَا لِسَانِي لَيسَ يملكُ تِيــها[1]

ونلحظُ الشَّاعرَ مَحمود الورَّاق يغايرُ الواقع، لِيتخلّى عن حبيبِهِ، فقد عافَ حُبَّه، ومَحا ذِكْره من قلبهِ وأذنهِ ولِسانِهِ، لأنّه قد يئِسَ مِنْهُ، وفَضَّلَ اليأسَ في حبِّه على الطَّمعِ فيهِ، وتَعليلِ نفسهِ بالخديعةِ التي لم يرضَها، وهو مُقتنعٌ بما فعلَ حِينَ يقول: (فكُنْ على ثِقةٍ أنِّي عَلى ثِقةٍ)، ليضْفي جَرْسًا موسيقيًّا جميلاً للسَّامع، ثمَّ يقرن الشَّاعرُ لسانَهُ الذّاكرَ لِلحبِّ بقلبهِ، لأنّ اللِّسانَ يُعبِّر عَن الحُبِّ بِطريقتِهِ فَيظلُّ ذَاكرًا لاسمِ الحَبيبِ بِلا وَعْيٍ ولا إدْراكٍ، وهُوَ مَا مَحَاه الشَّاعِرُ مِن ذِكرِهِ، مُصَرِّحًا بذلك علانِيةً، ليقول:

البسيط

حَدَّثتُ بِاليَأسِ عَنكَ النَفْسَ فَانصَرَفَت وَاليَأسُ أَحمدُ مَرجُوٍّ مِنَ الطَمَـــــعِ

فَكُنْ عَلى ثِـــقَةٍ أَنّي عَلى ثِـــــقَةٍ أَلَّا أُعَلِّلَ نَفـــــسي مِنكَ بِالخُـــدَعِ

مَحَوتُ ذِكرَكَ مِن قَلبي وَمِن أُذنـــي وَمِن لِساني فَصِلْ إِن شِئتَ أَو فَدَعِ[2]

أمَّا الدَّيلميُّ فقد قالَ قصيدةً طويلةً يصفُ فِيهَا مَناقِبَ أميرِ المُؤمنينَ عَليِّ بن أبي طالبٍ ويُدافعُ فيها عن حقِّهِ، فسِلاح الشَّاعرِ لسانُهُ الذي يقذفُ بهِ الأعداءَ، ويقول الشَّاعرُ مُخاطبًا عليًّا بأنّي قدْ دافعتُ عنك بِلسانٍ هُو أمْضَى من السَّيف وأحَدُّ، وإنَّ لساني قد وصَّلَ المديح إلى قلبك يا أمير المؤمنينَ، فَكَلِمَاتِي أَمْضَى مِن السُّيوف المُرهَفَةِ. قال:

البسيط

جَاهدتُ فيْكَ بقولِي يومَ تَخْتَصِمُ الـ أبطالُ إذ فَاتَ سَيفي يومَ تَمْتصِـعُ[3]

إنَّ اللِّسانَ لوصَّـــالٌ إلى طُـــرُقٍ في القَلبِ لا تَهْتَدِيْهـا الذُّبَّلُ الشُّرُعُ[4]

---

[1] **ديوانه**، ٤٦٢/٢ .

[2] **ديوانه**، ١٤٥، ابن عبد البر، **بهجة المَجالس**، ١٦١/١ .

[3] المُماصعة: المُجالدةُ بالسّيفِ، الفراهيدي، **العين**، مادة (مَصَع) .

[4] **ديوانه**، ١٨٤/٢ .

و – القلب واليد:

وقال ابنُ هذيلٍ القُرطبي[1] يصفُ آلةَ الرَّبابِ، وهي آلةٌ للعزف تُشبُهُ العُودَ لَكنّها أصغر حجمًا منهُ ، وصوتُهَا مُختلف، تُنتِجُ أنغامًا تُقلِّدُ أنغام أهل فارس، ويشبِّه القرطبيُّ آلةَ الرَّبابِ عندما تعزف أيدي صاحبِهَا عليها بالمنشار، فكأنَّ قلبَهُ يُنشر بتلك الآلة كلَّما عزف عليه العازِف، لجمالٍ وَقَرَ في قلبِهِ فَيزيده عذوبةً علي عُذوبةٍ، إذْ يُشبِّهُهُ بصوتِ سَيِّدنا داودَ الجميلِ وقد سكَن الرَّباب فأيقظه وهيَّأه ليقرأ سورًا من الزبور كُلَّما عزف الرّبابَ العازِفُ. فيصفُهُ:

المنسرح

يُخالفُ العُودَ في تَصرُّفِهِ وَهْوَ علَى خَلْقِهِ وإنْ صَغُـرا

وإنَّما يَحْتَذي علَى نَغَـمٍ منْ حِكَمِ الفُرْسِ كلّما حضَرا

كأنَّـه في يَدَيْ محـــرِّكِهِ يَنشُرُ قلبـــي به وما شعرا

كأنَّ داودَ حين يُوقظُـــهُ يقرأُ فيه الزَّبـــورَ والسُّوَرا[2]

وهذا ديكُ الجِنِّ[3] يصفُ مشهدًا من مشاهدِ الوداعِ، يُصوِّرُ فيه حالتَهُ في مكابدة الهوى، وقدْ لزِمَ الطَّبيبَ لينظُرَ ما أصاب قلبَهُ، فراح الطبيبُ يمسك يده ويُحسُّها، ومريضُهُ المُتيَّمُ يشكو إليهِ الوجعَ في القلبِ، إذْ ليسَ في يده الوجعُ، والمحبّة في قلبه وليست في يديه، وأخبر طبيبَهُ أنْ ليس تلوُّنُ وجهه بالصُّفرة من الحُمَّى، بل من احتراق كبده بهوى الحبيب، فلا علاجَ له عند الطّبيبِ وإنَّما عِلاجُهُ الوحيدُ رؤيةُ منْ يهواه، فقال:

البسيط

جَسَّ الطّبيبُ يَدي جَـــهْلاً فقلتُ لهُ إنَّ المَحَبّةَ في قَلْبي فَخَلِّ يَـــدي

---

[1] تميمي النسب، قرطبي، يكنى أبا بكر، وُلد سنة ٣٠٥هـ، وتتلمذ على قاسم بن أصبغ وابن أيمن وأحمد بن خالد، ثم غلب عليه الشعر وقد طال عمره، وكُفَّ بصره، وكانت وفاته ليلة الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ٣٨٩هـ. ابن الكتاني، **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، ٣٣٨/٣ .

[2] **نفسه**، ١٠٨/١ .

[3] هو دِيكُ الجِنِّ الحِمْصيُّ، عبد السَّلام بن رَغْبانَ بن عُبيد السَّلام بن حَبيب، أبو محمَّد الكلبي الحمصيّ، وُلد سنة ١٦٦هـ وتوفي سنة ٢٣٦هـ في خلافة المُتوكِّل. يُنظر: **ديوان ديك الجِنِّ، مقدّمة المُحقِّق**، ١٨–٢٣، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ٣٣/١٤، سمي بديك الجِنِّ لأنَّ عينيه كانتا خضراوين، ينظر: النويري، **نهاية الأرب، هامش التحقيق**، ٩٤/٣ . وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ٥/٤٠ .

ليسَ اصْفِراري لِحُمّى خامَرَتْ[1] بَدَنـي لكنَّ نارَ الهوى تَلْتَاحُ[2] في كَبِدِي

فقـــال: هذا سَقَامٌ لا دَواءَ لَـــهُ إلاَّ بِرُؤْيَةِ مَنْ تَهْواهُ يا سَنَـــدِي[3]

"وأمَّا تغيير الألوانِ عندَ العَيانِ من صُفْرَةٍ وغيرِهَا، فتغيُّر لونِ المُحبِينَ إذَا وَقَعَتِ العِينُ في العَينِ وهَرَبَ الدَّمُ إلى شَبَكَةِ الدِّماغِ، فَقَد عَلَّلَ سَبَبَ اصْفِرارِ وَجهِ العَاشِقِ الفَزَعُ، فإنَّ الدَّمَ لا يَأوي مَع الفَزَع، وربَّما نَظَرَ المَعشوقُ إلى العَاشِقِ فَجأةً فيضطَرِبُ قلبُهُ وتَشْتَعِلُ الحَرَارَةُ ثُمَّ تَخْمِدُ"[4].

وفي هجاءٍ يجمع فيه الشَّاعرُ الخُبزأرْزيُّ الحوَاسَّ كُلَّها، لُيرينا بأنّ الحُبَّ قد يُعمِّي على الشَّخصِ، فكيف لو كان ذلك الشَّخصُ أعمى في واقعِ الأمرِ؟ فيُبيِّنُ حالةَ زواجِ أعمى بفتاة ليستْ منْ الجَمالِ فِي شيءٍ، لا في صَوتِها ولا ريحِها ولا شَكْلها ولا مَلْمَسِها، أمّا مَلمَسُهَا فكَمَلمَسِ الشَّوكِ في خُشونَتِهِ، يُنفِّر القلوبَ مِنْه. فيقول فيها:

البسيط

الحُبُّ أَعْمَى، وَذَا أَعْمَى يُحِبُّ، وَذَا عَلَى القِيَاسَينِ أَعْمَى القَلْبِ وَالبَصَرِ

لَوْ كَانَ مَعْشُوقُهُ ذَا مَنْطِـــقٍ حَسَنٍ أَوْ مَلْمَسٍ نَاعِمٍ أوْ مَفْشأٍ[5] عَطِـــرِ

قُلنَا: يَلـــذُّ بشمٍّ أو مُلامـــــسةٍ أو مَسْمعٍ حِينَ لا يَلتذُّ بالنَّظَـــــرِ

لَكنَّ مَعْشُوقَهُ في اللَّمْسِ مِن حَسَكٍ واللَّفظِ من صخـــبٍ والشَّمِّ من قَذَرِ[6]

وفي بابِ الخَمْرِ، يَذكُرُ أبو نُوَاسٍ الخمرَ التي يُقدّمها غلامٌ، فيصفُ كَفَّه التي أشبهتْ كفَّ ظَبي ناعمٍ مدلّلٍ، قدْ زيَّن مُقلتَيهِ احْورَارٌ، فَهُوَ يَسحَرُ القُلوبَ بِدلالِهِ، ونَظرةِ عينهِ، ثمّ يُعاود ذِكْر كَفِّهِ الجَميلِ النَّاعِمِ ومَا تَحمِلُهُ مِنْ دِنانِ الخَمرِ، كالشَّمسِ فِي صُفرَتِهَا، وكَفُّهُ كالقمرِ. وهوَ يَصفُ الخَمرةَ المُزَّةَ التي طَالَ عَليها الزَّمنُ ولم يَمْسَسْها أحدٌ، ومقدِّمُها كالظَّبِي في نُعومَتِهِ وغَنَجِهِ، والخَمرةُ فِي يَديه شَبيهةٌ بِالشَّمْسِ أو القمرِ[7]. ليقولَ:

---

[1] خَامَرَت: خامَرَ الشيءُ الشيءَ: قاربه وخَالَطَهُ، ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة (خَمر) .

[2] تلتاح: تسطع وتتلألأ وتتوهج، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لاح) .

[3] **ديوانه**، ١٢٠ .

[4] كحالة، عمر، **الحب**، ١٨٠ .

[5] مفشأ: من تفشأ الشيء أي انتشر، الجوهري، **الصحاح**، مادة (فشأ) .

[6] **ديوانه**، ١٨٦/٢ .

[7] ينظر: **ديوان أبي نواس، خمريات أبي نواس**، ٢١٧ .

مجزوء الكامل

وَاشرَبْ كُمَيتًا[1] مُزَّةً عَنَسَتْ وَأَقْعَدَها الكِبَرْ

مِن كَفِّ ظَبْيٍ ناعِمٍ غَنْجٍ ، بِمُقلَتِهِ حَـــوَرْ

يَسْبِي القُلوبَ بِدلِّهِ وَالطَّرف مِنهُ إِذا نَظَـرْ

فَكَأَنَّها في كَفِّـــــهِ شَمسٌ، وَراحَتُــهُ قَمَـرْ[2]

وفي وصْفِ نُعومةِ الكفّينِ عند الخُبزأرزي تَعبيرٌ حِسّيٌّ، إِذْ يبلغُ حُبُّ الشَّاعرِ أقْصَاهُ ومُنْتهَاهُ فقدْ جعلَ لِكلِّ عُضوٍ من أعْضاءِ جسمه قلبًا، فكأنّها شخصٌ مُنفصلٌ بذاته، يَحنُّ إلى الحبيبِ ويَشتهِي النَّظرَ إليهِ، فحَبيبه نَاعِمُ المَلمَسِ، لَو لَمَستْ كفُّهُ الصَّخرَ لنبَتَ عليهِ الوردُ والزّهرُ، وِتلكَ كِنايةٌ عَن رِقّةِ مَلمَسِ يَديهِ وجَمَالِها. فيقول:

البسيط

كَأنَّ فِي كُلِّ عُضْوٍ لِي وَجَارِحَــةٍ قَلْبًا يَحنُّ وَعَينًا تَشْتَهِي النَّظَــرا

شَوقًا إلى نَاعِمِ اللَّذَّاتِ لوْ لَمَسَتْ كَفَّاهُ جُلمودَ صَخرٍ أنبَتَ الصَّـخِرا[3]

ثالثًا: معانِي الحُبِّ والكُرهِ في الشِّعر العبَّاسيِّ

١- معانِي الحُبِّ في الشِّعر العبَّاسيِّ

أ- مُقدِّمةٌ في الحُبِّ:

وفَي تَعريفِ ماهيَّةِ الحُبِّ في مَعاجِمِ العَربيَّةِ نَجدُ، "الحُبّ: نَقيضُ البُغضِ. والحُبّ: الوِدادُ والمَحبَّةُ، وكذلك الحِبُّ بالكسْرِ، وحُكيَ عن خَالدِ بن نِضْلَةَ: ما هذا الحِبُّ الطَّارق؟ وأحبَّهُ فَهوَ مُحِبٌّ وهوَ مَحْبوبٌ، عَلى غَيرِ قِياسِ هَذا الأكثر، وقد قيلَ مُحبٌّ على القياس. قال الأَزهَريُّ: وقدْ جَاء المُحَبُّ شَاذًّا فِي الشِّعرِ، قَالَ عَنترَةُ:

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المُحَبِّ المُكرَمِ"[4].

---

[1] الكُمَيت: الخمرُ: لما فيها من سوادٍ وحمرة، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (كَمَتَ) .

[2] **ديوانه**، ٦٨١ .

[3] **ديوانه**، ٤/٢٠٤-٢٠٥ .

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، ١/٢٨٩. مادة (حَبَبَ) .

"وأما اللُّزوم، فالحُبُّ والمحبّة، اشتقاقه من أحبَّه إذا لزِمه"[1].

ويمكن تعريف الحبِّ بِأَنَّهُ: تَمَركُزُ العواطِف الإنسانيَّةِ معَ الشُّعورِ بالمَيلِ والعَطفِ والحَنَانِ، فيهِ من الإخلاصِ والتَّضحِيَةِ ما فيهِ، فَهوَ عَلى شَاكلتينِ رَئيستينِ: حَالةٍ من الشُّعورِ النَّفسيِّ يَنْمازُ بِهِ البَشِرُ عن الحَيوانِ، وغَريزَةٍ جِسمانِيَّةٍ يُقَارِبُ فِيهَا الإنسيُّ الحيوانَ[2].

ب- مفهومُ الحُبِّ والغَزلِ عِنْدَ العبَّاسِيينَ:

حَيثُما وُجِدَ الجَمالُ كَانَ الغَزَلُ، فَالثَّاني نِتاجٌ لِلأوَّلِ، "وكَثُرِ الغزَلُ فِي هَذَا العَصْرِ كَثْرَةً مُفرِطَةً حَتَّى لَيُمكِنُ أنْ يُقالَ: إنَّ جَمِيعَ الشُّعراءِ عُنُوا بِالنَّظمِ فِيهِ، وَهِيَ عِنايةٌ أعدَّتهُ لِكَيْ يَزدَهِرَ ازْدِهَارًا وَاسعًا إذْ تَدَاولَهُ أَفذاذُ الشُّعَراءِ، وصَاغُوه بِعَقْلِيَّتِهم الخَصْبَةِ الحَديثَةِ، وَمَا أوتُوهُ مِن قُدْرةٍ عَلَى التَّوليدِ في المَعانِي القَديمةِ، واسْتِنبَاطِ كَثيرٍ مِن الخَواطِرِ والأخْيلةِ الجَدِيدَةِ"[3].

ولَمْ يَقتصِرِ الحُبُّ عِنْدَ بَنِي عَبَّاسٍ عَلَى جَانِبِ الطُّهْرِ وَالعَفافِ (الغُزلُ العُذريُّ)، فَقَدْ لَجَأَ شُعراءُ بني العبَّاسِ المُحبُّونَ إلى الغَزَلِ الفَاحِشِ فِي حُبِّهم وتَوصِيفِ الجَسَدِ تَوصِيفًا فَاحِشًا، وسَارَ الشُّعراءُ العبَّاسِيونَ عَلَى نَهْجِ السَّابقينَ في العُصورِ الأُوَلِ، "الشُّعراءُ ظَلُّوا حتَّى عُهودِ العَبَّاسِيينَ يَنْسِجُونَ عَلى مِنوالِ منْ سَبقُوهُمْ إلَّا في النَّظْمِ مِن المَجْزُوءَاتِ التي كَثُرتْ أشْعارُهَا عَلى تَوالي الأيَّامِ"[4].

"الغَزَلُ: هُوَ لَفْظٌ يُطلقُ لِكلِّ مَا وُصفتْ بِهِ النِّساءِ مِن الحُسنِ والجِمالِ والبَهاءِ والغَرامِ، ويُسمَّى الغَزَلُ نَسيبًا أَيضًا"[5]. وأمَّا المَرأةُ فكانَ لهَا حَظٌّ وافرُ الذِّكْرِ عِند الشُّعراءِ العبَّاسِيينَ، فَوصَفوا جَوانبَ جَمالِها. ولِجمالِ المَرأةِ -كَما عِند الشُّعراءِ العبَّاسيينَ- جَانِبانِ أسَاسيَّانِ، حِسيٌّ ومَعنويٌّ، فالأوَّلُ قائمٌ على المَظهَرِ الخَارجِيِّ، والثَّانِي يَقومُ على الصِّفاتِ الرُّوحيةِ لَدَيْها، ووجبَ اكتمالُ هَذينِ الجَانبينِ جَنْبًا إلى جَنْبٍ لِيكونَ الشَّكلُ الخَارجِيُّ مُكمِّلتُهُ الأخلاقُ[6].

---

[1] ابن فارس، **مقاييس اللّغة**، ٢/٢٦. مادة (حبَّ) .

[2] ينظر: كحالة، عمر، **الحب**، ٧ .

[3] ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ٣٧٠ .

[4] أنيس، إبراهيم، **موسيقا الشعر**، ١٩٥ .

[5] الكفوي، **الكليات**، ٩٦٠ .

[6] ينظر: حلبي، أحمد طعمة، **مظاهر الجمال الأنثوي في الشعر العباسي**، مجلة التراث العربي، (مجلد ٢٦)، (عدد ١٠٢)، سوريا، ربيع الثاني، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢١٣ .

ج- تَطوُّرُ الغَزَلِ فِي العَصرِ العَبَّاسِيِّ:

لقدْ حَظِيَ الغَزلُ بِوقْرةٍ فِي القُلوبِ، ذَلكَ أنَّ القلوبَ مَنبعُ الإحسَاسِ وَجَوْهرُهُ، ولأنَّ الغزَلَ قائمٌ عَلَى مَعَانِي الحُبِّ، لِذلكَ لا بُدَّ أنْ يَكونَ نَصيبُ الغَزَلِ فِي العَصرِ العَبَّاسِيِّ قَدْ نَالَ القِسْطَ الأوْفَرَ عِندَ الشُّعَراءِ، وَقَدْ بَرَّزَ الشُّعراءُ فِي بَابِ التّغزُّلِ والغَزَلِ، بَلْ وَأَضَافُوا مَفاهيمَ جديدةً لمْ تتأتَّ لِسَالِفِ الشُّعراء منهم في العُصورِ السَّابِقَةِ، "ولعلّ الشَّاعرَ العَباسيَّ لَمْ يُعنَ بِموضوعٍ قديمٍ كَمَا عُنِي بِالغَزلِ وتَصويرِ عَاطفةِ الحُبِّ الإنْسانيَّة التي كَانَتْ تَخفِقُ بَأغانِيها صَباحَ مَساءَ العِيدانُ والطَّنابيرُ وَالدُّفوفُ والمَعازفُ مِن كُلِّ شَكلٍ مُختلطةً بِأصواتِ المُغنِّياتِ والمُغَنينَ"[1].

وممَّا ساعدَ على ظُهورِ الغزلِ بِهذَا الشَّكلِ الكَبيرِ الانتِشَارُ الواسِعُ للغِناءِ، "وَكانَ نَصيبُ الغِناءِ فِي حَياةِ العَبَّاسِيينَ كَبيرًا، فقدْ شُغلوا بِهِ أيَّ شُغْلٍ، وَكَأنَّهُ نعَيمُهُمْ مِن دُنياهم، وَقدْ انتقَلَ الغِناءُ مِن الحِجازِ إلى العِراقِ فِي أواخرِ عَصْرِ بَني أُميَّةَ، وأُقيمتْ لَهُ الدُّورُ الكَبيرةُ في العَصر العبّاسِيِّ ونُثرت الأموالُ عَلى المُغَنِّينَ والمُغنِّياتِ، وكَانَ أشهرَ المُغنينَ فِي هَذا العَصرِ إبراهيمُ المُوصِلي وابنُه إسحاق، وابنُ جَامعٍ، ومُخارِق"[2].

وقدْ ظَهَرَ كَمَا لَمْ يَظهرْ قَبْلًا فِي أَيِّ عَصرٍ بِتِلكَ الحِدَّةِ الفَاحِشَةِ المَاجِنَةِ الغَزلُ المَاجِنُ الذي تَطوَّرَ حتّى صَارَ ضَرْبًا مِن ضُروبِ الشِّعرِ مُستَقِلًّا في عَصْرِهِ العَبَّاسِيِّ لدى طَبقةٍ مِن طَبقاتِ المُجتمعِ دَنيَّةٍ، لارتباطِهِ بالنِّساءِ والجَوارِي، وَفَسَدَةِ الأخْلاقِ مِن النَّاسِ ومَارِقِيْهِ، "ومِنَ المُحقّق أنَّ هَؤلاءِ الجَوارِي والقِيان هُنَّ اللَّائِي دَفَعنَ المُجْتمعَ العَباسِيَّ فِي بَعضِ جَانبِهِ إلى الفَسادِ الخُلُقيِّ، إذْ كُنَّ يَعِشْنَ فِي بُيوتِ النِّخَاسةِ، وكانَتْ دُورًا كَبيرةً للعبثِ واللَّهو"[3].

ولمْ يَتوقَّفْ مَضمونُ الغَزلِ إلى هَذا الحَدِّ من الفُحْشِ، بَلْ تَعدّاه لِيصلَ إلى شَواذِّ الأُمورِ مِن التّغزُّلِ بِالغلمانِ فِي المَجالسِ والمَحافِلِ وَعامَّة الأُمورِ، وَليسَ مِنْ عَجَبٍ في هذا القولِ مُوازَنةً بِأنَّ طائفةً مِن النَّاسِ اسْتحسنَتْ هَذا الدُّنوُّ الأخلاقِيَّ السَّحيقَ، لِيصيرَ جُزءًا مِنْ تُراثِهم المَتلُوِّ المُدوَّنِ الذي اسْتَعصَى عَلَى أَهلِ الجَاهِليَّةِ اسْتِظْهارُهُ، فَردُّوهُ عَلَى شُعرَائِه حِفْظًا لِمروءَتِهِمْ وكَرامَتِهِمْ.

---

[1] ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ١٧٦ .

[2] الجهيمان، عبد الله بن إبراهيم، **اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي الأول**، ١١، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر مصر،١٩٧٣-١٩٧٤م .

[3] ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ١٧٦ .

"وبَلغَ مِن حِدَّتِه أنْ شاعَ الغزلُ الشَّاذُّ بِالغِلمانِ، فحَتَّى هَذا الغَزَلُ المُزري بِكرامَةِ الرَّجلِ دَارَ عَلى كثيرٍ مِن الأَلسنةِ الدَّنِسةِ. وقد استطاعَ تُرَاثُ الغزلِ القَديمِ أنْ يَكبَحَ جِماحَ هَذهِ المَوجَةِ المَاديَّةِ الحَادَّة مِن بَعض الوُجوهِ، فإنَّ هؤلاءِ الشُّعراءَ المَاجنينَ كَانوا يَستظهرونَهُ ويتلونَهُ، وكَانوا يَرونَ فيهِ إكبارَ الرَّجلِ للمرأةِ وإعزازَهَا"[1].

وَيوردُ ضَيفُ شِعرًا لمُطيعِ بن إياسٍ[2] اقْتبَسهُ مِنْ كِتابَ الدِّياراتِ للشَّابُشتي، حَيثُ يظهرُ الفُحشُ جَليًّا وَاضِحًا فِي الأبياتِ، مَع التَّأكِيدِ عَلَى الدَّعوَةِ لِهَذا الفُحْشِ، يَقولُ مُطيعٌ:

مجزوء الكامل

اخْـــلَعْ عِذَارَكَ فِي الهَوَى واشْرَبْ مُعَتَّقَـــــةَ الدِّنَانِ

وَصِلِ القَبِيـــحَ مُجَاهِـــرا فَالعَيشُ فِي وَصْلِ القِيــانِ

لا يُلْهِيَنَّكَ غَيْـــرَ مَـــــا تَـــــهْوى فَإنَّ العُمْرَ فَـانِ[3]

لَكنّ الضِّدَّ بَالضِّدِّ يُعرَفُ، فَفِي قُبالة المُجونِ غَزَلًا، ظَهرتِ العُذْرِيَّةُ غَزلًا طَاهِرًا عَفيفًا، لِتُوازِنَ شَيئًا مِن حَياةِ العَصرِ العَبَّاسِيِّ الأوَّلِ. فقدْ ظَهرَ العَبَّاسُ بنُ الأحْنفِ شَاعِرًا غَزِلًا عَفيفًا فِي غَزَله مُبتعِدًا عَنْ مُجونِ الشِّعرِ وَفاحِشهِ[4]، وجَاءتْ حَركةُ الزُّهدِ لِتَنفِيَ عَن المُجْتمعِ العَبَّاسِيِّ مُعظمِهِ صِبغَةَ التّفحُّشِ والانْحِلالِ الخُلُقِيِّ. وظَهرَ شِعرُ الزُّهدِ فِي هذا العصرِ، وَكانَ أكثَرَ صِلَةً بِحَياةِ النَّاسِ من شِعرِ الفُحْشِ والخَمرِ والمُجونِ، فَلا تَرَفَ فِيهِ، بَلْ هِيَ حَيَاةٌ مُخَصَّصَةٌ لِلدّينِ بِالإطْلاقِ، وَتَزخَرُ كُتُبُ الطَّبقاتِ التي تَرجَمتْ لِلفَقَهَاءِ والمُحَدِّثينَ بِأخْبارِ الزُّهَادِ وَالعُبَّادِ والنُّساك[5].

د- مُبرِّزو شُعراءِ الحُبِّ فِي بَني العَبَّاسِ:

وأخُصُّ هنا الشُّعراءَ العَباسِيينَ الذينَ عَاشوا حَتَّى نِهايةِ القرنِ الرَّابعِ الهِجريِّ (٤٠٠هـ) مَوضوعِ البَحثِ، ولمْ يَقتصِرْ الحُبُّ عَلى الغَزلِ بِالحبيبةِ فَحَسْب، بَلْ كَانَ حُبُّ الشُّذَّاذِ لِلغلمانِ كَحَالِ أَبِي

---

[1] ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ١٧٧ .

[2] هو مطيع بن غياث الكِناني، من بني الدَّيل بن عبد مناة بن كِنانة. الأصفهاني، **الأغاني**، ١٩٣/١٣، وهو أحد الخُلعاء المُجَّانِ، وله نوادر كثيرةٌ، توفي سنة ١٩٩هـ. ينظر: ابن المعتز، **طبقات الشُّعراء**، ٩٥ .

[3] الشابُشتي، **الدّيارات**، ٢٥٦-٢٥٧، أوردها شوقي ضيف في كتابه **العصر العباسي الأول**، ١٧٩ .

[4] ينظر: ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ١٧٨ .

[5] ينظر: **نفسه**، ١٨٠ .

نُواسٍ وكَشَاجِمَ، وحُبِّ المُلوكِ والوزراءِ والقادةِ وَمَا ظَهَرَ لهُم مِن المَدحِ، وحُبِّ البَنينَ والبناتِ، وحُبِّ الوطنِ كَما عِندَ الصَّنوبريِّ، وحبِّ اللهِ كَحالِ المُتصوِّفِ الحَلَّاجِ وأبي العَتَاهِيةِ الزَّاهِدِ.

وإذَا مَا ذُكر الحُبُّ فِي العَصْرِ العبَّاسيِّ، اقتَرَنَ اسمُ العبَّاسِ بن الأحنفِ[1] بِهذَا العَصرِ، فَهوَ رَائدُ حُبِّهِ، ورَسولُ أدَبِهِ، "وكانَ العبَّاسُ شَاعرًا غزِلًا ظَرِيفًا مَطبوعًا، مِن شُعراءِ الدَّولةِ العبَّاسيَّة، ولهُ مذهبٌ حَسَنٌ، ولِديبَاجةِ شِعْرِهِ روْنقٌ، ولِمعانيهِ عُذوبةٌ ولُطفٌ، ولمْ يَكنْ يَتجاوزُ الغزَلَ إلى مَديحٍ ولا هجاءٍ ..... وكان غَزِلًا ولم يَكُنْ فَاسِقا"[2]، وقدْ عَشقَ امرأةً اسْمُها (فَوْز)، وتَغزَّلَ بِها شِعرًا عَفيفًا فقدْ كَانَ عَفيفَ الشِّعرِ لا فَاحِشَهُ.

وَنَجِدُ شاعرًا آخرَ ارتبَطَ اسْمهُ بِمَحبوبتِهِ، "كَانَ إبراهيمُ بنُ العَبَّاسِ[3] يَهوى جَارِيةً لِبعضِ المُغَنِيينَ بِسُرَّ مَنْ رَأى[4] يُقالُ لَها سَامِرٌ، وشُهِرَ بِهَا"[5].

وَتَبرزُ في العَصرِ العبَّاسيِّ طَائفةٌ مِن الشُّعراءِ لامِعةٌ أسْمَاؤُهُمْ، ارتَبطَتْ بِمَفهومِ الحُبِّ: كَمُسلمِ ابن الوَليدِ الشَّهيرِ بِصريعِ الغَوانِي، وَرَبيعةَ الرَّقِّيِّ، وأبِي تَمَّامٍ، والبُحتريِّ وكَشاجِمَ، والوَأواءِ الدِّمَشقِيِّ وغَيرِهِم.

١- الحبُّ:

أ- الشَّقاءُ بالحبِّ:

كلَّمَا أرادَ العبَّاسُ بن الأحنفُ الافْتِكاكَ مِن الهَوى، والخَلاصَ مِن عَذاباتِه عَاودَهُ حَنينُ الحُبِّ أقوى عهْدًا، وقدْ جَعلَ مِنْ قَلبِهِ شخصًا يتحكَّمُ في أمرِهِ، ويُسيِّرهُ أنّى شَاء، ليكونَ فاتحًا له كلَّ مُنغلقٍ من أبواب الحُبِّ، فالمَجازُ في الانجِرارِ بيِّنٌ وَاضحٌ، واستعارةُ بابِ الحُبِّ لطيفةُ الأسلوبِ فلوْ أنَّ للشَّاعِرِ سُلطانًا على قَلبِهِ لَما جَعَلهُ يحبُّ، لكنّه لا يَستطيعُ، وتَصدقُ لِحالةِ الشَّاعِرِ القَولَةُ الطَّريفةُ (القلب يريد والعقل يرفضُ)، ومنْ عادةِ بعضِ الشُّعراءِ في ذِكْرِ الحبِّ وَوصْفِهِ سَلْخ القلبِ

---

[1] هو الشاعر الحَنَفي، كان ظريفًا كيِّسًا، مُجيدًا الغزل حلو النّادرة، وله مع الرّشيد أخبار، وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومئة على الأصح وقيل سنة اثنتين، وهو خال إبراهيم بن العبَّاس الصولي، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٣٦٤/١٦ .

[2] الأصفهاني، **الأغاني**، ٢٥٣/٨ .

[3] هو الصولي، إبراهيم بن العبَّاس بن محمد بن صُول، مولى يزيد بن المهلّب ، يكنّى أبا إسحاق وأصلُهُ من خراسان، كان كاتبًا من أشعر الكُتَّاب، وأرقّهم لسانًا، وأسيرهم قولًا، وله ديوان شعر مشهور، ومات سنة ثلاث وأربعين ومئتين. البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٣١/٧ .

[4] هي مدينة سامراء التي استحدثها المعتصم الخليفة العباسي، ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ٢١٥/٣. **ديوان ابن الرومي، هامش التحقيق**، ٦٨/١ .

[5] الأصفهاني، **الأغاني**، ٤٠/١٠ .

عَن العَقلِ والنّفسِ، ليكونَ اللّومُ واقعًا عَلَى القَلبِ، لا عَلَى الحبيبِ، فَيظلُّ الشَّقاءُ مُستَمِرًّا، لأنّ القلبَ لوْ أطَاعَ صَاحِبَهُ لَكَرِهَ صَاحِبُهُ الحبُّ المُوديَ للشَّقاءِ، فيقولُ:

الطويل

إذا قُلتُ إنَّ الحُبَّ قَد بانَ وَانجَلَى عَنِ القَلبِ حَنَّ القَلبُ وَازدادَ وَاشتَدَّا

فَقَلبــي إِلَيكُــم لا يَزالُ يَـــجُرُّني وَيَفتَـــحُ لي بابًا مِنَ الحُبِّ مُنسَدَّا

وَلَو كانَ قَلبي طائِعًا لي قَــلاكُمُ وَلَكِن عَصانــي فَهوَ أَشقَى بِكُم جَدَّا[1]

ب- العِتابُ في الحُبِّ:

يُخاطِبُ مُسلمُ بن الوليدِ[2] مَحبوبَتهُ بِلَهْجَةٍ ظَاهِرُهَا العِتَابُ وباطِنُها الطَّلَبُ والاستِحبابُ، فيقولُ لَها: اغفَلِي عَن الحُبِّ أو تَناسِيهِ، فلَسْتُ نَاسِيًا ولا مُتناسيًا، أُقضِّي اللَّيلَ سَاهِرًا لا يَغمِضُ لِي جِفنٌ من حُبِّكِ. وقدْ جعلَ من السَّهَرِ لِصًّا سَرقَ النَّومَ، وحَطَّ الوَساوِسَ فِي القَلبِ، فوقتُ اللَّيلِ طَويلٌ يَحْمِلُ الهمَّ لَهُ، لَكنَّهُ لا يُذكرُ إذا ما قُورِنَ بِطولِ أمَدِ الحُبِّ، فقالَ فِي هَذَا المَعْنَى:

البسيط

نَامِي عَنِ الحُبِّ إنّي مِنْكِ فِي سَهَرٍ غَالَ الرُّقَادَ وَأَحْذَى القَلْبَ بَلبَالا[3]

مَا طَالَ لَيلٌ بِهِ ذِكْــــــــراكِ أَرَّقَني هَواكِ أَطوَلُ مِن لَيْلِي وَإِنْ طَالَا[4]

ج- الموتُ في سبيل الحُبِّ:

ليْسَ هنالكَ أشرفُ من الموتِ في سبيلِ الحُبِّ عند العبَّاس بن الأحْنَفِ، فلو أنّ الشّاعرَ كتمَ الحُبَّ في قلبِه لمَاتَ ولمْ يعلم قلبهُ معنىً للحبِّ، لكنَّهُ يطيرُ فَرَحًا ويكادُ يُخلعُ مِن مَكانِهِ إذا جَاءَه رَسولُ مَنْ أَحَبَّ وأبلغهُ سَلامَهَا، فَزَالَ الهَمُّ بذلكَ وانْقَضَى. وقَد استخدمَ لقلبِهِ لفظةَ (حُشَاشة)، وهي

---

[1] **ديوانه**، ٩١ .

[2] هو مسلم بن الوليد، أبو الوليد الأنصاري، مولى أسعد بن زُرارة الخَزرجي، شاعرٌ يُعرفُ بِصريع الغواني، وهو كوفيٌّ نزل بغداد، وكان مَدَّاحًا مُحسنًا مُجيدًا، مفوَّهًا بليغًا. مدح هارون الرَّشيد والبرامكة، والرَّشيد سَمَّاهُ صريع الغواني. البغدادي، **تاريخ بغداد**، ١١٦/١٥. أمَّا مولده فسكت المؤرخون عنه، وقد رأى الباحثون أنّه ولد سنة ١٤٠هـ تقريبًا، وكانت وفاته سنة ٢٠٨هـ . ينظر ترجمته: **شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد)، مقدمة المحقق**، ٩/١-١٤ .

[3] البَلبَال: الهمُّ والوساوس في الصدر، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (بلَل) .

[4] **شرح الديوان**، ٢٧٨/٣ .

رُوحُ القلبِ ونبضُهُ، ليُصوِّرَ للسَّامعِ المُتأمِّلِ بأنَّ المَوتَ كَان وشيكًا مِنْهُ. فلمَّا ذهبَ عَنْهُ الرَّوعُ جاءتْهُ البُشرى من الحبيبة، فقال:

الطويل

إذا لَم يَكُن لِلمَرءِ بُدٌّ مِنَ الرَّدى فَأَكرَمُ أَسبابِ الرَّدى سَبَبُ الحُبِّ

وَلو أَنَّ خَلْقًا كاتَمَ الحُبَّ قَلبَهُ لَمِتُّ وَلَم يَعلَمْ بِحُبِّكُمُ قَلبي

إذا قيلَ تُقريكَ السَلامَ تَماسَكَتْ حُشاشَةُ قَلبي[1] وَانْجَلَتْ غَمرَةُ الكَرْبِ[2]

د- إرضاء الحبيب غايةٌ لا تُدْرَك:

يَفدي الشّاعرُ الشَّاذّ كَشَاجِمُ[3] غُلامَه بِأيِّ شيءٍ يطلبُه، فهو المُتواضِعُ الذي لا يَتكبّر ولا يأنَفُ فحقٌّ للشَّاعر أن يُخلِصَ له في الحبِّ، لأنّه مُخلِصٌ لقبيله، لكنّهُ لا يلبث أنْ يرضى بِشَيءٍ إلّا وأرادَ غيرهُ، وتِلكَ كِنايةٌ عَن تَقلُّب مِزاجِيَّتِهِ، فليسَ يعلمُ ما يريدُ، وكذا الشَّاعرُ لا يَعلمُ أيضًا ما يُريد. "وكان كَشاجم يقسِّم عشقه بين الجواري والغِلمان بالتَّساوي، فظهرَ شُذوذهُ الجِنْسيُّ واضحًا في شِعره، شأنَ النُّوَاسيِّينَ في المُجتمعِ العَباسيِّ"[4]. قالَ:

الخفيف

أَنَا أَفْدِي مَنْ لَيْسَ يَعْلَمُ تِيْهًا وَدَلاَلاً فِي أَيِّ شَيْءٍ رِضَاهُ

غَائِبٌ لَيْسَ يَتْرُكُ الحُبُّ قَلْبِي يَتَسَلَّى عَنْهُ جُعِلْتُ فِـدَاهُ

كُلَّمَا قَالَ لِي رِضَائِيَ فِي هَـ ذَا وَآثَرْتُهُ أَرَادَ سِـــوَاهُ

فَأَنَا الدَّهْرَ وَهْـوَ نَطْلُبُ شَيْئًا غَابَ عَنَّا فَلَيْسَ نَعْلَمُ مَا هُو[5]

---

[1] حُشاشة القلب: روح القلب ورَمق حياة النفس، ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة (حشّ) .

[2] **ديوانه**، ٣٦ .

[3] هو محمود بن الحُسين، الكاتب المعروف بكَشَاجِم، من أهل فلسطين في الرَّملة، وكان من شعراء أبي الهِيجاء بن حَمدان، والدِ سيف الدَّولة، مات في حدود ثلاثمئةٍ وخمسين للهجرةِ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٥/١٤٠-١٤١ .

[4] ملحس، ثريا عبد الفتاح، **أبو الفتح كشاجم البغدادي: في آثاره وآثار الدّارسين**، ٩١٩ .

[5] **ديوانه**، ٤١٢-٤١٣ .

هـ- قُلوبُ المُحبيِّنَ تُحِسُّ ببعضها:

"وكثيرًا ما يمرض المُحبُّ بمرضِ مَحبوبِهِ، فمن ذَلكَ مَا حُكيَ عَن أبِي نُوَاسٍ أنَّهُ مَرضَ فدخلَ عليه بعضُ أصحابه يَعودُونه، فوجدوا به خِفَّةً، قَال فانبسَط مَعنا وقال: منْ أينَ جِئتُم، فَقُلنا: من عند عَنانِ[1] جَاريةِ النَّاطفي، فقال: أو كانت عَليلةً، قُلْنَا: نَعَم، وقدْ عُوفِيتِ الآنَ، فقال: واللهِ لقدْ أنكرتُ عِلَّتي هذه ولم أعرف لها سببًا، غيرَ أنِّي تَوهّمْتُ أنَّ ذلك لِعلَّة نَالت بعضَ مَنْ أحبُّ، ولقدْ وجدت في يَومي هذا راحةً، ففرحتُ طَمعًا أن يكون الله عافَاه مِنْها قَبلي"[2]. فقال فيهَا:

البسيط

أَمَّا إذا اتَّفَقَت نَفسي وَنَفسُكَ في هَذا وَذاكَ وَفي هَذا وَفي ذَاكَـــا

فَكُن لَنا رَحمَةً نَفســـي فِداكَ وَلا تَكُن خِلافًا لِما ذو العَرشِ سَمَّاكا

فَقَدْ عَلِمتَ يَقينًا أَو سَتَعلَمُـــــهُ صَنيعَ حُبِّكَ في قَلبي وَذِكْراكَـــا[3]

يدعو أبو نُواسٍ حَبيبتَهُ إلى التَّرفُّقِ بِقَلبِهِ، فقد مَرضَ بِمرضِهَا ومشاكَلةِ حبِّها، فِي توارِدِ خواطرٍ بينَ الأحبَّةِ، فعذابُ الحَبيبِ سَقَمٌ، وشِفَاؤهُ رَاحَةٌ وَسَلَمٌ، لأنَّ اللهَ جَعلَ من النَّفسِ للنَّفسِ سَكنًا وقد عَلمَ الحبيبُ أو سيعلمُ فيما بعد علمًا لا شكَّ فيه بأنَّ الشَّاعرَ يُحبُّه، وقدْ مرِضَ بمرضِهِ وشُفي بشفائِهِ.

و- الدُّعاءُ على النَّفسِ في سبيل دوام الحبِّ:

يَدعُو أبو نُواسٍ على نفسِهِ بالكُربةِ والضِّيقِ، لِيصيرَ مُتسوِّلًا، يمُدُّ يدَهُ ليأخذَ الفرجَ من الحُبِّ وليسَ يَتَسَوَّلُ مَالًا، بل يَتَسَوَّلُ حُبًّا، وهذا معنى بِلاغِيٌّ جَميلٌ، إذ جعلَ من التَّسوُّلِ فرجًا للمُعسِر وقرنَهُ بتَسوُّلِهِ الذي هُوَ فرجٌ لِحبِّهِ، فلا كانَ هذا الفرجُ! وليسَ يَسلو عمَّن أَحبَّ، لِذَلِكَ حَلَّ الحُبُّ مُقيمًا في قَلبهِ ولمْ يَخرجْ وَلنْ يخرجَ. ويُظهرُ الشَّاعرُ الاستعارةَ في جعلِ اليَدِ السَّائلةِ مَمدودةً للحُبِّ وليسَتْ مَمدوةً لِلمالِ. فيصف حالته قائلًا:

---

[1] كانت عنان مولّدة من مولَدَات اليمامة، وبها نشأت وتأدَّبتْ، واشترَاها النَّاطِفِيُّ ورَبَّاها، وكَانَتْ صفراء جَميلةَ الوجْهِ، شَكِلةً مليحة الأدب والشِّعرِ، سريعةَ البديهَةِ، وكانَ فُحولُ الشُّعراءِ يُساجِلونَها ويُعارِضونَها فَتَنتصفُ مِنهُم. النويري، **نهاية الأرب**، ٧٨/٥ .

[2] ابن أبي حجلة المغربي، **ديوان الصبابة**، ١٧ .

[3] **ديوانه**، ٢٩٩، وأورد **محقّق الديوان** أنّ أبا نواس قالها في رحمة بن نجاح وهو محموم .

البسيط

لا فَرَّجَ اللهُ عَنّي إن مَدَدتُ يَدي إلَيـهِ أَسأَلُهُ مِن حُبِّكَ الفَرَجـــا

وَلا طَعِمْتُ بِكَ السُّلوانَ يا أَمَلـي وَحَلَّ حُبُّكَ في قَلبي وَما خَرَجا[1]

وقدْ أوردَ ابن مُنقذٍ البيتَ الأوّلَ لأبِي نُوَاسٍ في كتابهِ ووضعهُ تحتَ بابٍ سمَّاه: (المخالفة) (وهي الخروج عن مَذهبِ الشُّعراءِ، وتركُ الاقتفاءِ لآثارِهِمْ)[2]، وعدَّ بيتَ المُتنَبي أحسنَ وألطفَ من بَيتهِ حينَ قالَ:

الكامل

لوْ قُلْتَ للدَّنِفِ[3] الحزينِ فديْتُهُ ممَّا بِـهِ لأغَرْتَهُ بِفِدائـهِ[4]

ز- حبُّ بني أميَّة:

وفِي حُبِّ بني أُمَيَّةَ يقول السِّنْديُّ[5] شعرًا يتألَّمُ فِيهِ على تَفرُّقِهم وضَياعِ حالِهِم وتَشَتُّتِهِمْ، فاللهُ يَعلمُ أنَّ قلبَهُ يحبُّ بَني أُميَّةَ حبًّا شديدًا لا يُفارِقُ حُشاشَةَ قلبهِ، لكنَّهمْ أضَاعوا أُمورَهُم بالخِلافاتِ والنِّزاعاتِ فيما بينهم، مع أنّهم أهل عدل، فلو اتّفقوا لسَادوا. إذْ يقول حبًّا فيهم:

الوافر

أليسَ اللهُ يَعلمُ أنَّ قَلبِـــي يُحبُّ بَني أُميَّة مَا اسْتَطاعَا

وَمَا بِي أنْ يَكونوا أَهْل عَدْلٍ ولَكِنِّي رأيتُ الأمرَ ضَاعَـــا[6]

---

[1] **ديوانه**، ٢٣٨، قال أبو نواس هذه الأبيات في (سمجة) الجارية جاعلًا الضمير للمذكر .

[2] **البديع في نقد الشعر**، ١٦٥ .

[3] دَنِف: براه المرض، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دَنف) .

[4] **ديوانه**، ٦/١ ، ابن منقذ، **البديع في نقد الشعر**، ١٧١ .

[5] هو أبو عطاء، أفلح بن يسار، مولى بني أسد، وبعدها مولى عنبر بن سِماك بن حُصين الأسدي، وهو من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعبّاسيّة، كان مدّاحًا لبني أميّة، أمّا أبوه يَسار فسِنْدِيٌّ أعجميٌّ لا يُفصِح، وكان في لسان أفلح لثغةٌ، فاتّخذ غُلامًا اسمه عطاءُ وتَكَنّى به مات في آخر أيام المنصور، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ٢٣٤/١٧-٢٣٦. وقال ابن شاكر: توفي أبو عطاء السِّندي بعد سنة ١٨٠هـ ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ٥/٢ .

[6] الأصفهاني، **الأغاني**، ٢٣٨/١٧-٢٣٩ .

ح- انجذابُ القلوبِ والتِصَاقُهَا:

ومنْ غريبِ المَعاني مَا أَوردهُ ابن طَبَاطَبَا العَلوي[1]، في أنَّ قَلبَهُ كَالحديدِ ينجذبُ إلى قلبِ الحبيبِ فقلبُ حَبيبِهِ المِغنَاطيسُ يَجذبهُ كلَّما اقترب منه، فالأول تبَعٌ للثاني شَاء أم أبى، إذْ يَرسمُ لَنَا الشَّاعِرُ بِذَلِكَ اسْتِعَارَةً جَمِيلَةً تفطَّن النّقادُ قديمُهم وحَديثُهم إلَيهَا.

"الشاعرُ لا ينظر إلى استعارة شيءٍ لشيءٍ وإنَّما هو يتحدَّثُ عمَّا يراه خلفَ الرُّؤية الواضحةِ البَسيطةِ. إنَّهُ يعبِّرُ عمَّا يَتموَّج خلفَ سراديبِ النفسِ. واللَّفظُ القَامُوسِيُّ محدودٌ وقاصِرٌ ومَشلولٌ لا يَستطيعُ أنْ يصلَ إلى التَّعبيرِ عنْ كُنهِ الأشياءِ وهُنَا يُحطِّمُ الشَّاعر النَّسقَ اللُّغويَّ المألوفَ لِيقيمَ هيكلًا لُغويًّا جَديدًا يَفقِدُ فيهِ اللَّفظُ وضعيتَهُ الجَامدةَ، وعنْ طريقِ البِناءِ التَّصويريِّ تَتوجِدُ مَشاعرُ الشَّاعرِ في مُعاناةٍ وُجدانيَّةٍ ذاهِلةٍ، تفقدُ فيها الأشياءُ تَماسُكَها القَديمَ، حيثُ يَتمازجُ الحِدسُ والتَّصوُّرُ فِي حَرم الرُّؤيةِ الفَنيَّةِ شَريطةَ أنْ يَحتَضِنَ الخيالُ انفعالَ الشَّاعرِ حَتَى يذوبَ مَا بَينها مِنْ فَواصل"[2].
يقول ابن طَبَاطَبا:

الكامل

بِأَبي الَّذي نَفسي عَلَيهِ حَبيسُ ما لي سِواه مِن الأَنام أَنيسُ
لا تُنكِروا أَبَدًا مقاربتي لَـــــهُ قَلبِي حَديدٌ وَهُوَ مغناطيـس[3]

٢- الهوى:

"الهَوى: العِشْق، ويكون في مداخل الخير والشر. والهَوِيُّ: المَهْوِيُّ؛ قال أَبو ذؤيب:

فَهُنَّ عُكُوفٌ كنَوْحِ الكَرِيـ مِ، قدْ شَفَّ أَكْبادَهُنَّ الهَوِيُّ

أَي فَقْدُ المَهْوِيِّ. وهَوى النَّفسِ: إرادتُها، والجَمعُ الأَهْواءُ. التّهذيب: قالَ اللُّغويونَ: الهَوَى مَحبَّةُ الإِنسانِ الشَّيءَ وغَلَبَتُه على قلبه؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ:﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾؛ معناه نَهاها عن شَهَواتِها وما تدعو إِليه من معاصي اللهِ عزَّ وجل"[4].

---

[1] هو محمّد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طَبَاطَبَا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المُطلّب بن هاشم، شاعر مُفلّق، وعالِمٌ محقّق، شائع الشِّعر، نبيه الذِّكر، مولده بأصْبَهان وبها مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئةٍ، وهو مُصنِّف كتاب (عِيار الشِّعر). الحموي، ياقوت، **معجم الأُدباء**، ١٤٣/١٧ .

[2] عيد، رجاء، **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**، ٤٠٥ .

[3] **شعر ابن طَباطَبا العَلوي الأصبهاني**، ١٧٠، الثعالبي، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ٥٥٨ .

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، ٣٧٢/١٥. مادة (هَوى). والآية من سورة النازعات، ٤٠ .

أ- القلبُ مُنقادٌ إلى أهوائِهِ:

إنَّ حَياءَ ابن الرُّوميِّ يزجرُ هواهُ فِي الحبيبِ، لكنَّ مَطلبَ الهَوى أَقوى وأَغلبُ مِنَ الحَياءِ فِي قلبِ الشَّاعِرِ، وحَياؤه بادٍ في وجهه، أمَّا الهوى فمَحلُّه قلبهُ، والقلبُ له كلمةُ الفصلِ، يُقرُّ الحبَّ إنْ شَاء أو يَهجُره. وفي البيتِ الأوَّلِ نَجِدهُ يَتمثَّل الحياءَ والهَوى شَخصَينِ يَتحَاورانِ، فالأوَّل راعَ إلى عقلِهِ، والثاني انقاد إلى قلبه. قال:

الطويل

قَالَ الحَيَا دَعْهَا فَخَالَفَـــــهُ الهَوَى وَدَاعِي الهَوى أَقْوَى عَلَيَّ وأَقْدَرُ

حيائيَ في وجهي وفي قلبيَ الهوى وقلبيَ لا وجهي يَوَدُّ ويهجُـــرُ[1]

ب- هَوى الغِلْمَان:

يَتغزّل أَبو نُواسٍ بغلامٍ اسمهُ محمَّدٌ، ويجعلُ لَهُ مِن حَظِّ اسْمِهِ نَصِيبًا، فَكلُّ حرفٍ من اسمِهِ لَهُ في الحُبِّ مَعنى، الميم لذعتْ قلبهُ وأذهبتْ عقلَهُ، والحاءُ فِتنةٌ في القلبِ، وبِالميم الثانِيَةِ بات قلقًا، وأمّا الدّال فقد كان لها الوقع الأكبر، إذْ إنَّ بها قدْ فاضَتْ روحَهُ إلى بَارئِها. قال:

الرمل

ميمُهُ شَفَّ فُؤادي في الهَوى وَبِحاءٍ فيهِ قَلبي قَد فُتِـــنْ

وَبِميمٍ بَعـــــــدَهُ أَقلَقَنـــــي وَبِدالٍ سَلَّ روحي مِن بَدَنْ[2]

ج- الهَوى في غيرِ المُسلماتِ:

ومن باب التَّغزلِ بغير المُسلِماتِ، يَتغزّل الخُبزَأَرْزيُّ بِنصرانيَّةٍ، فقدْ تحوَّل لوْنُ جِسمُهُ مِنْ حبِّها إلى اللَّونِ الأصفرِ، كأنَّمَا هي صبغةٌ تَلَوَّنَ جِسْمُهُ بِهَا، وَمَا إِنْ تَذَكَّرهَا حَتَّى ذابَ قلبُهُ، وشبّهَ اصفرارَ جِسمِه بالقيحِ- وهو من القُبح بمكان- وشبّه تَعلُّقهُ بها كَتَعلُّقِ الحِزامِ على خصرٍ دقيقٍ

[1] **ديوانه**، ١٥٩/٢ .

[2] **ديوانه**، ٣٢٤ .

نَحيلٍ، فلوْ حاولَ الإنكارَ لِمَا في قلبِهِ من الأهواءِ لَشَهدتْ عَليهِ العلاماتُ السَّابقةُ المَحسوسَةُ من صُفرةِ الجِسم ونُحولِهِ. فقال فيها:

الكامل

مُتَنَصِّرٌ صَبَغَ الهوَى جِسْمي بِهِ فأَذابَ قلبِي في الهَوى تَذْكارُهُ

فكأنَّني من صُفــرةٍ غِسْلينُــــه وكأنَّنـــــي من دقَّـــــةٍ زُنَّارُهُ[1]

وإذا جَحدتُ هَواهُ أو أنكرتُـــــهُ شـهدتْ عَليَّ من الهوى آثارُهُ[2]

والشِّعرُ عند الخُبزأَرْزيِّ يُمثِّلُ السَّهلَ المُمتَنعَ بِأجْلى مَعانِيهِ ودِيباجاتِهِ، فَهو سَلِسٌ بَسيطٌ في تَراكِيبهِ، مُرتَجلٌ، فقدْ عَدَّهُ ابنُ النَّديمِ رَكيكًا، لأَنَّ صناعةَ الشِّعرِ هيَ عمليةٌ فنيَّةٌ صِرفٌ؛ إذْ لا تَتأتَّى لِمُرْتجِلٍ مُتَظَرِّفٍ يَقولِ الشِّعرَ بداهةً بلا تَدبُّرٍ وحِنْكَةٍ خِلال الخَبزِ والعَجْنِ[3].

د- ألمُ الهوى:

يتزايدُ إعراضُ المَحبوبةِ وصَدُّهَا في كلّ يومٍ يَمُرُّ على الحبيب، وعَطاؤهَا ينضَبُ مع الأيامِ فَتتزايدُ هُموم القلبِ ومَتاعِبُهُ من لَجِّ الحبيبِ في الإعراض عن الهوى، فإذا ما ذهبَ يومٌ بَكى الشَّاعرُ على ذَهَابِهِ بحُرقةٍ، لأنّ اليوم الذي يَليه سَيكونُ أشدَّ قَساوةً على قلبهِ من سَابِقِهِ، قال ابن الأحنفِ:

البسيط

أَزدادُ في كُلِّ يَومٍ مِن نَوالِكُـمُ بُعدًا وَيَزدادُ قَلبي في الهَوى نَصَبا

فَما بَكَيتُ لِيَومٍ مِنكِ أَسخَطَني إِلّا بَكَيتُ عَلَيــــهِ بَعدَ ما ذَهَبـــــا[4]

٣- العلاقة:

"والعلاقة الحبُّ اللَّازم للقلب. ويقولون إنّ العَلوقَ من النّساء المُحِبَّةُ لِزَوجها"[5].

---

[1] الزُّنار: ما على وسط المَجوسِيّ والنّصرانيّ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (زَنَر) .

[2] **ديوانه**، ١٨٦/٢ .

[3] ينظر: **ديوان الخبزأرزي، مقدّمة المحقّق**، ٩٥/١ .

[4] **ديوانه**، ٥٠ .

[5] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١٢٩/٤. مادة (علق) .

"وقال اللِّحيانيُّ، العلَقُ: الهَوى يكونُ للرّجُلِ في المرأة. وإنّه لَذو علَق في فُلانة، كذا عدّاه بفي. وقالوا في المثَل: نظْرة من ذي علَق، يُضرب في نظْرةِ المُحبِّ. قال ابنُ الدُّمَيْنَة:

ولقد أردْتُ الصّبْرَ عنكِ فعاقَني علَقٌ بقَلْبي من هَواكِ قَديمُ

وقد علِقَه، كَفَرِح، وعلِقَ بهِ. وفي الصِّحاح، والعُباب: علِقَها، وعلِق حُبُّها بقَلْبه عُلوقًا بالضم وعِلْقًا بالكَسْر، وعلَقًا بالتّحْريك، وعَلاقَة بالفَتح، أي: هَوِيَها"[1].

أ- التَّعلُّق بالحبيب المُهْمِل:

وهذا البُحتريُّ يَمدحُ (المُتوكِّلَ عَلى اللهِ)[2]. وقدْ بدأَ مُقدِّمةً غزليَّةً، إذْ يَفْدي فيهَا محبوبتَهُ بنَفْسِهِ وقَدْ وصَفَهَا ظبيًا لمَّا تعلَّق قلبهُ بجفونها التي لا يرى منها أيَّة عاطفةٍ تُدخل السُّرور إلى قَلْبِهِ والشَّاعر قدْ أَغرَّه الحُبُّ فَطورًا يُظهره، وتارةً يُخفيه عن الناس.

وتَظهرُ جمَاليَّاتُ ألفَاظِهِ وحِرْصُهُ عَلى انْتِقائِهَا في عَجُزِ البيتِ الأوَّلِ، بِتَرَابُطِ الألفَاظِ بَعضِهَا ببَعضٍ، فالجفونُ المَرضَى فاتِرَة العَاطِفَةِ، "بقدرِ ما كَانَ البُحتري حَريصًا على انْتِقَاءِ لَفْظِهِ المُفرَدِ والتَّنَوُّقِ فِيهِ، كانَ حَرِيْصًا أيضًا عَلى أنْ تكونَ النِّسبَةُ بينَ اللَّفظَينِ المُرتَبِطَينِ صَحيحَةً"[3]. فنَراهُ يقول:

الخفيف

بِأَبـي شادِنٌ تَعَلَّقَ قَلْبِـي بِجُفـونٍ فَواتِرِ اللَّحظِ مَرْضَـى

غَرَّنِي حُبُّهُ فَأَصْبَحتُ أُبْدِي مِنْهُ بَعْضًا وَأَكتُمُ النَّاسَ بَعْضَا[4]

---

[1] الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (علق)، ٢٦/١٨٣-١٨٤. والبيت لابن الدّمينة في **ديوانه**، ٤٨ .

[2] هو جعفر، أمير المؤمنين، المُتوكِّل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله بن المنصور ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن المطلب، يُكنّى أبا الفضل، قُتل ليلًا لأربعٍ خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومئتين، وكان عمره أربعين سنة. ينظر ترجمته: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٨/٤٥-٥٤ .

[3] اليظي، صالح حسن، **البحتري بين نُقَّاد عصره**، ٢٢٨ .

[4] **ديوانه**، ٢/١٢١٤-١٢١٥ .

ب- الحبُّ إقرارٌ وإيجاب:

يَصفُ جُعَيفِران المُوَسْوَس[1] تعلُّقَهُ بامرأةٍ اسمها (جامعة)، إذْ تَعلَّق قَلبُهُ بِهذه المَرأةِ التي تَلبسُ الأقراطَ في أُذنيْها، فأحَبَّهَا وَهِيَ لا تُبدي صدًّا، لتبدأ بعدها قصة الحب وما بعدها. "الشعر لجعيفران والغناء لمتيم، ومما وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعة وفيه له غناء"[2]. قالَ:

الكامل

قَلبي بِصاحِبَةِ الشُّنوفِ مُعَلَّقُ وَتَفِرُّ صاحِبَةُ الشُنوفِ وَأَلحَقُ[3]

ج- التَّعلُّقُ بمجوسيّةٍ:

ويَتَغزَّلُ يحيى الغزالُ[4] بِزوجةِ إحدَى مُلوك المَجوس، واسمُهَا (تُود)، بعد أنْ سَارَ إلى بلاد المَجوس، فَيُخاطبُ قلبَهُ وقد حُمِّل حُبًّا أتعبَهُ، وكَأنَّمَا عارِكَ أسدًا وتعبَ مِن مُنازلتِهِ، فنال- بعد طول جهدٍ- ما لم تَنَلهُ غيرُهُ من القُلوبِ، وقد تعلّق قلبُهُ بتلكم الملكةِ المجوسيَّة، فجَعلها شمسًا ليستْ تغربُ، كنايةً عن وَضَاءَةِ وجهِهَا وإشراقَتِهِ. ونُلاحظُ الجمالَ الحاصلَ مِنْ تكرارِ الحُروفِ نفسها وتشابهها، (الغين واللّام) في عجُز البيت الأوَّلِ، لتُكوِّن لنا صوتًا موسيقيّا جميلًا، وكذا السِّين في البيت الثاني أضفت جَرْسًا موسيقيًّا جميلًا. قال الغزالُ:

السريع

كُلِّفتَ يا قَلبي هَوىً مُتعِبًا غالَبتَ مِنــهُ الضَّيغَمَ الأَغلَبــا[5]

إنّــي تَعَلَّقتُ مَجوسِيَّـــــةً تَأبى لِشَمسِ الحُسنِ أَن تَغرُبا[6]

---

[1] هو جعفر بن علي بن السَّري بن عبد الرحمن، أبو الفضل المعروف بجعيفران الشاعر، وُلد ببغداد ونشأ بها، وأبوه من أبناء خراسان وكان جعفر من أهل الفضل والأدب، وُسوس في أثناء عمره، وله أخبار وأشعار مستحسنة. البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٤٤/٨. ولم تُورد كتب التَّراجم تاريخ ولادته ووفاته. وتوفي سنة ٢٣٠هـ، **الموسوعة الشِّعريَّة**.

[2] الأصفهاني، **الأغاني**، ١٠٨/٢٠ .

[3] **نفسه**، ١٠٨/٢٠.

[4] يحيى بن حكم المعروف بالغَزَال، (بتخفيف الزاي) رئيس كثير القول، مطبوع النَّظم في الحكم والجدّ والهزل، وُلد سنة ١٥٦هـ، أدرك أيّام حكم المُستنصِر، وتوفي سنة ٢٥٠هـ، وهو ابن أربع وتسعين، ينظر: **ديوان يحيى الغزال، مقدمة المُحقّق**، ٦ . وينظر ترجمته: الحميدي، **جذوة المقتبس**، ٥٥٤-٥٥٥ .

[5] الأغلَب: الغليظ الشَّديد، الفراهيدي، **العين**، مادة (غَلَب) .

[6] **ديوانه**، ٣١ .

٤ – الكَلَفُ:

وقد أورد ابن فارسٍ في مَقاييسهِ اللُّغوية معنى اللَّفظة؛ "الكافُ واللَّامُ والفَاءُ أصلٌ صَحيحٌ يدلُّ على إيلاعٍ بالشيء وتعلُّقٍ به. ومن ذلك الكَلَف، تقول: قد كَلِفَ بالأمر يكلَفُ كَلَفَا. ويقولون: لا يكن حبُّكَ كَلَفَا، ولا بُغضُكَ تَلَفا"[١]. "ومن الباب؛ الكَلَف: شيءٌ يعلو الوجهَ فيغيِّر بشرَتَهُ"[٢].

أ– الكَلَفُ لا نِهايةَ لهُ:

لا بُدَّ للحبِّ أنْ يظهرَ وإنْ خفِي، فَللحبِّ عَلاماتٌ وآثارٌ، مَهما حاولَ الأَحبَّةُ إخفاءَها بَانتْ فقلبُ الشَّاعِرِ يحبُّ حُبًا مُحكمًا، قَد توثَّقت فيهِ الأشواقُ لا تتزحزَح، وقدْ وَظَّف الشَّاعِرُ لفظةَ (استَحكَمتْ) ليدلَّ عَلى أنَّ قَلبه مُحكم الوِثاقِ لا يَنفكُّ عَنْهُ وِثَاقُهُ، فلِكلّ شَيءٍ نِهايةٌ مَحتومَةٌ إلا آلامَ الحُبِّ فَباقيةٌ بَقاءَ نبضِ القلوبِ، لِتظلَّ مُعاناةُ اللَّوعة في قَلبِه المُحبِّ قائمةً لا تنقطع. قال الوأواءُ الدِّمَشقيُّ[٣]:

البسيط

إنَّ المُحِبّينَ إنْ أَخْفَوْا مُحـاذَرَةً هَواهُمُ فَلَهُمْ فيهِ عَلامـــــــــاتُ

لا آخَـذَ اللهُ مَنْ قَلْبي بِهِ كَلِفٌ صَبٌّ قَدِ اسْتَحكَمَتْ فيهِ الصَّبابـاتُ

لِكُلِّ شَيْءٍ نِهاياتٌ تَبيدُ وَمـــا لِلَوْعَةِ الحُبِّ في قَلْبــي نِـــهاياتُ[٤]

ب– سلطانُ الحبيب على القلوب:

عاودتِ الذِّكرياتُ الحبيبَ بَعدما كانتْ مَنْسيَّةً، وعادتْ أوْصالُ الحُبِّ بعد الصَّدِّ والهَجْرِ فالحبيبُ ظَبيٌ دعا قلبَ حَبيبِهِ الكَلِفِ إليهِ، وقلبُهُ ذو سلطانٍ آمِرٍ نَاهٍ، يأمُرُ القلب فيُطيعُ، تَابِعًا حَبيبَهُ، فيفعل بهِ ما يَشاءُ. قال ابن الرُّوميِّ:

---

[١] **مقاييس اللُّغة**، ١٣٦/٥. مادة (كلف) .

[٢] **نفسه**، ١٣٦/٥ . مادة (كلف) .

[٣] هو محمد بن أحمد، وقيل محمد بن محمد، أبو الفرج الوأواء الغسّاني الدّمشقي، شاعر مطبوع غير متكلّف، حلو الألفاظ متّسقُها، عذب العبارة، حسن الاستعارة، جيّد التّشبيه، وهو من الشعراء المدّاحين لسيف الدولة الحمداني، واختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته، فمنهم من قال: إنّ الوأواء توفي في سنة ٣٧٨هـ ، ومنهم من جعلها سنة ٣٦٨هـ، لكن محقق الديوان جعلها سنة ٣٧٠هـ. ينظر ترجمته: **ديوان الوأواء الدِّمشقي، مقدّمة المحقّق**، ٩–١٧ . توفي الوأواء الدمشقي في عشر التسعين وثلاثمائة. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٣٩/٢–٤٢. وينظر ترجمته: الزركلي، **الأعلام**، ٢٠٤/٦ .

[٤] **ديوانه**، ٦٢ .

المنسرح

راجَعَ منْ بَعد سلوةٍ ذِكَرَهْ وواصَلَ الظّبيُ بَعدَمَا هَجَرَهْ

ظَبيٌ دَعَا قلبَ هائمٍ كَلِفٍ مُؤتمِـــرٍ قلبُـــــهُ بِمَا أَمَرَهْ[1]

ج- الحُبُّ والكَلَفُ الحلالُ:

يتبادلُ ربيعةُ الرَّقِّيُّ[2] الحُبَّ مع محبوبتِهِ، ويُوظِّفُ المَجازَ في ذلكَ، فُحبُّها قد سَكَنَ في قلبِهِ وحُبُّه قد سكنَ في قلبِها، وَهُما يتَبادلانِ مَساكنَ الحُبِّ، كمُحبّينِ لا شُكوكَ في حبِّهما، فَيُكابدانِ عَذاباتِ الهَوى ويَقتسِمانِها بينَهُما، ولا يبغِي الشَّاعرُ من الحبِّ إلَّا حَلالَهُ، والكَفَّ عن حرامِهِ، لِأنّهُ مُخلِصٌ لَمَحبوبتِهِ غايةَ الإخْلاصِ.

ويقول ابن المعتزِّ في شعر ربيعة الرَّقيِّ: "فأمَّا شعره في الغزل فإنه يفضَّلُ على أشعارِ هؤلاءِ من أهل زمانه جميعًا، وعلى كثير ممَّن قبله، وما أجد أطبع ولا أصحَّ غزلاً من ربيعة"[3]. قالَ ربيعةُ:

الوافر

أَقامَ الحُبُّ حُبُّكِ في فُؤادي وَحُبّي في فُؤادِكِ قَد أَقاما

كِلانا وَامِــقٌ كَلِفٌ مُعَنّـــى بِصاحِبِهِ وَما يَبغي حَراما[4]

٥- العشق:

وقدْ نقلَ النُّويريُّ تَعريفَ العِشْقِ، "قال أفلاطون: العِشقُ، حركةُ النَّفسِ الفارغةِ بغيرِ فِكرةٍ. وسُئِل ديوجانسُ عن العِشقِ، فقالَ: سُوء اختيارٍ صَادفَ نَفْسًا فارغةً. وقال أرِسْطَاطَاليسُ: العشقُ هو عَمى الحِسِّ عن إدراكِ عُيوبِ المَحبوبِ. وقال فِيثاغورس: العِشقُ، طَبعٌ يتولَّد في القلبِ ويتحرَّك ويُنمَّى ثم يَتربَّى، ويجتمعُ إليهِ موادٌّ من الحرصِ، وكُلَّما قويَ ازدادَ صاحبُهُ في الاهتياجِ

---

[1] **ديوانه**، ٢٨/٢ .

[2] هو ابن لَجَأ بن العَيزَارَ بن لَجَإِ الأسَدِيُّ أبو ثابت الرَّقِّيُّ الشَّاعِرُ، مدحَ أميرَ المُؤمنينَ المَهديَّ بعدَّةِ قَصَائِد، كانت وفاتُه سنة ١٩٨هـ، ينظر ترجمته: الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ١٣٤/١١-١٣٦ .

[3] **طبقات الشعراء**، ١٥٩ .

[4] **شعر ربيعة الرقي**، ٦٤ .

واللِّجاجِ، والتَّمادي فِي الطَّمع، والفِكرِ في الأَمانِي، والحِرصِ على الطَّلبِ، حتَّى يؤدِّيه ذلكَ إلى الغَمِّ المُقلقِ. وإلى هَذا المَعنى أشارَ المُتنبي بِقولِهِ:

الطويل

وَمَا العِشْقُ إلّا غِرّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَتُصَابُ[1]

وقالَ بعضُ الفلاسفةِ: لمْ أرَ حَقًّا أشبَهَ بِباطِلٍ، ولا باطِلًا أشبَهَ بِحقٍّ من العِشْقِ، هزْلُه جِدٌّ، وجِدُّه هَزْل، وأوّلُه لَعِب، وآخِرهُ عَطبٌ. وقد ذهبَ بعضُهمْ إلى أنَّه مَرضٌ وُسْواسيٌّ شَبيهٌ (بالمَالِيخُوليا[2])"[3].

– الفرقُ بينَ الحُبِّ والعِشْقِ:

"قالوا: المَحبَّةُ جِنْسٌ، والعِشْقُ نوْع. فإنَّ الرَّجُلِ يُحبُّ أبَاه وأمهُ، ولا يبْعثُهُ ذلكَ على تَلَف نفسهِ بخلاف العاشق"[4]. "وقالوا: كلُّ عشق يُسمَّى حُبًّا، وليس كلُّ حُبٍّ يُسمَّى عِشقًا. لأنَّ العِشْق اسمٌ لمَا فَضَلَ عن المَحبّة، كما أنَّ السَّرفَ اسمٌ لِما جاوزَ الجُودَ"[5].

أ– العِشْقُ غرورٌ وطَمَعٌ:

يَرى المُتنبي أنَّ العِشْقَ ما هُو إلَّا خِداعٌ وزَيْفٌ يُصيبُ القُلوبَ، وقدْ وظَّف الشَّاعرُ المَجَازَ خيرَ تَوظيفٍ، عندَمَا جعلَ قلبَ غيرِهِ مَرميًّا على الطُّرُقات تَنهَشُهُ الكِلابُ، وغيرَ أصابِعِه –التي شبهها بِالفوارسِ– تركبُ دِنانَ الخَمْرِ.

"العشقُ اغترارٌ وخِداعٌ وطمَعٌ في الوصلِ، ويريدُ أنَّ القَلبَ يَشتهي أولًا وتتبعُهُ النَّفسُ إذا جُعلتِ النَّفسُ غيرَ القلبِ. وإنْ جُعلت النَّفسُ هي القَلب. والمَعنى: أنَّ القلبَ يُوقِعُ نفْسهُ في البَلاءِ بِتعرُّضِه لذلكَ. وقال غَيرُه: قَلبِي لا تصيبه النِّسوان بسيوف ألحاظهن، لأني لا أميل إليهن فإني

---

[1] **ديوانه**، ١٩٢/١ .

[2] المَالِيخُوليا: وهو داءُ معروف، يَنْشَأُ من السَّوْداءِ، وأَكثرُ حُدُوثِهِ في شَهْرِ شُبَاطَ، يُفسدُ العقْلَ، ويُقَطِّبُ الوجْهَ، ويُدِيمُ الحُزْنَ، ويُهَيِّمُ باللَّيْلِ، ويُخَضِّرُ الوَجْهَ، ويُغَوِّرُ العَينينِ ويُنْحِلُ البَدَنَ، ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة (قطرب) .

[3] **نهاية الأرب**، ١٤٠/٢–١٤١ .

[4] النويري، **نهاية الأرب**، ١٤٥/٢. الجنس: إما يدل على عدد من الأنواع كالحيوانية المشتملة على الحيوان والإنسان. النوع: الصنف من كل شيء الذي يتصف بصفات خاصة مميزة له عن غيره .

[5] **نفسه**، ١٤٥/٢ .

لست غَزِلًا زِيرًا، أنا عِزهَاة[1] عزوفُ النَّفس عنهنَّ، ولا أحِبُّ الخمْرَ ومُعاقَرَتَها، فَبَناني لا يَركَبُها الزُّجاجُ، لأني لا أحملُ كأسَ الخمرِ بيدي"[2]. قال المتنبي:

الطويل

وَما العِشقُ إلّا غِرَّةٌ وَطَماعَةٌ يُعَرِّضُ قَلبٌ نَفسَهُ فَيُصابُ

وَغَيرُ فُؤادي لِلغَوانـــي رَمِيَّةٌ[3] وَغَيرُ بَناني لِلزُّجَـاجِ رِكابُ[4]

وليسَ للمرأةِ محلٌّ دَائِمٌ مِن حَظِّ قلبِ المُتنبي، لِأَنَّهُ يُفَضِّلُ بِأَنْ يشغَلَ قَلْبَهُ بِأُمورٍ أرفَعَ قَدْرًا من المرأة، فاهتِماماتُه وأحلامُهُ وآمَالُهُ تَشغَلُهُ عن ذلكَ كُلِّهِ، وفُؤادُهُ يَرقى إلى مَطامِحِ العُلى التي تُلبِّي غُرورَهُ وعَزيمَتَهُ[5].

ب- لَومُ العاشِقِ:

يدعو أبو نُوَاسٍ حبيبَهُ إلى عدمِ اللَّومِ، لأنَّ مَنظَرَ الحَبيبِ جالِبٌ للعشقِ والغَرامِ، فهو طريقٌ لكلِّ مُحبٍّ وعاشقٍ، لِيفدِيهِ الشَّاعِرُ بِنَفسِهِ، وقدْ نَظر الحَبيبُ إليهِ خِلسة، وأشَار بِعينِيه مُسلِّما بِقلبٍ خائفٍ، فلُغةُ العيونِ تكتُم ما خَفِي مِنْ بواطِنِ القُلوب. قال:

السريع

يا لائِمَ العاشِقِ أَنتَ الذي لِكُلِّ مَن يَهوى وَمَن يَعشَقُ

فَدَيتُ مَن كَلَّمَني طَرفُـــهُ سِرًّا مِنَ النَّاسِ وَمَن يَنـطِقُ

أَومـــا[6] بِعَينَيـهِ بِتَسليمَةٍ وَقَلبُـــهُ مِن وَجَلٍ يَخفِــقُ[7]

---

[1] عِزهاةٌ: لا يطرب للَّهو، ويبعد عنه، الجوهري، **الصحاح**، مادة (عَزه) .

[2] **ديوان المتنبي، هامش التّعليق**، ١٩٢/١ .

[3] رميّة: مرميَّة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رمى) .

[4] **ديوانه**، ١٩٢/١، وقد أورد محقّق الديوان (الرّخاخ) وهي الشطرنج، وفسرها أيضًا (الزّجاج) كنايةً عن الخمر، فوجدتُ معنى (الزجاج) أنسب في سياقها، فكما يبدو أنَّ التَّصحيف واقعٌ بين اللَّفظتينِ .

[5] ينظر: نافع، عبد الفتاح صالح، **لغة الحبِّ في شعر المتنبي**، ١١٠ .

[6] أوما: وهي أومأ، أشار، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ومأ) .

[7] **ديوانه**، ٣٤٤ .

ج- العِشق سبَبُهُ الجَمال:

قرَنَ الشَّاعِرُ الخُبزأرزيُّ وقْعَ نَظراتِ عُيونِ جَميلَةٍ يتغزَّلُ بها، بِوقْعِ الخَمْرِ حينَ يَذهَبُ بالعقولِ فيريحُ القلوبَ لِتنتَشي من جَمالِ نظراتِها، فالمكانُ بيتُ لَهْوٍ ورقْصٍ وطَرَبٍ، ويخبِرُها حديثًا عنْ نفسِها شيِّقًا، لِيتغزَّلَ بِجَمالِها وجَمال حَركَاتِها الذي لو رَأتْهُ عينُها هِي لسُحرت من جَمالِهِ كَمَا سُحِرَ الحاضرونَ وانْبَهَروا، وَلَعَشقتْ حَرَكَتَها عِشْقًا يَجلبُ الحَسَد لها. فقال يصفها:

الكامل

يَا مَنْ يُقلِّبُ نَاظــرًا فِي لَحْظِـــــه خمرٌ يدورُ على القلوبِ فيُسْكِرُ

واللهِ لوْ أبصرتَ عينكَ عِنْدمـــــا تَرنُو لَكُنتَ بِسحْرِ عَينِكَ تُسْحرُ

بَلْ لو تَرى الحَركاتِ مِنكَ عشقتَها عِشقًا يُخافُ عَليْك مِنْهُ ويُحذَرُ[1]

٦- الشَّغَفُ:

"وشَغفَهُ الحُبُّ، أيْ أحْرقَ قلبَهُ، قِيْل أمْرضَهُ، والشَّغَافُ: داءٌ يأخذ تحت الشَّراسيف، من الشِّقِّ الأيمن للقلب. قالَ النابغةُ:

وقدْ حَالَ هَمٌّ دونَ ذلكَ والِجٌ وُلوجَ الشَّغافِ تبتغيه الأصابعُ

والشَّغَافُ أيضًا: غلافُ القلب، وهو جلدةٌ دونَه كالحجاب. يقال: شَغَفَه الحُبُّ، أي بلغ شَغافَه"[2].

أ- التّذلُّل للحبيب من شيم الأديب:

يدْعُو الظَّاهريُّ[3] مَن يُحبُّ إلى تَحكيمِ عَقلِهِ، فلوْ افترضَ الحبيبُ جَدلًا بأنّ الشَّاعرَ قد اعترفَ بأنّه لا يُشغف بِه ولا يُحبّه، فَماذا يُسمي الشَّاعر إذَنْ حَسرتَهُ التي لمْ يُنصِفْهُ الحَبيبُ مِنها؟ ويُعطي لِحبيبِهِ دليلًا على الحُبِّ بدموعِ العينِ المُنصبَّة في إثْر الحنينِ إلى الحبيبِ، يومَ كانَ يكذِّبُ على قلبِهِ بِأنّهُ ليسَ يُحبُّ، والحَنينُ يُظهر خِلافَه ويجعلهُ مقرًّا بهذا الشّغَف. ليقول:

---

[1] **ديوانه**، ١٦٨/٢ .

[2] الجوهري، **الصحاح**، ١٣٨٢/٤، مادة (شَغَفَ) .

[3] هو أبو بكر، محمد بن داود الأصبهاني المعروف بالظاهري، العالم الأديب والشاعر الظريف، حفظ القرآن بعمر سبع سنين، كانت وفاته سنة ٢٩٦هـ-٢٩٧هـ تقريبًا، وعاش اثنتين وأربعين سنة . ينظر ترجمته: الظاهري، **الزُّهرة، مقدمة المحقّق**، ٧/١- ١٦، وينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٢٥٦/٥، وينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٥٨/٣ .

البسيط

هَبْني اعترَفتُ بَأنِّي لسْتُ ذَا شَغَفٍ أَلمْ يكنْ كَمَديْ أنْ لَسْتُ أَنْتَصِفُ

كَمْ قَدْ كذبْتُ علـــى قَلْبِي فَكذَّبَنِي طُولُ الحنينِ وَعَينٌ دَمْعُهَا (يَكِفُ[1])[2]

ب- الشَّغَفُ بالجارِ منَ المُجونِ:

وهذا كَشاجمُ يُشْغَفُ بجارٍ لهُ، فهوَ مَظلومٌ بِهِ لأَنَّهُ يَعرف بَأنّ حُبَّهُ قدْ أذاقَ كَشَاجِمَ المَرارة والقَهْر، إذْ كوى قلبهُ بالنار كِنايةً عن حرارة الشَّغَف، ولا يفعل شيئًا يُرضي بهِ الشَّاعرَ، إذْ ليسَ في قُربِ مَسكنِ الحبيبِ من الحبيبِ فائدةٌ إذا كانتْ قَدْ جَفتِ القلوبَ القلوبُ.

ونلحظُ جمال الوزن في القافية وتكرار المقطع الصَّوتي في كلمات (دارِهْ، جارِهْ، نارِهْ، مزارِهْ) وتجانُسِها، وإذا ما أنْعَمنا النَّظرَ في البيتِ الأوَّل، فإنَّنا نلحظُ تَكرار حَرف الرَّاء، ونرى الجِنَاسَ مُشَكِّلًا نَغَمًا مُوسِيقيًّا جميلًا في البيت الثاني (جارَ على الجار)، في إشارةٍ بديعيَّةٍ، فيقول فيهِ:

مجزوء الرمل

أَنَا مَشْغُـوفٌ بِجَـارِ قُرِنَتْ دَارِي بِـدَارِهْ

تَائِهٌ جَارَ عَلَى الْجَـا رِ فَمَـا يَرْثِي لِجَـارِهْ

عَالِـمٌ أَنَّ هَـــــوَاهُ قَدْ كَوَى قَلْبِي بِنَارِهْ

قَلَّ مَا يَنْفَعُ قُرْبُ الدْ دَارِ مَــعْ بُعْدِ مَزَارِهْ[3]

ج- الصَّوت الجميلُ يُولِّدُ الشَّغف:

ولِكَشاجِمَ أَيْضًا شعرٌ في وَصْفِ مُغنِّيةٍ، فَكأَنَّ صَوتَهَا آلةُ العُودِ، ذاكرًا حُسن أَلْحانِها، إذْ إنَّ أَوْتارها تَستأذن بِلطفٍ على حُجُب القلوبِ لتلجَ إليْها، فَكأَنَّ القلبَ مَلكٌ له حَاجبٌ يُستأذنُ للدُّخولِ عَليهِ، والنّغمُ ضيفُه، فتتصرفُ العُقولُ إلى الأنغام، والكلُّ مصغٍ، لأنَّ العقولَ لا تُغادِرها سَلامةُ الأَنْغامِ، فَهِيَ أَمَام حَدَثٍ ومشهَدٍ يأسرُ الألبابَ.

---

[1] وَكَفَ: أسال دموعه، ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة (وَكَفَ) .

[2] **الزهرة**، ١٠٧/١ .

[3] **ديوانه**، ١٧٦-١٧٧ .

ويستخدم الشَّاعرُ التَّشخيصَ في جَعْلِ العُقولِ من الذُّهولِ ناظرةً واقفةً، ليس فيها حِراكٌ والجوانحُ تَقعُد مَحلَّها، فكأنَّ العُقول خَادمٌ تَقِفُ لِسيِّدها ومليكِهَا من تلك الأنغام، لدرجةِ أنَّ القُلوبَ لو كانَ الصَّخرُ مادَّتَها، فستكون مَشغوفةً بحبِّ أنغامِ العودِ. "وكان كَشاجِمُ نَفسُهُ يُجيدُ اللَّحنَ والضَّربَ على العودِ، وكان ينظمُ بعضَ شِعرِهِ من أجلِ اللَّحن والغناءِ، مُفضِّلا ألحانَ الحِجازِ على ألحان الشَّامِ"[1]. فيقولُ:

الكامل

وَلَهَا مِنَ الأَوْتَارِ حِيْنَ تَجُسُّهَـــا إِذْنٌ عَلَى حُجْبِ القُلُوبِ لَطِيْفُ

شَغَلَتْ عُقُولَ السَّامِعِيْنَ فَكُلُّـــهَا مُصْغٍ إِلَى نَغَمَاتِهَا مَصْـــرُوفُ

تَرِدُ الجَوَانِحَ والعُقُولُ شَوَاخِـصٌ فِيْـهَا فَتَقْعُدُ والعُقُولُ وُقُـــوفُ

لَوْ كَانَ مِنْ حَجَرٍ فُؤَادُكَ لَمْ تَرُحْ إِلَّا وَأَنْتَ بِحُبِّهَـــا مَـشْغُوفُ[2]

٧- اللَّوعة:

"لَوْعَةُ الحبِّ: حُرقتُه. وقد لاعَهُ الحبُّ يَلوعُهُ. والْتاعَ فؤادهُ، أي احترقَ من الشوق. يُقال: أتانٌ لاعَةُ الفؤاد إلى جَحشِها، قال الأصمعيُّ: أيْ لائِعَةُ الفؤادِ، وهِيَ التي كأنَّها وَلْهى من الفزَع. وأنشَدَ للأَعشَى:

مُلْمِعٍ لاعَةِ الفؤادِ إلى جَحْـ شٍ فَلاهُ عنها فبئس الفالي"[3].

أ- اللَّوعةُ بفقد الأمِّ:

زوَّدتْ مَحبوبَةُ ابن الرُّوميِّ آلامَهُ حينَ فَارَقتِ الحياةَ، وهِيَ ليستْ كغيرِها مِن المَحبوباتِ فَهِيَ أمُّهُ، فقال يرثيها، إذْ ليسَ هُناكَ فَقْدٌ أغْلى من مثيلِ هذا الفقْد، وقد ظهرتْ لَوعتُه على شَكلِ نارٍ مُوقدة في قلبهِ تُحرقُهُ، فَكُلَّما تذكَّر مَوتَها احترقَ قلبُهُ ألمًا، ولا يملكُ من يُعزِّيه مُواساةً له بفقد أمِّهِ وشفاءِ جرحهِ من اللهِ شيئًا، لأنَّ اللهَ وحدهُ سيُبري جُرحَه، فلا عزيزَ أعزَّ عَليهِ مِنها ليبُثَّ شَكواهُ فقال معزّيًا نفسَهُ فيها:

---

[1] ملحس، ثريا عبد الفتاح، **أبو الفتح كشاجم البغدادي: في آثاره وآثار الدارسين**، ٩٣٧ .

[2] **ديوانه**، ٢٧١-٢٧٢ .

[3] الجوهري، **الصحاح**، ١٢٨١/٣-١٢٨٢، مادة (لَوَعَ) .

الطويل

وإنَّي وَقَدْ زوَّدتِني مِنكِ لوْعـةً لَهَا وَقْدَةٌ فِي القَلْبِ كَالنَّارِ فِي الضّرمْ[1]

يُريدُ المُعزّي بُرْءَ كَلْمِي بوَعْظِهِ وَلَمْ يَكُ غَيرُ اللهِ يُبرِئُ مـــا كَلَـــــمْ[2]

ب- اللَّوعة لا تزول:

تَحولُ بينَ ابن دُرَيدٍ[3] وصَحْوتِهِ لَوعَةٌ مَصْدرُها قَلبُهُ الذي اكتوى بِجمرهَا، وقدْ استَعَارَ للوعتهِ جَمرًا، حتَّى انهالتْ دُموعُ القلبِ من قَلقِ الحُزنُ، فانكشفَ السِّرُّ بينه وبين النَّاسِ، لأنّ منْ يكونُ مُلازمًا للحبِّ قلقٌ بِاستمرار، وهذا القلقُ مصدرُه القلبُ المَلومُ والعَينُ التي نَظرتْ، ولا يكترثُ الشَّاعر من أيِّ مُعاتب أو نَاصحٍ له، لأنّ المُحبَّ دائمًا سَجينُ أهوائِهِ.

وقدْ وَظَّفَ ابن دُرَيْدٍ جَانبَ المَشهدِ القَصَصِيِّ الذي يَحاكِي جَانبًا من حَدَثٍ لا يَصل بالضَّرورة إلى نِهَايتهِ، إذِ اعتمدَ المَوقفَ القَصَصِيَّ الذي يكونُ فيهِ الحوارُ والرِّوايةُ رُكنًا رَئيسًا، مُتضمِّنًا النتيجةَ والتّعبير[4]، قالَ:

الكامل

قالوا: صَحَوتَ، فَقُلتُ تَأبى لَوعَـةٌ في القَلبِ يَلذَعُ جَمرُها بَل يُحرِقُ

قَلِقَتْ مَدامِعُـهُ فَبُحْـنَ بِسِـــرِّهِ مَن ذا يُقارِنُـــهُ الهَوى لا يَقلَـقُ

قَلْبِي المَلومُ عَلى الهَوى بَل مُقلَتي بَل ذا وَذاكَ كِلاهُمـــا لي موبِقُ[5]

قُلْ مَـــا بَدا لَكَ عاذِلاً وَمُناصِـحًا قَدَرُ الهَـــوى فَأَسيرُهُ لا يُطلَـــقُ[6]

---

[1] الضَّرْم: الحطب ما التهب سريعًا، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ضَرم) .

[2] **ديوانه**، ٢٩٥/٣ .

[3] هو محمد بن الحسين بن عَتاهية، أبو بكر الأَزْدِيُّ، بصري المولد ونشأ بعُمان وتنقّل بين جزائر البحر، والبصرة وفارس، كان طالبًا للعلم وكان أبوه من الميسورين وأصحاب الرِّياسة، مات سنة ٣٢١هـ، ينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٥٩٤/٢-٥٩٦ .

[4] ينظر: درويش، أحمد، **ابن دريد رائد فن القصة العربية**، ١١٨-١١٩ .

[5] موبِق: كل حاجز بين شيئين، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (وَبق) .

[6] **ديوانه**، ١٢١ .

ج- اللَّوعة بِالغِلمان:

ويُوردُ ابن عبد ربّه في هذا البابِ حكايةَ أبي تمّامٍ ومُحَاوَرَتَهُ مع ماني المُوَسْوَس[1]، وولعِهِ بغلامٍ: "نقل محمد بن يزيد الأسدي، قال: حدَّثني حبيب بن أوس، قال: كُنتُ في غرفةٍ لي على شاطئِ دِجلةَ في وقت الخريف، فإذا بِغلامٍ كنتُ أعرفُهُ بِجمالٍ، قد تَجرَّد من ثيابه وألقى نفسهُ في الدِّجلةِ يَسبح فيها، وقد احمرّ جِلدُهُ من بَرْدِ الماءِ، وإذا مانِي المُوَسوَسُ يَرمُقه ببصرهِ، فلمَّا خَرجَ من المَاءِ. قَالَ:

خَمَشَ الماءُ جلدَهُ الرَّطْبَ حتّى خِلْتُه لابِسًا غلالةَ خَمْرِ

قلتُ لهُ: لَعَنكَ اللهُ يا مانِي! أَبَعْدَ الجِهادِ والغزوِ تُحبُّ غُلامًا قد بَاتَ مُؤخَّرًا في الحَاناتِ؟ فقال لِي: ليسَ مِثْلُكَ يُخاطَب يا أحمق، وإنَّمَا يُخاطب هَذا، وأشارَ إلى السَّماءِ، وقالَ"[2]:

الطويل

بِكَفَّيكَ تَقليبُ القُلوبِ وَإِنَّنـــي لَفي تَرَح مِمّا أُلاقي فَما ذَنبـــي؟

خَلَقْتَ وُجوهًا كَالمَصابيحِ فِتنَةً وَقُلتَ اهجُروها عَزَّ ذَلِكَ مِن خَطبِ

فَإِمّا أَبَحتَ الصَبَّ ما قَد خَلَقتَهُ وَإِمّا زَجَرتَ القَلبَ عَن لَوعَةِ الحُبِّ![3]

إنَّ الشَّاعَر يُخاطب ربَّه مُقلّب القلوبِ، وهو حزينٌ لمَنْظرِ ما رأى، لأنَّهُ لمْ يَنَلْ إلَّا الحَسرَةَ وهو ينفي الذَّنْبَ عن نفسِهِ، لأنَّ جمال الفتى الذي تغزَّل به لا يُمكنُ لنفسِهِ الوضيعةِ أنْ تُقاوِمَهُ، وقدْ شبَّه وجهَ الفتى بالمِصباحِ في وَضاءَتِهِ ولمعانِهِ، إذْ يَفتنُ الأبصارَ، ويُخاطبُ اللهَ تعالى، أنَّى لَنا أنْ نَهجُرَ الجمالَ الذي خلقتَهُ؟ لأنَّ ذلكَ على النُّفوس عزيزٌ، فإمّا تجعلنَّ يا اللهُ حُبَّ جمالِ الغُلام مباحًا! أو تنزعَنَّ من القلبِ تلكَ الشَّهوةَ الدَّنيئةَ.

---

[1] هو محمد بن القاسم أبو الحسن المعروف بماني المُوَسْوَس، من أهل مصر، سكن بغداد في أيام المتوكّل على الله، وله شعر رقيق في الغزل، روى عنه بعض أخباره وشعره أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي. البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٢٨٣/٤. كان من أظرف الناس وألطفهم. توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٤٦/٤ .

[2] **العقد الفريد**، ١٩٢/٧-١٩٣ .

[3] **نفسه**، ١٩٣/٧. والشعر لماني الموسوس .

د- منْ خافَ الفِراقَ عاجَلتْهُ اللَّوعة بالإشْفاق:

ويأتي معنى هذا الباب من أبواب الحُبِّ تحت باب سمّاه الظَّاهري: "(من راعهُ الفِراقُ مَلكهُ الاشتياقُ). التَّرويع بالفِراق هو السَّهمُ الذي لا يَعدلُ عن مَقاتل العُشَّاقِ. منْ رمى به من المَحبوبينَ أصابَ، ومن دُعي به من المحبِّينَ أجابَ"[1].

ويظهرُ ضعف المُحبِّ المُشتاقِ مِن فِراقِ حَبيبِهِ لهُ، فالأكبادُ تَغلي، والقلبُ من الحُزنِ يوشِكُ أنْ يتَشقَّق، بل ينصدعُ وكأنّه جِدارٌ تَشقّق من زلزَلَةٍ، وكلُّ ذلكَ خوفٌ من البُعدِ ليسَ أكثرَ، فكيفَ لو كانَ البُعدُ حَاصِلًا؟ وعينُ القلبِ، هِي استعارةٌ له، تَبكي البُعدَ بدموعٍ مُتسرِّعة، كِنايةً عَن غَزارتِها. قال الظاهري:

الطويل

على كَبدي من خِيفَةِ البَينِ لَوْعَةٌ يَكَاد لها قَلبِي أَسىً يَتَصَدَّعُ

يَخافُ وُقوعَ البَينِ والشَّملُ جَامِعٌ فَيبكـــي بعينٍ دَمْعُهَا مُتَسَرِّعُ[2]

٨- الجوى:

"الجيمُ والواوُ والياءُ أصلٌ يَدلُّ على كَراهَة الشيءِ. يُقال اجتويْت البلادَ إذا كرهتها وإن كنت في نعمةٍ، وجَويتُ، قال:

بَشِمتُ بِنيِّها وجَوَيْتُ عنها وعندي لو أردتُ لها دواءُ

ومن هذا الجوى، وهو داء القلب"[3].

أ- حالُ القلبِ بالجَوى:

يخاطبُ الشَّاعر ابن دُرَيْدٍ نَفسَهُ، فَيجعلُ منْهَا شخصًا آخرَ، مُسْتَنهِضًا هِمَّتَها، حيثُ شبَّهَ المَصائبَ التي لاقتْهَا نَفسُهُ بِفرسٍ مُتتابعِ العَدو، رَكبَ ظَهرهُ مِرارًا، وكانَتِ المَصائِبُ أحدَّ وأكثرَ ألمًا

---

[1] **الزهرة**، ٢٢٥/١ .

[2] **نفسه، مقدمة المحقّق**، ١٠/١ .

[3] ابن فارس، **مقاييس اللُّغة**، ٤٩١/١، مادة (جوى)، والبيت لزهير في **ديوانه**، ٨٣ .

قبلَ تلكَ المصيبةِ الأخيرةِ، والنَّفْسُ تُجيبُهُ بِالتَّصديقِ، لَكنَّهَا ليْستِ المَلومةَ في التَّقصيرِ، بل قلبُهُ المَلومُ على ذلك، لأنَّهُ يَمتلئُ جِراحًا من الأحزانِ التي راكَمَتْها المَصائِبُ، وقدْ مثَّلَ لِمصَائبهِ بحالةِ حربٍ أسْلِحَتُها أقلُّ حِدَّةً من سَابقتِها. فالقلبُ لولا الأَسَى الذي أضرَّ بِهِ لانتصرَ مِن الجَوى لِصَاحِبِهِ مَهما عَظُمَ بلاءُ ذلكَ الجَوى وازدادَ، وأمَّا قولُهُ: (القلبُ يَنكؤُه الأسَى)، فقد جعلَ الشَّاعِرُ الأسَى صورةً محسوسةً لما يَجرَحُ من الأدواتِ الحادَّةِ، فاستعارَ(الأسى) للجرحِ. وتظهرُ نفسِيَّةُ الشَّاعرِ اليائِسَةُ وحالتُهُ البائِسَةُ، لِيقول:

الطويل

كَأَنَّكَ لَم تَركَـــــــبْ غُروبَ فَجائِعٍ شَباهُنَّ مِن هـاتا أَحَدٌ وَأَكلَمُ

بَلى غَيرَ أَنَّ القَلبَ يَنكَؤُهُ الأَسَى الـ مُلِمُّ وَإِن جَلَّ الجَوى المُتَقَدِّمُ[1]

ب- تَقادُمُ عَهْدِ الجَوى:

يُخاطبُ مُسلمُ بن الوليدِ طَيفَ حبيبته التي منْ أجلِها شَابَ حُبُّه، كِنايةً عن تَقادُم الحُبِّ في قلبِهِ زَمَنًا طويلًا، وهيَ استعارةٌ لطيفةٌ جعلَ الشّاعرُ فيها القلبَ شائِبًا، لمَّا استولى عليهِ الحُزنُ من تَعلُّقِهِ بِالحبيبِ، فشابَ هَوى القلبِ ولكنَّ الشَّعْرَ لم يشبْ، وقدْ تَطاولَ عَهدُ ألمِ الحُبِّ حينَ احتنَكَهُ الجوى، ويطلبُ الشَّاعرُ من مَحبوبتِهِ الوِصالَ بالرُّجوع إليه لكي تُفرَّجَ هُمومُ قَلبهِ، ولوْ كانَ رُجوعًا للمُعاتبةِ والمُحاسبةِ، فلا ضَيْر فيهِ. قال:

الكامل

شَابَ الهَوى في القَلبِ وَاحْتَنَكَ الجَوى أَسَفًا وَما شَمَلَ المَشيبُ ذَوائِبي

ثُوبِـي عَلَـيَّ لِكَـي أُنَفِّسَ كُـــــربَةً فَإِذا بَدا لَكِ في الذُنوبِ فَعاتِبـي[2]

ج- نصير الحبيب على الجوى:

يُخاطِبُ البُحتريُّ مَحبوبَتهُ قائِلًا لَهَا: بأَنَّهُ لم يُقابل الوَصْلَ مِنها بالهجرانِ يومًا، ولا صدَّ وفاءً منها بعذرٍ صاغَتْهُ لهُ، فلِمَ كُلُّ ذَلِكَ الصَّدِّ والبُعدِ، أَلا يوجَدُ ثمَّةَ منْ يُخفِّفُ عنهُ حزنَهُ الذي مَلأَ قلبَهُ ويُجيره من أمراضِ قَلْبهِ فيمنْ يُحبُّ؟! بَعدَما حشَتْ قلبَهُ في كلِّ جانبٍ منْهُ، وقد وظَّف المَجَازَ في

---

[1] **ديوانه**، ١٠٦ .

[2] **شرح الديوان**، ٣/١٨٤-١٨٥ .

قوله: (مُجيري على الجَوى) و(مُعيني على الأسى)، وجَعلَ من (الجوى والأسى) رجلًا ظالمًا يَطلبُ العَونَ عَليهِ لِلخلاصِ منْهُ. فيقول:

الخفيف

لا، وَحُبِّيــكِ ما تَعَقَّبْتُ وَصْـــلاً بِصُـــــدودٍ ، وَلا وَفاءً بِعُـــــذْري

مَن مُعِينِي عَلى الأَسَى مِلْءِ قَلْبي أَم مُجِيرِي عَلى الجَوى حَشْوِ صَدري؟[1]

د- رَحيلُ الحبيب الجَوِيِّ:

لَقَد كان الوأواءُ عاشِقًا متَيَّمًا لا يستطيع الحياةَ بدون حَبيبٍ، فالسَّعادةُ مع الحبيبِ وبِوِصالِهِ تكون، فَإِذا لَم يُنِلْهُ الحبيبِ وِصالًا مرِضَ وتَعِبَ، واحتَرقَ قَلبه لوعةً، وذَاب فُؤادُهُ ونَحلَ جِسمه وظَلَّ يبكِي على ما قدَّمتْ يَداهُ، فَيومَئِذٍ لا يُعذَّبُ عذابَهُ أَحَدٌ[2].

لقدْ رَحَلَ الذي أحبَّهُ الدِّمشقيُّ فباتَ لِرَحيلِهِ مهمومًا حَزينًا، تنهمرُ الدُّموعُ من مُقلتَيْه، بعدَمَا كانَ وِصالُ الحبيبِ حَليفَهُ، ثُمّ ما لبثَ أنْ هَجَرهُ، ونَلحظ الشَّاعرَ يُوظِّف التَّناصَّ القرآنيَّ في قوله:(الحشْر والآخرة) و(كرَّةٌ خاسره) جاعلًا من الهُجرانِ خُطوةً خَاسرةً لعَلاقتِهِ بِها، وقبلَ أن يمضي الحبيبُ وعدَ الشَّاعِرَ بأنَّ اللِّقاءَ القادمَ سيكونُ يوم القيامةِ في ساحةِ الحشْرِ، فقد اشتاقتْ نفسهُ لذلك اليومِ العظيمِ. حقًّا إنَّها المُبالغةُ في الحُبِّ حينَما يتمنَّى الحبيبُ لِقاءَ حبيبه مُتمنيًّا بِذلكَ المَوتَ. فنراهُ يقول:

السريع

مَضى الَّذي أَودَعَ قلبي الجَوى فَدَمْعَتي مِنْ حَسْرَتي قاطِرَهْ

واصَلَنَـــي ثمَّ بَدا هَجْـــــرُهُ تِلْكَ لَعَمرِي كَـــرَّةٌ خاسِرَهْ

واعَدَني في الحَشْرِ أَنْ نَلْتَقـي فَقَدْ تَشَوَّقْتُ إِلـــى الآخِرَهْ[3]

---

[1] **ديوانه**، ١٠٧٩/٢ .

[2] ينظر: **ديوان الوأواء الدمشقي، مقدمة المحقّق**، ٢٧ .

[3] **ديوانه**، ١٠٦ .

٩- التَّتيُّم:

"التاء والياء والميم أصلٌ واحد، وهو التَّعبيد. يُقال: تيَّمَه الحُبُّ إذا استعبدَهُ. قالَ أهلُ اللُّغةِ: ومنهُ تيْمُ اللهِ، أي عبد اللهِ"[١].

"تَيَّمَهُ الحُبُّ، أي عَبَّدَهُ وذلَّلَه، فهو مُتَيَّمٌ. ويقال أيضًا: تامَتْهُ فلانةُ. قال لقيط بن زُرارَةَ:

تامتْ فؤادَكَ لو يَحْزُنْكَ ما صَنَعَتْ إحدى نساءِ بني ذُهْلِ بن شَيْبانا"[٢].

أ- دُموعُ المُتيَّمِ الشَّاذَّ:

يتحدَّثُ أبو نُواسٍ عَن ولعهِ بِغلامٍ جَميلٍ، وقد اشْتاقَ إليهِ قلبُه فَتَعبَ من شِدّة شَوقه، حتَّى بدتْ دموعُ الغُلامِ ظاهرةً على خَدِّه، وقد استعارَ للشَّوقِ دُمُوعًا، فكأنَّ دُموعَ الشَّوقِ هذهِ ليستْ كَغيرها من الدُّموع، إذْ لَها وَقْعٌ أكبرُ على نفسِهِ، ويقولُ لهُ الغُلامُ- ودموعُهُ لا تَزال مُنهمرةً بِحزنٍ شَديد- : إنّ الهجرَ يليق بالمُحبِّينَ، فهو يحمل إليهما الصَّبرَ بكلِّ معانيه.

وإذَا مَا قَرأنا الأبْيات قَراءةً مُمعِنَةً، فإنّنا نجدُ نغَمًا صَوتيّا مُطعَّمًا بالجَمالِ، فحروفُ (العينِ والميمِ والهاءِ والجيمِ والحاءِ والخاءِ) جَعلتْ من القصيدةِ لوحةً مميَّزةً، ناهيْكَ عن التَّصريعِ في البيتِ الأوَّلِ، ومَا سبَّبهُ من نَغَمٍ ترتاحُ بِهِ الآذانَ. لِيُسمِعنَا بها:

السريع

مُتَيَّـــــمُ القَلبِ، مُعَنّـــاهُ جادَت بِماءِ الشَّوقِ عَيناهُ

يَقولُ وَالدَّمعُ عَلـــى خَدِّهِ مِن وَجْدِهِ وَالحُزنُ أَبكـــاهُ

ما أَنفَعَ الهَجرَ لِأَهلِ الهَوى أَجدى مِنَ الهِجْرانِ مَعنـاهُ[٣]

---

[١] ابن فارس، **مقاييس اللّغة**، ٣٦١/١. مادة (تيم) .

[٢] الجوهري، **الصّحاح**، ١٨٧٩/٥. مادة (تيم) .

[٣] **ديوانه**، ٣٢٦ .

ب- إخفاءُ التّنيمِ والتّكْنيةُ عنْهُ:

كانتْ (عُليَّةُ بنت المهدي)[1] تقولُ الشِّعر في خادمٍ كانَ لَها يُقالُ لهُ (رشأ) وتُكنِّي عنهُ، فلمّا عُلمَ من عُليّة أنّها تُكنّي عن رَشأٍ بزينبَ، عَزمَت على أنَّ تُكَنِّي كِنايةً لا يَعرِفُها النَّاسُ، فقالتْ وعَمَّت الاسم في قولِها إلى ريْب، والرَّاء والياء والباء من (رَيْب) والياءُ والألفُ من (يا رب رشأ)[2].

ويظهرُ جَمالُ التَّصريعِ في البيتِ الأوّلِ، ليبرزَ صوتًا مُميّزًا في القصيدةِ، إذْ تشتاقُ عُليّة لمنْ كَنَّتْ عنهُ (رشأ) ولا تُعِدُّ حبَّهُ عيبًا، وإنّما تكتمهُ لأنّها سيِّدةٌ، وهو خادمٌ، وحتّى لا يلتفتَ النّاسُ إليها فهي أختُ هارونَ الرّشيدِ، وبَلغَ الاشتياقُ أقصاهُ حينَ تتيَّمتْ بِهِ، ولمْ تملكْ إلَّا الدُّموعَ ودعاءَ اللهِ وقد اعترفتْ في بيتِها الأخيرِ بأنّها أخفت ذِكْر اسمِ حبيبِها كَما يَخْفَى الشيءُ إذا ضُمِّنَتْهُ الجُيوبُ. لِتقول فِيهِ مُتغزِّلةً :

الرجز

القَلبُ مُشتاقٌ إلـــى رَيْــبِ يا رَبُّ ما هَذا مِـــنَ العَيبِ

قَد تَيَّمَت قَلبي فَلَم أَستَطِع إِلّا البُكــا يا عـــالَمَ الغَيبِ

خَبَّأتُ في شِعري ذِكرَ الَّذي أَحبَبتُهُ كَالخَبءِ فـي الجَيبِ[3]

١٠- الوَلَهُ:

"الوَلهُ: ذهابُ العقل، والتحيُّرُ من شدَّة الوَجد. ورجلٌ والِهٌ، وامرأةٌ والِهٌ ووالِهَةٌ. قال الأعشى:

فأقْبَلَتْ والِهًا تَكْلى على عَجَلٍ كُلُّ دَهَاهَا وكُلٌّ عِندَها اجتَمَعَا

وقد وَلِهَ يَوْلَهُ وَلهًا ووَلَهانًا، وتَوَلَّهَ واتَّلَهَ"[4].

---

[1] هي أخت هارون الرّشيد، كانت من أكمل النّاس عقلًا وحِفظًا لدينها وصيانةً لنفسها، وكانت كثيرة الصّلاةِ ودراسة القرآن، وكان هارون الرّشيد يعظِّمُها ويُجِلُّ قدرها ويُجلسها على فراشه فتأبى لتوفيه حقّهُ، كانت تقول الشّعر وتصنع الغناء الجميل، وكان إبراهيم بن المهدي يأخذ الشّعر عنها. ينظر: الصولي، **كتاب الأوراق، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم**، ٥٥ . أمُّها أم وَلد، مُغنيةٌ يُقال لها مكنونة، كانت من جواري المغنيّة المَروانيّة، وُلدت عُليَّة سنة مئةٍ وستين للهجرةِ وتوفيت سنة مِئتين وعشر، ولها من العمر خمسون سنةً. ينظر ترجمتها: الأصفهاني، **الأغاني**، ١٠/١٢٩-١٤٧ .

[2] ينظر: الصولي، **كتاب الأوراق، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم**، ٦١-٦٢ .

[3] **نفسه**، ٦٢ .

[4] الجوهري، **الصّحاح**، ٦/٢٢٥٦. مادة (وَلَه) .

أ- الوَلَهُ بِرَحيلِ المَحبوبِ:

يظهرُ في البيتينِ التَّاليينِ جمالُ التّكرارِ في كَلمتي (أُلحِف والمُلحف)، وكلمتي (نؤيه ونؤي) فأبو تمَّامٍ قد رسمَ صورةً جميلةً في الوصفِ حينَ ألحَّ في سؤالِ آثارِ الدِّيارِ عن صَاحِبتِها، لولَهه الشَّدِيد بها، فلا تُجيبهُ متمنِّعةً. وقدْ جَعلَ الشَّاعرُ في سؤالِهِ بِرًّا ولُطْفًا ليَستعطِفَ قلبَ حَبيبتِهِ، وأمَّا بُعْدُها فَشقّ في قلبِهِ حُفرةً عميقةً، لأنَّ العربَ تُطلق (النؤيَ) على المَجرى الذي يُحفرُ حولَ الخَيمة لمنعِ السُّيولِ منْ دُخولِها، وحُفرةُ القلبِ سببُهَا الشَّوقُ الشَّديدُ لما بقي من آثارٍ ومَا دَرَسَ مِنْها. وتِلكَ إسقاطاتٌ نَفسيَّةٌ استَقَاهَا من وَحي الطَّبيعةِ . قال:

الكامل

وَظَلِلتُ أُلْحِفُ[1] في السُّؤالِ رُسُومَها وَالمَنعُ مِن تُحَفِ[2] السُّؤالِ المُلْحِفِ

فَلِنُؤْيِـها في القَلـبِ نُـؤْيٌ شَفَّـهُ وَلَـهٌ بِظاعِنِهـا وَبِالمُتَخَـلِّفِ[3]

وأبو تمَّامٍ يصفُ آثار الدِّيارِ ويسألُ رُسومَهَا، وكيفَ لا يَكونُ لَهُ ذلكَ؟ فَهوَ الوَصَّافُ الذي تتحوَّل الأوصافُ عِندَهُ إلى أفكارٍ، والأفكارُ بدورِها تَتَطَوَّرُ إلى قيمٍ، فيُصوِّرُ مشهدًا حِسِّيًّا واقِعيًّا من وحيِ ثَقَافَتِهِ التي أَلَمَّ بِهَا[4].

ب- الوَلَهُ المفقود:

وفي قصيدةٍ يمدحُ فِيها مِهيارُ الدَّيلمِيُّ (الوزيرَ أبا سعدٍ بن عبد الرَّحيم)[5]، ويَلومُ فيها السَّاعي بالوِشايةِ، فَيَسْألُ قلبَ الوزيرِ مُستنكرًا: هلْ يا قلبُ رجعْت الآن إلى صوابكَ بعدَ كُلِّ ما جَرى؟ وباتَ الوَجدُ إليكَ مُنْصاعًا، وبعد ماذَا؟ بعد أنْ بلغتَ من العمرِ مَبلغًا. إذْ يجْعلُ الشَّاعرُ من الولَهِ عازِبًا أيْ أنَّ قلبهُ وولَهَهُ ذلكَ لا حاجَةَ لهُ بِهِ بعدَما كبُرتْ سنُّه وشَابَ، وقد استعارَ للهوى شبابًا وكأنّ الهَوى إنسانٌ. فقال:

---

[1] الإلحاف: شدّة الإلحاح في المسألة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لَحَف) .

[2] أتحفتُ الرجل بالشيء أتحفه إتحافا: وهو أن تُطرِفَهُ بالشيء أو تَحُضَّهُ عليه، ابن دريد، **جمهرة اللغة**، مادة (تَحفَ) .

[3] **ديوانه**، ١/٤٣٤-٤٣٥ .

[4] ينظر: الحاوي، إيليا، **أبو تمّام: فنُّهُ ونَفسِيَّتُهُ من خلال شعرِهِ**، ٤٤٢ .

[5] هو عميد الدّولة، محمد بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم، كان وزيرًا لجلال الدولة، واستمرّت وزارته ستّ سنين، كان فاضلًا و عارفًا بأمور الوزارة ، وله كتاب (أخبار الشُّعراء)، كان زمانه مليئًا بالقلاقل وشَغَبِ التُّركِ، هرب من بغداد مُتَخفِيًا، وأقام في جزيرة ابن عمر حتى مات سنة ٤٣٩هـ عن ٥٦ سنة. ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٣/٨-٩، وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ٦/٣٣١ .

السريع

يا قلبُ منْ أيْنَ عَلى فَتـرةٍ رُدَّ عليكَ الوَلَـــــهُ العازِبُ؟

أَبَعدَ أنْ مَاتَ شبابُ الهَوى شَاورَكَ المُـحتنِكُ الشائبُ[1]

ج- التّرفُّق بالوَالِهِ:

فلننظرْ إلى جمال الجِنَاسِ التَّامِّ في اللَّفظَتَينِ (وَلَهُ، وَلَهُ)، فأبو الفتحِ البُستِيُّ[2] ظريفٌ في قولِ الشِّعرِ يدعو حبيبَهُ التَّرفُّقَ في حالتِه، وهذا البيتُ الأوحدُ الذي ورد مُنفرِدًا في ديوانِهِ لا ثانِيَ لَهُ لكنَّهُ يُشكِّلُ قصيدةً بحدِّ ذاتِها، فالشّاعرُ يُريدُ أنَّ العينَ واحِدةٌ ولكنَّ دُموعَهَا شكَّلتْ عيونًا أُخرَ تبكي معها، وكَأنَّ العَينَ شَاكَلَهَا شَيءٌ مِن الأَذى، فرِفْقًا رِفْقًا. يقول:

البسيط

رِفقًا بِصَبٍّ! لهُ في طَرْفِهِ طُرَفٌ مِن دَمعِهِ، ولَهُ في قلبِه وَلَهُ[3]

١١- الهيام:

والهُيامُ: هو جنون العشق، وأصل الهائمِ: المتحيِّرُ في الأمر الذي لا يستقِرُّ على أمرٍ واحدٍ وهو أَيضًا المُنكَبُّ على وجههِ عِشْقًا، فَقدْ هامَ بها؛ هَيْمًا وهُيومًا وهِيامًا وهَيَمانًا وتَهْيامًا[4].

أ- الحبيبةُ أقلَقَها الهيامُ:

"ومع أنَّ منَ المَعهودِ في الغَزَلِ أنْ يَنْفردَ المتغزِّلُ دون الحبيبةِ بالسَّهرِ والقلقِ، فإنَّ بَعضهم قدْ يعكسُ الأمرَ أحيانًا، وهو أمرٌ يُعاب بهِ، ولعلَّ أوّلَ من سَنَّ هذه الطّريقةَ ابن أبي ربيعةَ، وقد وقعَ ابن المعتزِّ في مثلِ هذا"[5]، إذْ يقولُ:

---

[1] **ديوانه**، ١٣٦/١ .

[2] هو أبو الفتح علي بن محمد، ويُقال ابن أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز البُستي الشَّاعر الكاتب، صاحب التَّجنيس، سمع أبا حاتم بن حِبّان، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله، ومات ببُخارى في سنة ٤٠٠هـ، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ٤١٥/١ .

[3] **ديوانه**، ٢٠٩ .

[4] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ٦٢٦/١٢. مادة (هَيم) .

[5] **شعر ابن المعتز**، صنعة أبي بكر الصولي، ١٩٩ .

الرمل

هامَ قَلبــي بِفَتــاةٍ غــادَةٍ حَولَها الأَسيافُ في أَيدي الحَرَس

لا تَنامُ اللَيلَ مِن حُبّي وَإِنْ غَرَّدَ القُمــريُّ زارَت في (الغَلَس[1])[2]

ب- مَرضُ الهيام:

يُرحِّب الخُبزَأرزيُّ بِحَبيبِهِ، فَبِمجيئهِ يَجلبُ المحاسنَ كلَّها، وكأنَّهُ يَحملها بين يَديْهِ ليُلقيها في نفسِ الشَّاعِرِ، وقدْ تمثّلَ الشّاعرُ حُضورَ حَبيبِهِ في قلبِه، فتخيَّل ثمَّ وصفَ ما وصفَ، وتُقرنُ الحضورَ غيبةٌ تَعقبها من الهِيام لذّةٌ، فالقلبُ في إثرِ غِيابِ الحبيبِ يُكابدُ الشّوقَ، والوساوسُ تُحشرُ فيه، حتّى يكاد صَدرُهُ يَصَّعَّدُ في السماءِ، وقد استخدمَ الشّاعرُ الضِّدِّيَّة في كَلمتي (تحضر، غاب) ليُفاضل بين البيْنِ والوَصْلِ وأثرِهما في القلب، فقال في هذا المعنى:

الكامل

أهلاً وسهلاً بالحبيبِ فإنَّــهُ بِحُضُورهِ كُلُّ المَحاسنِ تَحضُـــــــرُ

مَا غَاب إلَّا هامَ قَلبي نَحْوَهُ شَوقًا وكدتُ منَ الوَساوِسِ (أُحشرُ[3])[4]

ج- هيامٌ بآثامٍ:

يحبُّ الوأواء الدِّمشقيُّ امرأةً لا يعرفُ اسمها، بل ويفديها بنفْسِهِ، فبها قدْ هامَ وحلَّ الشّوقُ الذي لا يخلو منْ همٍّ وحُزنٍ، وقد وصَفَها بالجمالِ الذي اجتَمَعَ مع فَسادِ أخلاقها، ويبدو بأنّ معشوقَتَهُ تلكَ من بائعاتِ الهَوى، فأصبحَ مما يُعانيهِ في حبِّها أعمى إلّا فِيهَا، وأَصَمَّ إلَّا لحديثِها، ويظهرُ الشّاعرُ تَشابهَ الحروفِ في بيتِهِ الأوَّلِ والثَّاني بقولِهِ: (هام، هيامًا، همًّا) وقد أضفى تتابع الحروف جَرْسًا موسيقيّا جميلًا، واستورد الجِناس في قوله (الخَلْق والخُلْق) والطِّباقَ في قوله (حلوة، مرّة) ليُضيفَ جَمالًا بديعيًّا آخَرَ على قَصيدته. فيقول:

---

[1] الغَلَس: ظلمة آخر الليل، الجوهري، **الصحاح**، مادة (غَلَسَ) .

[2] **ديوانه**، ٢٦٧ .

[3] أُحشر: من الحشر وهو الموت، ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة (حَشَرَ) .

[4] **ديوانه**، ١٦٧/٢ .

الخفيف

أنا أَفْــدي مَكْتُومَةً لا تُسَــمَّى هَامَ قَلْبي بِـــــها هُيامًـا وَهَـــمًّا

حُلْوَةُ الخَلْقِ مُرَّةُ الخُلْقِ قَدْ أَصْـ بَحْتُ مِنْها فِي الحُبِّ أَعْمى أَصَمًّا[1]

١٢- الصَّبابة:

"الصَّبابة رقّة الشّوق"[2]. "والصَّبابة من صبَّ إليه. ورجل صبٌّ، إذا غلبه الهوى، وهو من انصباب القلب"[3].

أ- الصَّبابةُ والخيانةُ:

يتحيَّرُ الشّاعر ولا يدري ماذا يَصنع مع خيانةَ الحبيبَ لهُ؟ فالخُبزأرزيُّ بينَ أمرينِ أحْلاهما مرٌّ: أنْ يرضى بما رَأى من الخيانةِ ويَكتمَ الحسرةَ في قلبه، أو أنْ يصدَّ عنهُ فينْهي حبَّهُ من قلبهِ فينتهي هو، واستخدمَ لنفسه لفظةَ (التّلفِ) لأنّها لفظةٌ تدلُّ على سريعِ فَسادٍ من الشيءِ، لكنّه فضّل تَلَفَ الحُبِّ على أنْ يكونَ عبدًا ذليلًا للخيانةِ وصَونًا لِكَرَامَتِهِ، فَمِنْهَا تَنفِرُ كلُّ نفسٍ سليمةِ الطّباعِ حرّةٍ، لكنَّهُ يتراجعُ أخيرًا عن كَرامَتهِ مُوكِلًا الأمرَ إلى قلبِهِ المُشتَاقِ الذي لا يَستطيعُ الجَفاء ولا يقوى عليهِ.

ويُقابلُ الشَّاعرُ بين النّفسِ والقَلبِ، حينَ يَقول (لي نفسُ حرٌّ) و (لي قلبُ صبٌّ) فجعلَ كلَّ نفسٍ حُرّةٍ نفسَهُ، وكلَّ قلبٍ مُشتاقٍ قَلبَهُ. فلننظرْ لِقَولِهِ:

الطويل

تحيَّرت لا أدري أَ أرضَى بما أرى فأكْمــد أم أجفُــو الحبيبَ فأتلَفـــا

فليْ نفسُ حــرٌّ لا يُـطيقُ خِيانةً ولي قلب صَبٌّ ليس يقوى على الجَـفَا[4]

---

[1] **ديوانه**، ٢٠٨ .

[2] ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٧١/١. مادة (صَبَبَ) .

[3] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٢٨١/٣. مادة (صَبَبَ) .

[4] **ديوانه**، ١٩٧/٢ .

ب- الصَّبابة ليسَ تَخفى:

وَيَرى المُتنبي بأنَّ الحُبَّ سيظهر أثرُهُ على المَحبوبِ ولو أخْفتْهُ القلوبُ، فحالةُ الصبِّ ليستْ تَخفى على النَّاسِ مِنْ شُرودِ ذهْنِه، وتغيُّر مِزاجِيَّتِهِ، ويدعو المُتنبي حبيبتَهُ إلى الإكثارِ منْ إظهارِ وجههَا، لأنّ فيهِ جَمالًا سيزولُ بعدَ الشَّيبِ والهَرَمِ . قال:

الخفيف

وَإذا خَامَرَ[1] الهَوَى قَلْــبَ صَبٍّ فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْــنٍ دَلـــــيلُ

زَوِّدِينا مِن حُسْنِ وَجهِكِ ما دا مَ فَحُسْنُ الوُجوهِ حالٌ تَحولُ[2]

ج- الصَّبابة تفجعُ القُلوب:

مُتغزِّلًا بما غُيِّب عن نَاظريْهِ، مُستحضرًا شخصَ حَبيبِهِ في قلبِهِ المُشتاقِ مريضِ الحُبِّ، يروي الوأواءُ الدِّمشقيُّ ذلكمُ اليومَ من الفِراق واصفَهُ بأظلمِ أَنْواعِ الهجْرِ، فكلُّ فرحٍ لا يكونُ الحبيبُ فيه فَهوَ فرَحٌ مُوحِشٌ، ولكونِ قلبِه مُخلصًا مُشتاقًا، فإنَّ بُعد حَبيبِه عنهُ سيذيبُ قلبَهُ حتَّى لوْ كانَ القلبُ مصنوعًا من الحديد، وتلكُم مُبالغةٌ محمودةٌ، فَنراهُ استخدم اللَّفظَتينِ (ذاب والذَّوبان) لشيءٍ ناتجٍ عن حرارة، فالحديدُ يَذوبُ من الحرارة، كما يذوب قلبُهُ من الصَّبابةِ. قال:

مخلع البسيط

يا غائبًا لم يَـغِبْ هَـــــواهُ عنْ قلبِ صَبٍّ به عَمِيدِ[3]

قد صارَ يومُ الفِراقِ عندي أَظلـمَ منْ ظُلمَةِ الصُّدودِ

وكلُّ أُنْسٍ تَغيبُ عنـــــهُ فإنَّـــهُ وحشةُ الجُـــحودِ

لَوْ فَجَعَ البَيْنُ قلبَ صَـبٍّ ذابَ ولوْ كانَ مِنْ حَديدِ[4]

---

[1] خامر الشيء: قاربه وخالطه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خَمَرَ) .

[2] **ديوانه**، ١٤٩/٣ .

[3] عميد: شديد المرض لا يقدر على القعود، الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة (عَمِدَ) .

[4] **ديوانه**، ٨٨ .

د- حرُّ الصَّبابةِ في القلبِ كحرِّ النَّارِ:

يَصفُ الشَّاعرُ الظّاهريُّ منظرَ نارٍ رآها من بعيدٍ، وقد أرَّقتْهُ جُفونُه بِها عن النوم، فحينًا تَظهر وأُخرى تخفى، فتعلو ثُمَّ تَخبو، وَما إنْ تَمَّحي عن العَيان، حَتَّى يُعاوِدَ لهبُها يتَطَاوَلُ على هَضباتِ الصَّحراءِ، وقد خَلعَ وصْفَ تِلكم النّارِ على قلبِه، وذَكَرَ النَّارَ المَحسوسةِ الحقيقيَّةَ التي رآهَا ليَصفَ النّار المعنوية في قلبِهِ ويُسْقِطَهَا عَلى نَفْسِهِ، لكنَّ الحَدّ الدّقيق بين النَّار التي رآها وبين نارِ قلبِهِ، هو أنَّ النَّارَ المَاثِلَةَ أمامَهُ سَوفَ تَنطَفِئُ وأنَّ نارَ قلبه مُشتعلةٌ على الدَّوامِ لا تنطفئُ، وقد وظَّف الأضّدادَ تعبيرًا عن حالتِهِ المُضطَّرِبَةِ، في العُلوِّ والهُبوط والارتفاعِ والانخفاضِ، ووضعها الظّاهري في بابٍ سمَّاهُ: (في تَلهُّبِ النِّيرانِ أُنسٌ للمُدنَفِ الحَيْرانِ)[1]. قال:

الطويل

أَرِقْتُ لِنارٍ بِالطُّلَيْحـــةِ[2] أُوقِـــدَتْ تَرَاءَتْ لِلَحْظِ العَيـــنِ ثُمَّ تَسَتَّرَتْ

عَلَتْ وَخَبَتْ ثُمَّ انْجَلَتْ وَتَطَاولَـــتْ على هَضَبَاتِ الرَّمْلِ ثُمَّ تَخَفَضَّتْ

فَلَمْ يَخْبُ شَوْقِي إذ خَبَتْ بَلْ تَلَهَّبَتْ صَبَابَةُ قَلْبي بِالهَوَى إذْ تَلَـــهَّبتْ[3]

١٣- الوجد:

أ- الوَجْدُ بالجَمادِ:

ومنْ غريبِ الرِّثاءِ؛ رثاءُ كَشاجمَ لقَدَحٍ لهُ كانَ قدْ انكسَرَ، فهو يُقلِّبُ بناظريْهِ ما وقعَ منْ شأنِ الكَسْرِ فيهِ، ويبكي على ما جَرى لذلكَ القَدَحِ، ثمّ يأتي بالجناس التَّامِّ في كلمتَي (قَدَحَ، قَدَحْ) في البيتِ الثَّاني، ومَقصودُهُ منْ ذلكَ أنَّ شِدَّةَ شوقِهِ أثَارتْ في قلبِهِ نارًا قُدحت فيه، فاكْتوى بِها قَلْبُهُ. ليقول حسرَةً:

المتقارب

أُقَلِّبُ ما أبْقَتِ الحادِثـــا تُ مِنْهُ وفي العيْنِ دَمْعٌ يَسُحْ

وَقَدْ قَدَحَ الوَجْدُ مِنّي بِـهِ علـى القلْبِ من نارِهِ ما قَـدَحْ[4]

---

[1] **الزهرة**، ٣١٩/١ .

[2] طليحة: الطَّلح : شجر عِظام، الجوهري، **الصّحاح**، مادة (طلح) .

[3] **الزهرة**، ٣٢٥/١ .

[4] **ديوانه**، ٧٨ .

ب- الوُجدُ داءٌ قاتِلٌ:

يقفُ ابن الزَّيَّاتِ[1] على الأطلالِ، ويصوُّرُ حَالةَ شوقِهِ وحرمانِه منْ حبيبِه، في صورةِ فتىً يَبكي على رحيلِ الحَبيبِ من الدِّيارِ، حتّى لكادَ من وَجْدِ قلبِهِ يَموتُ عَذابًا، فجرتِ الدُّموعُ على خدّه لؤلؤًا منثورًا، تصويرًا لجمالِ الدُّموع النّازلات وسُرعتِها في استعارةِ الجريِ للدُّموعِ، فهذا الحبُّ مرضٌ عُضالٌ لا عِلاج لهُ إلّا الوِصالُ، أو الموتُ دونَهُ. قال في ذلكَ:

الرجز

أَبْكَى الفَتى بَعدَ الخَليطِ مَربَعُهْ وَكادَ وَجدُ القَلبِ مِنهُ يَصرَعُهْ

حَتَّى جَرى جَرْيَ الجُمانِ أَدمُعُهْ وَالحُبُّ داءٌ عاجِلاً سَيَصرَعُهْ[2]

ج- الوَجدُ باقٍ بقاءَ الرُّوح في الجَسَدِ:

وفي قصيدةٍ قالَها البُحتريُّ يمدح فيها (أحمد بن طولون)[3]، ويبدَؤهَا مُقَدِّمَةً غَزِلَةً، إذْ لا تَرضَى مَحبوبةُ الشَّاعرِ بِمَا بَذل مُوسِعًا في حُبِّها، لأنّهُ قليلٌ في منطِقها، غيرَ أنّهُ كثيرٌ في مَنْطِقِهِ وقلبِهِ فهو المُغرم الشّيِّقُ بها، وقدْ بذل كلَّ سبُلِ الرِّضا سبيلًا إلى حبّها، حتَّى يذَهبَ عَنها السُّخطُ وتَرضى بِما فعلَ.

وقال لها: أنا على العهْدِ الذي عهدتِني من الوجْدِ، لمْ أتبدّل ولَمْ أتَحَوَّل، وقد أتى بكلمة (تصرَّم) في مَعرِض السُّخط، لأنّ التَّصرُّم كلمة تُلازمُ السِّنين، وكأنّه يريدُ طُولَ مُدَّة السُّخط التي عَاشتها، مُبالغةً مِنه في وصفِ حالتِهِ مَعَها، ولأنّ المُحِبَّ لا يجري عليه الزَّمنُ كما يجري على غيرِهِ، فَبَعْدَ الرِّضا يكونُ العِتابُ لِمَا اجتنتْهُ على قلبه من آلام الشَّوقِ والوجدِ، فَيقولُ البُحتريُّ:

---

[1] هو الوزير أبو جعفر الزيَّات، محمد بن عبد الملك بن أبان حمزة، كان أبوه زيّاتًا، وكان ابن الزّيّات طالبًا للعلم والأدب، ثمّ استوزره الخليفة المعتصم، اعتقله المتوكّل وعذَّبه، ووضعه داخل تنورٍ مكث فيه أربعين ليلةً فمات، كانت وفاته سنة ٢٣٣هـ. ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٤/٢٦-٢٧ .

[2] **ديوانه**، ٢٣٣ .

[3] أبو العباس، أحمد بن طولون، كان أبوه من مماليك المأمون رقًّا، حتى صار من أمراء الأتراك، ولد في ٢٣ رمضان سنة ٢٢٠هـ، وقال بعضهم: إنه ليس ابنًا لطولون، وإنما تبنّاه وأنّ أباه اسمه يلبخ بن المضحاك وأمه قاسم جارية طولون. وقد توفي في ٢٠ من ذي القعدة سنة ٢٧٠هـ، **ديوان البحتري، هامش التّحقيق**، ١/١٢٢. ينظر ترجمته: الصَّفدي، **الوافي بالوفيات**، ٦/٢٦٥-٢٦٦ .

الطويل

قَليلٌ لَها أَنّي بِها مُــغرَمٌ صَــبُّ وَأَنْ لَم يُقارِف[1] غَيرَ وَجدٍ بِها القَلبُ

بَذَلتُ الرِّضا حَتّى تَصَرَّمَ سُخْطُها وَلِلمُتَجَنّـــي بَعدَ إِرضائـــهِ عَتْبُ[2]

د- استِحكامُ الوَجدِ:

استحكمَ الوَجْدُ في قَلبِ الخُبزَأَرزيِّ وكبدِهِ، وهُما عُضوانِ لا تتمُّ الحياةُ إلّا بِهِما، لأنَّهُما أعزُّ ما في البَدنِ، فَصَارَ الشّاعر بعد هجْرِ الحبيبِ لهُ لا يملك قلبًا ولا كبدًا، فكأنّهُ فقدَ أشرفَ العُضوينِ بفقدِهِ، فهلْ ثَمّةَ من يَسدُّ الطَّريق على الأحزانِ ويقطعها؟ فطرائق الشوق تَلتهب في أحشائِهِ، وقدْ أحْسنَ الشّاعرُ استعارةً حينما جعلَ للحزنِ طريقًا، وللشّوقِ طَرائقَ، جاعِلًا الحزنَ والشّوقَ شخصينِ يَمشيان إليه. وقدْ جعلَ للحزنِ طريقًا واحدةً وللشّوقِ طُرُقًا، ليُنزِلَ التّفاؤلَ مُنْزلًا من قلبِهِ. يقول:

البسيط

تمكَّن الوَجْد مِن قَلبي ومِن كَبِـــدي فليسَ لِي مَعــهُ قلبٌ ولا كَبِـــدُ

منْ ذَا يَسدُّ طريق الحُزْنِ عَنْ كلفٍ طَرائقُ الشوق في أحشائِهِ تَقِدُ[3]

١٤- الشَّوقُ:

"الشين والواو والقاف يدلُّ على تعلّق الشيء بالشيء، يُقال شُقتُ الطُّنُب، أي الوتِد، واسم ذلك الخيط الشِّياق. والشَّوق مثل النَّوط، ثمّ اشتقَّ من ذلك الشَّوق، وهو نزاعُ النَّفسِ إلى الشَّيء. ويُقال شاقَني يَشوقُني، وذلك لا يكونُ إلّا عن عَلَق حُبٍّ"[4].

أ- الشَّوقُ يجلبُ الموتَ:

الشَّوق لا يَخفى، فآثارهُ بيِّنَةٌ وَاضِحةٌ على الجَسَدِ المريضِ، والهَجْرُ يُظهرُ حَالةَ البُؤسِ في ذلكَ الجسَدِ المُشارِفِ على الموتِ، فالدُّموعُ الغزيرةُ تُظهرُ ما خَفِي من حبٍّ سَابِقٍ جَلب المرضَ إلى

---

[1] يقارف: من المقاربة والمُداناة، الزبيدي، **تاج العروس**. مادة (قَرَف) .

[2] **ديوانه**، ١٢٢/١ .

[3] **ديوانه**، ١٢٨/١ .

[4] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٢٢٩/٣. مادة (شَوق) .

المُشتاق مُقرًّا بذلك مُعترفًا، ويُخاطِبُ خالدُ الكاتِب[1] حبيبهُ السَّابق ذو المنزلةِ العَظيمةِ عندَهُ – في نِهايةِ وَصْفِهِ لحَالتِهِ المَرضِيَّةِ – بأنْ يَحفظَ لهُ الشَّوقَ الذي حَواه قلبُهُ سابقًا ولا يُفرِّطنَّ فيهِ. فيقول مُصوّرًا حالَتَهُ:

البسيط

الشَّوقُ أَكبَرُ مِن أَن لا أُرى دَنِـــفا وَالهَجرُ أَوجَعُ مِنْ أَنْ لا أُرى أَسِفَا

دَلَّ العَذولَ عَلى مـــا بي وَأَظْهَرَهُ دَمــعٌ إِذا أَسلَمَتْهُ مُقلَتِــي وَكَفـــا[2]

يا سالِبَ القَلبِ إِنَّ الشَّوقَ أَورَثَنيْ سُقْمًا وَحَسْبُكَ إِذ أَصبَحْتُ مُعتَرِفــا

يا أَعظَمَ الناسِ عِندِ القَـلبِ مَنزِلَـةً احفَظ لِقَلبيْ وصَرْفي فيكَ ما سَلَفا[3]

ب– الوَاشِي وَالشَّوقُ:

وفي مَعرِض النَّسيبِ يَذكرُ مُسلمُ بن الوليدِ حالتَهُ، حيثُ يَصدُّ دموعه التي خَالَطَها شَيءٌ من الأذى فَبكتْ أحداقُها من المَرضِ، ثمّ يذكُرُ البُعْدَ الذي كادَ يقتُلُه فَجَعَلَ قلبَهُ بين حيرةٍ وشَوْقٍ.

وقدْ كانَ معنى البيتِ الأوّلِ غَريبًا لأنّ مُسلِمًا جَعل إساءةَ الواشِي حَسنةً لطيفةً، لإنجائِهِ إنسانَ عينِهِ من الغرقِ بدمعِها، فلمْ يبكِ الشّاعرُ حَذرًا منَ الواشي، وقد دَفَع عنْهُ ذلكَ التّعليلُ استغرابَ النّاسِ لاستحسانِهِ الواشِي، فَلولا حَذرُه من الواشِي لَبكى بُكاءً لا ينقطعُ، وقدْ سَاقَ اعتذارًا لعدمِ انْهمارِ دمْعِهِ، وأنَّ أمرَ المَحبوبةِ ستكشِفُهُ الدُّموعُ، فليسَ حَبْسُ دَمْعِه إلّا لتستُّرٍ[4]. قال:

البسيط

يا واشِيًا حَسُنَتْ فِينَا إِســاءَتهُ نَجَّـــى حِذارُكَ إِنساني[5] مِن الغَرَقِ

---

[1] هو خالدُ بن زيدٍ الكَاتِبُ وكُنيته أبو الهيثم من أهل بغداد، وأصله من خُراسان وهو شاعرٌ مشهورٌ مُبرّزٌ، شعره رقيقٌ، كان من كُتّاب الجيش، ثمَّ ولّاه الوزير ابن الزَّيات على بعض الثُّغور، وكانت وفاتُهُ ببغدادَ سنة ٢٦٩هـ. ينظر ترجمته وبعضٌ من أشعاره، الحموي، ياقوت **معجم الأدباء**، ١١/٤٧–٥٢ .

[2] وكف الدّمع: أساله، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وَكَفَ) .

[3] **ديوانه**، ٢١٢. و(صَرْفي) في البيت الأخير وقع فيها التّصحيف والتّحريف، والأصحُّ (طَرْفي) .

[4] ينظر: ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير في الشعر والنثر**، ٣١١–٣١٢ .

[5] إنسان العين: سواد العين، الجوهري، **الصّحاح**، مادة (أنس) .

إنّي أَصُدُّ دُموعًا لَجَّ سائِقُـهـا مَطروفَةَ[1] العَينِ بِالمَرضى مِنَ الحَدَقِ

إيهٍ فَإِنَّ النَوى وافَت مُـصيبَتُهُ مُوَلَّـعَ القَلبِ بَينَ الشَّـــوقِ وَالقَلَــقِ[2]

ج- الشَّوقُ إلى اللهِ تَعالى:

يَصِفُ الحلّاجُ حَالتَهُ الرُّوحانِيَّةَ في اتّصالهِ غيرِ المُنقطعِ باللهِ تَعالى، فقدْ أخذتْهُ أفكارُهُ إلى عَالَمِ الملكوتِ سريعًا كالسَّهمِ، مستعيرًا لفِكْرِه بَحرًا، كِنايةً عنْ سعتهِ وإدراكِهِ، وقدْ جعلَ قلْبهُ طائِرًا يَطير إلى المَلكوتِ، مُستعيرًا لِشوقِ قَلبِهِ رِيْشًا، ولِعزْمِهِ جَناحًا، فَما دَفَعهُ إلى العُلوِّ رُوحانيا وهوَ واقفٌ بالأرضِ شَوقٌ وعَزمٌ للهِ، فَرمزَ لهُ رَمْزًا ولمْ يُسمِّه باسْمِهِ لجلالِ قَدرِهِ وعَظيمِ اسمِهِ وصِفاتِهِ.

"بدأت التَّجربُة في مِعراجٍ روحيٍّ إلى المَثَلِ الأعْلَى حتّى بلَغَهُ واطّلع على الأسرارِ فيهِ، فرضِيَ وسُرَّ وأسْلَمَ قِيادَه إليهِ"[3]. قال:

مخلع البسيط

فَخُضتُ في لُجِّ بِحرِ فِكري في مَرْكِبٍ في رِياحِ عَزمي

وَطارَ قَلبـــي بِريشِ شَوقٍ أَمُـــرُّ فيه كمَـــرِّ سهْمِ

إِلـى الَّذي إِنْ سُئِلــتُ عَنـهُ رَمَـزتُ رَمْـــزًا وَلَـــمْ أُسَـمِّ[4]

١٥- الوصَب:

"الوَصَب: المرض المُلازم الدَّائم. رجلٌ وَصِبٌ ومُوَصَّبٌ: دائم الأوصاب"[5].

أ- وَصَبُ الأُخوَّةِ:

وكَتَبَ أبو فِراسٍ إلى أخِيهِ: بأنَّ دُموعِي شاهدةٌ على الشَّوقِ لَكَ، وكذلِكَ القلبُ يَشهدُ بِما لقيه مِنْ هُمومٍ وغُموم، وهو يتكلَّفُ جُحود الحُبِّ كَي لا يَبكي، لَكنَّ نفْسَهُ صَادقةٌ لا تَرضى الكَذبَ

---

[1] مطروفة: أصبتها بشيء فدمعت، الجوهري، **الصحاح**، مادة (طَرف) .

[2] **شرح الديوان، ذيل الديوان**، ٣٢٨ .

[3] **شرح الديوان**، ٣٣٩-٣٤٠ .

[4] **نفسه**، ٣٣٨ .

[5] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ١١٧/٦. مادة (وَصَب) .

وتَظلُّ دُموعهُ جَاريةً، لِأنَّ شَوْقَهُ شَديدٌ قَدْ أمَرضَهُ، ونلحظُهُ يُلقي اللَّومَ عَلى جَوارحِهِ التي لا تَدعُ الحَبيبَ، فَعينٌ دَامِعةٌ تَفضحُ، وقَلبٌ مَليءٌ بالهُمومِ بَائِس، ونفسٌ لها لِسانٌ لا يكذب. قال:

المتقارب

تُقِرُّ دُموعي بِشَوقي إِلَيكَ وَيَشهَدُ قَلبِي بِطولِ الكَرَبْ

وَإِنّي لَمُجتَهِدٌ في الجُحودِ وَلَكِنَّ نَفسِيَ تَأبى الكَذِبْ

وَإِنّي عَلَيكَ لَجاري الدُّموعِ وَإِنّـــي عَلَيكَ لَصَبٌّ وَصِبْ[1]

ب- جمالَ اللَّحظِ يُذْهِبُ الأوْصَابَ:

يصفُ البحتريُّ حُسْنَ النِّساء، فَهُنَّ بيْضُ الوجوهِ ناهداتُ الثديين، صَغيراتُ السّنِّ، يتمايلنَ وكأنّهنّ سُكارى، وحينَما يُغنِّينَ ويتمايَلْنَ في الحديثِ، فَإنَّ القلوبَ تَتْقَلِبُ مريضةً كَمرضِ منْ هجَرَهُ حبيبُهُ، لَكنَّها سليمةٌ من كُلِّ مَرَضٍ آخَرَ. يقولُ:

الكامل

بِيْضٌ كَواعِبُ[2] يَشتَبِهنَ غَرارَةً وَيَبِنَّ عَن نَشوى الجُفـونِ كَعـابِ

تَـرنو فَتَتقَلِبُ القُلوبُ لِلَحظِها مَرْضَى السُّلُوِّ صَحائِحَ الأَوصابِ[3]

١٦- الخُلّة:

والخُلَّة: الصَّداقةُ المُخْتَصَّةُ فَليسَ فيها خَللٌ، وتَكونُ في عَفاف المحَبَّةِ ودَعَارتِها، وتُجمَعُ عَلى خِلالٌ، ومِنهَا: الخَلالة، والخِلالة والخُلولة. وهي أيضًا: الصَّديقُ من الذَّكر أو الأنثى، والفَرْدِ والجماعةِ. والخِلُّ والخَليلُ بمعنىً واحدٍ هوَ: الصَّديق، وخليلُ الرَّجلِ: قلبُهُ[4].

---

[1] **ديوانه**، ١٩/٢ .

[2] كَواعِب: مفردها كَعاب، وهي المرأة حين يبدو ثديها للنهود، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (كَعَبَ) .

[3] **ديوانه**، ٢٩٤/١ .

[4] ينظر: ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ٥١٦/٤-٥١٧. مادة (خَلَل) .

أ- الخُلَّةُ شِفَاءٌ للقلْبِ:

يُخاطِبُ البُحتريُّ مَحبوبَتَهُ، ويقول لَها: إنَّهُ مُعتلٌّ مريضُ القلبِ من الهُجرانِ، ويُبينُ عن حالتِهِ فهو مقهورٌ لما يُعانيهِ، وليس له من مُعالِجٍ إلّا الصُّحبةُ التي لا تنقطِعُ مِن حبيبتِهِ، ثُمَّ يَصِفُها بشجر البانِ لِطولِها ودِقّة خصْرِها، إذِ الرِّياحُ الخفيفة في هُبُوبِها تُحرّكُ البَان وتثنيهِ وتَعْدِلُهُ كيفَما شاءَتْ. يقول لها:

البسيط

يا عَلْوَ[1]! إنَّ اعتِلالَ القَلبِ لَيسَ لَهُ آسٍ يُـداويهِ إلّا خُلَّةً[2] تَصِـــلُ

هَل أَنتِ إلّا قَضيبُ البـانِ تَعطِفُـــهُ مَرضَـى الرِّياحِ وَتَعدوهُ فَيَعتَدِلُ[3]

"فالشَّاعِرُ قَدْ عُرِفَ بِرَهَافَةِ الحِسِّ وصَفاءِ المَشَاعِرِ، واشتِعالُ عَاطِفَتِهِ بِحُبِّ عَلْوَةَ حَقِيقَةٌ لا شَكَّ فيها، فإذا أَضَفْنَا إلى ذَلِكَ ما لاغْتِرَابِ الفنَّانِ مِن تَأْثِيرٍ بَالِغٍ وعَنيفٍ في اتِّقادِ عَواطِفِهِ- خَاصَّةً عاطِفتَهُ تِجاهَ المَرأَةِ- كان في الإمْكَانِ بَعدَ ذَلِكَ أنْ نَقْبَلَ صُدورَ الكَثيرِ مِن تشبِيبِ البُحتُريِّ عَن مُعاناةٍ حقِيقيَّةٍ وانْفِعالٍ صادِقٍ، وخَاصَّةً أنَّ هذَا الغَزَلَ يتَمَيَّزُ بالتَّدَفُّقِ والعُذُوبَةِ وقُوةِ التَّاثيرِ"[4].

ب- فِراقُ الأخِلّاءِ داءٌ ليسَ لهُ دواءٌ:

ويرثِي دِيكُ الجِنِّ الحِمصيُّ ابنةَ عَمِّهِ (زوجَهُ)، فقَدْ قَتَلَها مُكْرَهًا، بعد أنْ ظَفِر بِهِ ثَلاثونَ رجُلًا أهمُّوا على قتلِه لثاراتٍ قديمةٍ، فقتلَ زوجَهُ خوفًا عَليها، وآثَرَ أنْ يقتُلها قبلَ أنْ يَظفروا بِهما بَعدما أدْرَكَ بأنّهُ ميتٌ لامحالة، وقدْ حفظتْ قبيلةُ فُزارة شِعره، ونَقلته، وهذا مَا رَواهُ صاحبُ الأَغَاني مِنْ حِوَارِهِمَا قَبلَ قَتلِهَا: "ما أسمحُ بكِ نفسًا لهؤلاءِ، وإنِّي أحبُّ أن أقدِّمكِ قبلي. قالت: افعلْ، ولو لمْ تفعلْهُ أنت لفعلته أنا بعدك. فضربها بسيفه حتَّى قتلها، وأنشأ يقول: يا طلعةً طلعَ الحِمامُ عليها وقال في هذه المقتولة"[5]:

---

[1] هي عَلوة الحلبيّة، محبوبته .

[2] الخُلَّة: المرأةُ يخَالُّها الرّجلُ، الفراهيدي، **العين**. مادة (خَلل) .

[3] **ديوانه**، ٣/١٧٢٤-١٧٢٥ .

[4] اليظي، صالح حسن، **البحتري بين نُقَّاد عصره**، ١٢٤ .

[5] الأصفهاني، **الأغاني**، ١٤/٣٨ .

الوافر

أَساكِنَ حُفْرَةٍ وقَرارِ لَـــــــحْدِ مُفَارِقَ خُلّةٍ مِنْ بعدِ عَهْــدِ

أَجبني إِنْ قدرتَ على جَوابي بحَقِّ الوُدِّ كَيفَ ظَلَلْتَ بَعْدي

وأَينَ حَلَلْتَ بعدَ حُلولِ قَلْبــي وأَحْشَائي وأَضْلاعِي وكِبْـدِي[1]

ويُخاطِبها حينَ استقرّتْ خارّةً علَى الأرضِ مَصيرُها القبرُ، وقدْ فارقتْ حبيبها بَعدما أفضى بعضُهم إِلَى بَعْضٍ وأخذَتْ مِنهُ مِيثاقًا غليظًا، وَكانتْ بينهُما العُهود والمَواثِيقُ، فَيَستَنْطِقُها وقَدْ ذَهَبَ عَقلُهُ ليسأَلها: كيف رضيتِ بالعيشِ بعدَي؟ فليسَ هنَاكَ مِنْ مُجيبٍ، وقد عَكَسَ الواقِعَ، فالميتُ هو الذي بَقيَ، والحيُّ هوَ مَن مَاتَ، ويُعاودُ سُؤالَها بَاكيًا مُستَنْكِرًا شَاكيًا: أينَ حللتِ؟ فبعدما كانَت تَسكنُ قَلبَهُ وتُقيم فيهِ، سَكنتْ قَرارةَ الأرضِ جُثَّة هَامِدةً لا حِراكَ بِها.

ج- الخلَّةُ تَشْريفٌ لا تَكليفٌ:

وَقالَ ابنُ نُباتَه في صِبَاهُ يَمدح (أبَا العَلَاءِ، صَاعِدَ بنَ ثَابِتٍ)[2]، فَيحدِّثُ حَبيبَتَهُ في مُقدِّمَةٍ غَزَلِيَّةٍ كمَا يحدِّثُ صديقًا لهُ، ويجعلُهُ خَليل قلبِهِ، يحلُّ محلًّا من القلبِ عظيمًا، فيَجعلُ الشَّاعِرُ استقبالهُ حُبَّ مَمدوحِهِ بِعُجالةٍ وسرعةٍ، إِذْ لا حِجابَ على قلبِ مَمدوحِهِ يحولُ بينَهما، فلا حُجُبَ تَفصلُ بينَه وبينَ خَليلِه الوَزيرِ، لِذا يَطلبُ مِنهُ العَوْنَ بِحدِّ السَّيف على خطْبٍ أصَابَهُ، أو بِعُذْرٍ يَقولُهُ لَهُ، فإِنْ لمْ يَستطعْ بِهذا أو بِذاكَ، فهو شَريكٌ مع المَصائِبِ التي تُحيط بالشَّاعِرِ:

الطويل

ألا يَا خَلِيلَ القلبِ دونَ حِجَابِهِ خَليلُكَ لا يَلقى هَواكَ بحَاجِبِ

أَعنّي بسيفٍ أَو بعُذرٍ تَقُولـــهُ وإِلّا فأَنتَ اليومَ عونُ النَّوائِبِ[3]

---

[1] **ديوانه**، ١٢١. قالها في رثاء زوجته ورد .

[2] هو أبو العلاء صاعد بن ثابت، كان خليفة الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي على الوزارة، وذلك في زمن معز الدولة البويهي **ديوان ابن نُباته**، **هامش التحقيق**، ٢٩٣/١. ينظر ترجمته كما أوردها محقّق **ديوان ابن نُباته** في **نشوار المحاضرة** للتنوخي، ٧٠/١ .

[3] **ديوانه**، ٩٧/٢ .

١٧- الوُدُّ:

"الواو والدال: كلمةٌ تدلُّ على محبَّة. وددِتُّهُ: أَحببتُه. ووددتُ أنَّ ذاك كان، إذا تَمنَّيته، أودُّ فيهما جميعًا. وفي المحبّة الوُدُّ، وفي التَّمني الوَدادة. وهو وَديدُ فلان، أي يحبُّه"[١].

أ- الودُّ لمنْ ليسَ أهْلًا لهُ:

يقولُ المُتنبي لقلبِهِ في البيت الأوّل: "لا تشتقْ إلى منْ لا يَشتاقُ إليكَ، فإنّك تُحِبُّ منْ لا يُجازِيْكَ المَحبَّةَ!"[٢].

ويُبالغُ الشَّاعِرُ في وصْفِ حالَتِهِ، فهوَ قد أعطى الودَّ لِمن ليسَ أهْلًا لَهُ، لذلكَ يَتمنَّى أنْ يظلَّ كبيرًا شائِبًا على أنْ يعودَ صبيًّا صغيرًا، وَقَدْ قَرَنَ سُوءَ المُنقلبِ بالشَّيبِ لِما فيهِ من الشّقاءِ. وفي تكرارِ حرف (القافِ) نغَمٌ جميلٌ ، نسمعه في قولهِ:

الطويل

أَقِلَّ اشْتِياقًا أَيُّـــهَا القَلبُ رُبَّمـــا رَأَيْتُكَ تُصفي الوُدَّ مَنْ لَيْسَ جَازِيا

خُلِقتُ أَلُوفًا لَو رَحَلتُ إِلــى الصِّبَا لَفارَقْتُ شَيْبي مُوجَعَ القَلْـبِ بَاكِيا[٣]

"وكأنَّ المتنبي عَرفَ أنَّهُ يخوض معركةً خاسِرةً مع قلبِهِ، ومِن ثمَّ جاء هذا الخِطَابُ إلى قلبِهِ بأنْ يقلِّل اشتياقهُ لأولئكَ الذينَ لم يُصفوهُ الودَّ، فهوَ يَراهُ ولا يَزَالُ مُتعَلِّقًا بمن لم يُجازِهِ مودَّةً بمودَّةٍ وحبًا بحبٍّ، ولا يَلبثُ المتنبي أنْ يعودَ إلى طَبيعَتِهِ ويتَقبَّلَ الهَزيمةَ بِصدْرٍ رَحْبٍ"[٤].

ب- الودُّ الشَّاذُّ:

يتغزَّل الصَّنوبريُّ بِساقٍ في خمّارة، واصفًا لِحاظَ عُيونِهِ الجَميلةَ التي أضْحَتْ تتحكّم بنفسِهِ فتقْبِضُها مَتى شَاءَت، مُبالغةً مِنْهُ في وصْفِ حالَتِهِ، ثُم يعترفُ بوقوعِ قلبه ضحيّةً في ودِّ ذلكَ السَّاقي، فَتَرَكَ الشَّاعِرَ بينَ أمرَينِ ضِدَّينِ، جمالُ لِحاظِهِ، وألفاظُهُ المُؤنِسةُ. فَقالَ فيه:

---

[١] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٦/٧٥. مادة (ودد) .

[٢] **ديوان المتنبي، هامش التعليق**، ٤/٢٨٤ .

[٣] **ديوانه**، ٤/٢٨٤ .

[٤] نافع، عبد الفتاح صالح، **لغة الحُبِّ في شعرِ المتنبي**، ٧٧ .

الكامل

يا أيُّها السَّاقي الذي لَحظاتُهُ أضحتْ مُوكَّلة بِقبضِ الأَنْفُسِ

أوقعتَ قلبي بين لحظٍ مُطْمعٍ في الودِّ منك وبين لفظٍ مؤيسِ[1]

ج- الودُّ يكونُ بالوِصالِ:

ومِنْ بديعِ الاستعاراتِ في شعرِ ابن المعتزِّ، خَلْقُ جَناحٍ للودِّ، فقدْ أرادَ وِصالَ الحبيبِ بِجناحِ ذَلك الودِّ بَعدما بَدت الشُّقّة بَينهما، وقَدْ أخذ رِيْشَ الذَّنَبِ لِيصلَهُ بِجناحِ الودّ، جَاعِلًا من الوِصَالِ حَقِيقَةً مادِّيَّةً بعدَ أنْ كَانَتْ مَعنويَةً، فَقدْ جعلَ الجَناحَ كِنايةً عن السَّفر وطيرانِ حُبّهِ إلى لُقيا الحَبيبِ بَعد الفِراقِ باحثًا ومؤمّلًا، لَكنّه يُخذَلُ لأنّ رِيشَ الذّيْلِ لا ينْطبقُ لريشِ الجَناح، فيفشَلُ في الطَّيرانِ بَحثًا عن ودِّهِ المَكنونِ، وتَعلُّقُ قَلبهِ لا يتمّ، فتَغْدُو الأحزانُ تَملؤُهُ لِيظلَّ مَريضَ الودِّ وَحَبيسَ الأهواءِ. أمّا أسفارُ أحْزانِهِ فاستعارةٌ أُخرى لطيفَةٌ تدُلُّ على كثرةِ الأحزانِ وبُعدِها. فاطرَبْ لشعرِهِ حين يقولُ:

الطويل

وَصَلتُ جَناحَ الوُدِّ بَعدَ فِراقِهِم بِريشِ ذُنابَى بَعضُها يَخذُلُ البَعضا

فَعُلقَةُ قَلبي كَيفَ تَلحَقُ لَـهوَهُ وَأَسفارُ أَحزانـــي تُخَلِّفُهُ (مُنْضَـى[2])[3]

د- الودُّ الزّائِفُ:

يُبرزُ البيتانِ التَّاليانِ جَانبًا لَطالما حَذَّرَ الإسلامُ مِنْهُ، أَلَا وهوَ النِّفاقُ، فَتُبطنُ الكُرهَ وتُظهرُ خِلافَهُ، إذْ لا خيرَ في مَودَّةٍ بُنيت على النِّفاق، لأنّ صَاحِبها ذُو لسانٍ مَعسول، يصوغُ الكلامَ الجميلَ المُنمَّقَ في قلبهِ حَمَّالِ الكُرهِ والضَّغينةِ، فالكلامُ المَعسولُ في اللِّسانِ فقَط، وليسَ نابعًا من القلبِ، لذَلكَ يحلِفُ المُنافِقُ -حينَ يَلقى مَنْ عاهَدَهُ- بِالحُبِّ والوفاءِ والوُثوقِ بهِ، وإذا تولّى لدَغَ كالعقربِ منْ غدره وقلّةِ وفائهِ. وهذا المَعنى يُشبِه الآية الكريمة في قولِهِ تَعَالَى:﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾[4].

---

[1] **ديوانه**، ١٦٢/١ .

[2] مُنضى: من ينضوه، إذا جاوزه وخَلّفه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نَضَا) .

[3] **ديوانه**، ٢٩٠ .

[4] البقرة، ١٤ .

قال الشَّاعرُ صَالحُ عبد القدوسِ[1] في مَعنَى مَا سَبَقَ:

الكامل

لا خَيـرَ فـي وُدِّ امـرَئٍ مُتملِّقٍ[2] حُلوِ اللِّسانِ وَقَلبَـهُ يَتَلَهَّبُ

يَلقـاكَ يَحلفُ أنَّهُ بِكَ واثِـقٌ وَإذا تَوارَى عَنكَ فَهْوَ العَقرَبُ[3]

١٨- الغرام:

"والغَرام: اللَّازِمُ من العَذاب والبَلاءِ والحُبِّ، ومَا لا يُستطاع أن يُتفصَّى منه. وقال الزجاج: هو أشدُّ العذابِ، وأنشد:

ويومُ النَّار ويوم الجفا ر كانا عذابًا وكانا غراما

ورجل مُغْرَم: مُولَعٌ بِعشقِ النِّساءِ وغيرهِنَّ. وفُلانٌ مُغرم بكذا؛ أي: مُبتلى به؛ وفي حَديث عليٍّ ﷺ: فَمِن اللَّهِجِ باللَّذَّة والسَّلِسُ القيادِ إلى الشَّهوة، أو المُغرم بالجَمْع والادخار"[4].

أ- الغرَامُ لا مَنْجاةَ مِنْهُ:

يَتساءلُ البُحتريُّ مُستنكرًا، أَليسَ هُناكَ ثَمَّةَ مَنْ يَعذِرُنِي في أَمرِ الغرَامِ، إذا جازيْتُهُ على صنيعِهِ ولا يلومُني على ما أَفعَلُه؟ فيكونَ لي ناصرًا ومُعينًا. وهلْ تنفعُ الشّاعرَ مَقولتُهُ تلك (مَنْ عذيري) وتُنجِيه وتَشفَعُ له عندَ الحبيبِ، لأنَّ الغرامَ قد حَرّك مَشاعِرَهُ وهَيَّجَها، وفي الاستفزازِ اضْطِرابُ المشاعرِ واختِلاطُها، وهلاكُ العقولِ وفَسادُهَا من دلالِ الحَبيبِ وغنَجه، وكيفَ لا ؟ وهوَ الموصوفُ بالغَزالِ الجميلِ المَغرُورُ. يقول:

الخفيف

مَنْ عَذيري مِنَ الغَرامِ وَهَل مُنـ جِيَتي مِنهُ قَولَتي: مَن عَذيري؟[5]

يَستَفِزُّ الغَـرامُ قَلبـي، وَيَستَهـ لِكُ لُبِّي دَلُّ الغَـزالِ الغَـرِيـرِ[6]

---

[1] وهو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله، شاعر حكيم متفلسف، اتّهم عند المهدي العباسي بالزندقة فقتله سنة ١٧١هـ، وله ديوان شعر، اليوسي، **المحاضرات في الأدب واللغة، هامش التحقيق**، ١٧١/١ .

[2] متملِّق: من مَلَقَ، وهو الودُّ واللّطف الشّديد، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مَلَق) .

[3] اليوسي، **المحاضرات في الأدب واللغة، القصيدة الزينبية** ،٦٦٤/٢ .

[4] ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ٥١٩/٥، مادة (غَرم). والبيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه، ١٩٠ .

[5] عذيرك من فلان: أي هلّم من يعذرك منه، بل يلومه ولا يلومك، **الجوهري**، الصّحاح، مادة (عذر) .

[6] **ديوانه**، ٩٤٦/٢ .

ب- الغَرَامُ المَهْزوزُ:

يَشُكُّ البُحتريُّ في حُبِّ حبيبَتِهِ لهُ، وقدْ أظهَرَتِ الحَبيبَةُ بُخْلَها المُتمَكِّن في الحُبِّ، فالبُحتُرِيُّ شَديدُ الشَّوقِ، كثيرُ الغَرامِ، فَلوْ أنَّ القلبَ طَاوَعَ العَقْلَ، لكانَ الشَّاعِرُ جَازَى الصَّدَّ بالهَجْرِ. يقول:

الوافر

أُمَيِّلُ[1] في هَواكِ وَقَد بَدا لي مِنَ اسْتِحكامِ بُخلِكِ ما بَدا لي

صَبابَةُ مُغرَمٍ لَو راعَ قَلبي لَقَد أَتبَعتُها بِنُزوعِ[2] سالِ[3]

ج- الغَرامُ يَجتَاحُ كُلّ أعضاء الجَسَدِ:

ينشَغلُ قَلبُ الوأواء الدِّمشقِيِّ بِالغرام الذي لمْ يَقتصِرْ عَلَى قَلْبِه، لكنَّهُ صَار يَسري في دِمَائِه وقدْ جَعلَ الشَّاعرُ في كلِّ عُضوٍ مِن أعْضاءِ جِسْمِهِ قَلبًا يَعشَق، وتِلكَ صُورةٌ حِسِّيَّةٌ عَفيفةٌ، وهِيَ اسْتعارَةُ القلبِ في غيْرِ مَوضِعِهِ المَعهودِ، فَكأنَّ كُلَّ أعْضائِهِ تَنبِضُ بِالحبِّ والغَرام. ومِنْ عَظِيم البَلاء والشَّكوى التي تُخَالِج قَلبَهُ وتَسوقُ حَسْرَتَهُ، أنَّ الألْسِنَةَ صَامِتةٌ لا تَتكلَّم إذا التَقى الأحِبَّةُ فَتتكلَّمُ العُيونُ بَديلةً عنْها بِلُغَةٍ هِيَ لُغةُ الغَرام، وقدْ جَعَل الشّاعرُ العُيونَ تَتكلَّم كِنايةً عَن تَستير الحُبِّ وإخْفَائِهِ. ليقول:

الكامل

أَشغَلْتَ قَلْبَكَ بِالغَرامِ عَنِ الذي فِي كلِّ عُضْوٍ مِنْهُ قَلْبٌ مُغْرَمُ

جَهْدُ الشِّكايَةِ أَنَّ أَلْسُنَنا بِها خَرِسَتْ وَأَنَّ جُفُونَنا تَتَكَلَّمُ[4]

٢- معاني الكُرهِ في الشِّعرِ العبَّاسيِّ

أ- الكُره:

- الطَّاعةُ بالإكراهِ:

لقدْ جَدَّدَ الحَمْدانِيُّ الطَّاعةَ لسيفِ الدولة مُكرَهًا مُجْبَرًا، فالقلبُ مُخالفٌ للرُّجُوعِ، لكنَّ الجِسمَ رَهِينةٌ بينَ يَديه يَنقادُ طَائعًا، لأنَّ مَمدوحَهُ سالفَ الذِّكرِ يُلبِّي رَغبةَ بدنه ولا يُلبِّي رغبة قَلبِهِ، فَهو

[1] أميّل: المَيْل، العدول إلى الشيء والإقْبَالُ عليهِ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مَيَلَ) .

[2] نزوع: نزَع عن الأمر، كَفّ عنه، الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادَة (نَزَعَ) .

[3] **ديوانه**، ١٧٠٩/٣ .

[4] **ديوانه**، ١٩٩ .

يَرضَى بِما يَشَاءُ من سيفِ الدَّولةِ ولو كَانَ قلبهُ لا يُطيقُ ذَلكَ، فكَلُّ شيءٍ وقْعُ اختيارِ سيفِ الدَّولةِ هو الجَميلُ الذي لا جِدالَ فيهِ، لِذلكَ فقدْ أصبحَ سَيفُ الدَّولةِ بِكلِّ تِلكُم المَزيَّاتِ سَببًا للشَّقاء أو للسُّرورِ يَستحكِمُ بنفسيَّتِه، وكأنَّهُ صَارَ مُؤتَمَنًا عَليه، مُوكَّلًا بأمرهِ أنَّى حَلَّ أو ارتحلَ. فيقولُ:

البسيط

يا مَن رَجَعْتُ إلى كُرهٍ، بِطاعَتِهِ قَد خالَفَ القَلبَ لَمَّا طَاوَعَ البَـــدَنُ

وَكُلُّ ماشِئْتَ مِن أَمرٍ رَضيتُ بِهِ وَكُلُّ ما اختَرتَهُ عِنْدي هُـوَ الحَسَنُ

وَكُلَّمـــا سَرَّنِي أَو سَاءَنِي سَبَبٌ فَأَنتَ فِيهِ عَلَيَّ، الدَّهــرَ، مُؤْتَمَـنُ[1]

ب- الشنآن:

"شَنِئَ فلانٌ فلانًا إذا أَبْغَضَهُ. وَهُو الشَّنآن، ورُبَّما خَفَّفوا فَقَالُوا: الشَّنانُ، وأنشدوا:

فَمَا العَيشُ إلّا مَا تَلَذُّ وتَشتَهي وإنْ لَامَ فِيهِ ذُو الشّنانِ وأفْنَدا"[2].

١- الدَّعوةُ على الشَّانِئِ:

وقدْ قالَ أبو تَمَّامٍ شِعرًا يُدافِعُ فيهِ عنْ (الفَضْلِ بن صَالحِ بن عبد المَلِكِ)[3]، ويُكذّبُ منْ قالَ: إنَّهُ قتلَ أخاهُ عُبيدَ بن صالحٍ حتَّى تزوَّجَ بامرأتِهِ وقيلَ جاريتِهِ (أتْرَاك)، وقد أورد ابن حَمدونَ قصَّتَهُ "كان الفَضْلُ بنُ صَالحٍ بن عبد الملكِ الهَاشِميُّ يهوى جارِيةً لأخيهِ عُبيدِ اللهِ بن صالحٍ، فَسَقى أَخَاهُ سُمًّا فَقتله وتزوَّجها"[4].

ويَدعو أبو تَمَّامٍ على كَارِهِ أُمِهِمَا -لأنَّهَا لَمْ تُنْجِبْ مِثْلَهُمَا- أنْ يَذُقَّ الله فِي قلبِهِ رُمْحينِ إلى آخِرِ جَسَدِهِ فيُغْرَزَا غَرْزاً كنايةً عن قُوةِ الطّعنِ، وَتُحَرَّقَ بالنّارِ معدتُهُ وأمعاؤهُ وما بينَ ضُلوعِهِ

---

[1] **ديوانه**، ٤٢٠/٣ .

[2] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٢١٧/٣. مادة (شنا)، والبيت للأحوص .

[3] لم أعثر له ولأخيه على ترجمةٍ في كتب التراجم ولا على الشبكة العنكبوتيَّة، ولم يُورد محقِّق كتاب التَّذكرة الحمدونيَّة إحسان عبَّاس نسبتهما، وأظنُّهُ سُمي باسم جَدِّهِ، وجدُّهُ هو الفَضْلُ بن صَالحِ بن عَلي بن عبدِ اللهِ بنِ العبَّاسِ الأمير أبو العباس، الهاشمي العباسي، ولَّاه المهدي إمرة مصر بعد عزل عسامة بن عمرو على الصلاة والخراج وقبل خروجه مات محمد المهدي في أول المحرم سنة تسع وستين ومائة، وكانت وفاة الفضل هذا في سنة اثنتين وسبعين ومائة وهو ابن خمسين سنة، وكان أميرًا شجاعًا مقدامًا شاعرًا فصيحًا أديبًا صاحب خطب وشعر. ينظر: ابن بردي، **النجوم الزّاهرة**، ٦٠/٢-٦١ .

[4] **التذكرة الحمدونية**، ٢٤٧/٢ .

والخاصِرة، ويَنفي عن مَمدوحِهِ سِعايةً سُعِيَ بِها إلى المُعتصم، فلمْ تَثْبُتْ. وإذا ما نَظَرنَا الكَلِمَتَين الأخِيرتينِ في البَيتِ الأوّلِ، فإنَّ البُغْضَ والعداوةَ محَلُّهُما الضُّلوع، ناهِيكَ عن البراعةِ في جمالِ تَشابُهِ حُرُوفِ الكَلِمَتَينِ. لِيقولَ مُدافِعًا:

البسيط

نَصلانِ قَد أُثْبِتَا في قَلْبِ شَانِئِها نارَيْنِ أُوْقِدَتا في كَشْحِ كاشِحِها[1]

وَكَذَّبَ اللهُ أَقــوالاً قُرِفْتَ[2] بِــها بِحُجَّةٍ تُسْرَجُ الدُّنْيا بِواضِــحِها[3]

٢- قلْبُ الحقائقِ:

يقلبُ الصَّنوبريُّ الحقائقَ، إذْ كيفَ يُهدمُ ما لَمْ يُبْنَ بعد؟ عندَما جعلَ الشِّيب يَهدمُ ما بَناهُ الشّبابُ، والفاجراتُ البَغَايَا مُكرهاتٌ على فِعالِهنَّ، وقدْ صارَ الخشبُ الأسودُ عاجًا أبيضَ، فانقلبتِ الحقائقُ، وهذا شَنآن ما بَعده شَنآن! وما يزيدُ فَسادَ الأمرِ وضَلالتَهُ، أنْ يُكرهَ البَازي الشُّجاع الجميلُ ويُستحسنَ في القلوبِ الغُرابُ القَبيحُ اللَّئيمُ.

ويوظِّف الشَّاعرُ الطَّبيعةَ الحيَّةَ في شِعرهِ بِطيورها وحيواناتِها وبساتينها، فقد مَنَحها جَمَّ الرِّعاية والاهتمام، فهي عناصرُ مُكمِّلةٌ للطبيعة، فذكر طُيورَها المُغرِّدةَ منها والجارحة[4]. فيقول مُستنكرًا :

الخفيف

هَدَمَ الشّيبُ مَـا بَناهُ الشبــابُ والغَوانِـي، ومَا غَضبنَ، غِضــابُ

قُلِبَ الآبنــوسُ[5] عَاجًـا فَلِلأَعْـ يُنِ مِنْــهُ ولِلقلــوبِ انقــــلابُ

وضَلالٌ في الرّأيِ إن يُشنَأ البا زي، على حُسْنِه، وَيُهْوى الغرابُ[6]

---

[1] الكاشِح: العَدُوُّ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كَشَحَ) .

[2] قَرَفَهُ بالشَّيءِ: اتَّهَمَهُ، **نفسه**، مادة (قَرف) .

[3] **ديوانه**، ١٨٩/١، والبيت الثاني: قيل في سعاية سُعي به إلى المعتصم فلم تثبت .

[4] ينظر: عطيّة، عبد الرّحمن، **الصنوبري: شاعر الطبيعة**، ١٣٩ .

[5] الآبنوس: وهي القانُ، شجرةٌ من النّبع يُتخذ منها القِسيُّ، ابن عباد، **المحيط في اللغة**، مادة (قون) .

[6] **ديوانه**، ٣٩٥/٢ .

٣- شَناءَةُ عملِ البريدِ:

يَلومُ كَشاجِمُ صديقًا لهُ بعدَ أنْ وُلِّيَ بريدَ مِصر، فقدْ كانَ يُكِنُّ لهُ المَودَّة والحبَّ قبلَ استعمالِهِ على البريدِ، وبعدَ أنْ وُلِّيَهُ صار مقيتًا، لأنّهُ صارَ رَقيبًا يَتحكَّم في الخلْقِ، وقبلُ كَانَ يَسخطُ من الرَّقابة والمُساءلةِ، حتَّى صَارَ رقِيبًا عَلَى النُّفوسِ، فالقلوبُ تنفرُ مِنهُ، وَلو بَقيَ عَامِلُ البريدِ على حالتِهِ الأولى لَظلَّ يَسحرُ القلوبَ بِفِعالِهِ وحُسْنِ أخْلاقِهِ، ويصِفُهُ- قبْلَ شَغْلِ مَنصِبِ البريدِ- ظبيًا لِجمالِ صِفاتِهِ، وقدْ تَحوّل إلى الذِّئبِ المَاكرِ الغَادرِ بَعدمَا شَغَل البريدَ، فحقٌّ لِقلوبِ العِبادِ أنْ تَشْنَأَه. وقدْ أوردَ الثَّعالبيُّ شِعرهُ في باب (تقبيح عمل البريد)[١]، إذْ يقول كشاجِمُ فيهِ:

الخفيف

صِرتَ يَا عامِلَ البــريد مَقِيتًا وقديــمًا إليَّ كُنْــتَ حبيبَــا

كُنْتَ تستثقِلُ الرَّقيبَ فقدْ صِرْ تَ علينــا بــما وَلِيْــتَ رَقيبا

شَنِئَتْكَ النُّفوسُ وانحرفَتْ عَنْـ كَ قلوبٌ وكنتَ تَسْبــي القُلوبا

أفلا يُعــجَبُ الأَنــامُ لشَخْــصٍ صــار قِردًا وكــان ظَبْيًا رَبِيبَــا؟![٢]

ج- البُغْضُ:

"البُغْضُ بالضَّمِّ: ضِدُّ الحُبِّ، نَقله الجَوْهَرِيّ. قال شيْخُنَا، ضِدُّ الحُبِّ يَلْزَمُه العَدَاوَةُ في الأَكْثَر، لا أَنَّهما بمَعْنىً، لِظَاهِرِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾. والبِغْضَةُ، بالكَسْرِ والبَغْضَاءُ: شِدَّتُه، وكَذلِك البَغَاضَةُ"[٣].

١- شِدَّةُ البُغْضِ:

ويَردُّ أبو تمَّام على أبياتٍ لِعبد الصَّمد بن المُعذَّل في مُناكفةٍ شعريّةٍ هَجاهُ فِيها، ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[٤]، ويقولُ أبو تَمَّامٍ لَهُ مُستنكرًا عليهِ هِجاءَهُ: كيف

---

[١] **تحسين القبيح وتقبيح الحسن**، ٩٣ .

[٢] **ديوانه**، ٣٤ .

[٣] الزبيدي، **تاج العروس**، ٢٤٧/١٨، مادة (بغض). والآية من سورة المائدة، ٩١ .

[٤] آل عمران، ١١٨ .

تنظمُ فيَّ قولًا زَائِفًا؟ وأنت لا تُساوي شَيئًا، فَلو عُددتَ بينَ النَّاسِ لكُنت صفرًا، وَقلبُكَ قد ضُمِّنَ من بُغضِي وحَواه فاحتَرق غَيظًا، وإنَّ نارَ بُغْضكَ في قلبكَ وجَسدِكَ لا تُقارن بنارِ مَنْ هَجرهُ حبيبُه وخَلَّاه إلى غيرِ رَجعةٍ. وقد صَوَّر الشَّاعِرُ حالةَ بُغْضِ ابنِ المُعذَّلِ بِحبلٍ رَبَطَ قَلْبَهُ بِهِ وتَحتَهُ نارٌ يَتَقَلَّى بِها فَيَتَقَلَّبُ وَيُشوى. فنراهُ يردُّ قائلًا:

البسيط

أَفِيَّ تَنْـــــظِمُ قَــوْلَ الزُّورِ وَالفَنَــدِ[1] وَأَنتَ أَنزَرُ مِنْ لا شَيءَ فــي العَدَدِ؟

أَشرَجْتَ[2] قَلبَكَ مِن بُغْضِي عَلى حُرَقٍ أَضَرُّ مِن حُرُقاتِ الهَجْرِ في الجَسَدِ[3]

٢- العِتابُ يُولِّدُ البُغضَ:

يجدُ ابنُ الرُّوميِّ أنَّ كَثرةَ العِتابِ تَزرَعُ في القلبِ البَغْضَاءَ والكُرهَ، وأيُّ نفْسِ حَبيبٍ تُطِيقُ الكُرْهَ؟! ومِنْ ذلكَ كَثرةُ عِتابِ الصَّديق لِصَدِيقِهِ، فهيَ تَجرُّ الكُرهَ وتَحجِبُ الوُدَّ، وقدْ جعلهَا الشّاعرُ مَزروعَةً تدلُّ على تَعمُّقها في القَلبِ، فالشَّاعِرُ لمْ يَكنْ ليقولَ هذا القولَ لِمجرَّدِ عَتَبِهِ، ولكنْ لِما سَيُراكِمُ العِتَابُ منْ نَتائِجَ مَتَرَتِّبَةٍ عليهِ، وقدْ أجرَى الاستعارةَ، فجعلَ للعَتَبِ شَجرًا ولِلجفاءِ ثمرًا يَنبت على شجر العَتب، لِيَقصِدَ نُموّ العَتَبِ وتَزايُدَهُ في القَلبِ. فيقولُ مُتودِّدًا:

الخفيف

إنَّ طُولَ العِتابِ يَزْدَرِعُ[4] البَغْ ضَاءَ في قَلبِ كَارِه البَغْضاءِ

لمْ أَقُلْ ذَا لِأَنْ عَتبْتُ ولَــكِن شَجرُ العَتْبِ مُثْمِــرٌ للجفاءِ[5]

٣- الإِخْلاصُ المُطْلَقُ:

وهذا الشَّريفُ الرَّضِيُّ[6] يقولُ مَادِحًا وزيرًا وذاكرًا نَصرَه، فَكُلُّ واحدٍ دونَ ممدوحِهِ بغيضٌ إلى نفْسِهِ ولو حمَلَ منَ الرّغائِبِ الجمَّة لهُ مَا حَمَلَ، وتلكَ مُبالَغةٌ شديدةٌ في الحبِّ الذي أجراهُ للوزيرِ

---

[1] الفَنَد: الخَرَفُ وإنكار العقلِ من الهَرَم أو المَرَض، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (فَنَدَ) .

[2] أشرجتَ العَيبة وشَرجتَها: إذا شددتَها بالشَّرج، وهي العُرى، **نفسه**، مادة (شَرَج) .

[3] **ديوانه**، ٣٣٤/٢ .

[4] يزْدَرِعُ: ازْدَرعَ القَومُ، اتّخذوا زَرْعًا لأنفسهم خصوصًا أو احترثوا، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (زَرَعَ) .

[5] **ديوانه**، ٦٣/١ .

[6] هو أبو الحسن، محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، وتوفي سنة ٤٠٦هـ/١٠٦١م . **ديوان الشريف الرّضي، مقدّمة المحقق**، ٥/١ .

وليستْ عَيْنُهُ ترى المَدْح إلّا لذلكَ الوَزِيرِ، وجعلَ النَّظرَ إلى سواهُ عِبئًا، فكأنَّهُ يريدُ القولَ: إنَّ عيني تصيرُ ثقيلةً إذا نظرتْ إلى غيرِكَ، لأنّني أضُمُّكَ داخِل عيني فأُغْلقُ جِفنَهَا. لِيقولَ في معناه:

الطويل

بَغيضٌ إلى قَلبي سِواهُ وَإن غَدَتْ لَهُ نِـــعَمٌ تَتْرى إلَـــيَّ رِغَـابُ

وَعِبْءٌ عَلى عَينَـيَّ رُؤيَةُ غَيــرِهِ وَلَو كانَ لي فيهِ مُنىً وَطِلابُ[1]

د- القِلَى:

"وهو يَقليهِ ويَقلاهُ: يَبغضهُ، وفعلَ ذلكَ عن قلًي ومقليةٍ، وتقلَّى إليه: تَبغَّض، وتَقالوا: تَباغَضوا وبينهم تقَالٍ. ومنْ المَجازِ: قَلا الحمارُ أُتُنَهُ: طردها. والنَّاقةُ تَقلُو بِراكِبِها. وهُو يتقلَّى عَلى فِراشِهِ يَتَمَلْمَلُ ولا يَستقِرُّ"[2].

١- شِكَايَةٌ بجنايةٍ وقِلَى:

كُلَّما أرادَ ابن الرُّوميِّ أنْ يَبُثَّ مَا في قَلبِهِ مِن الشَّكوى، ومَا يحمِلُهُ قلبُهُ من لَوَاعِجِ الأسى والحُزْنِ، لمْ يَجِدْ أُذُنًا صَاغِيةً، بلْ أظهرَ أَنِيسُهُ الكُرْه والغَضَبَ، فَبدلًا مِن سَماعِ شكواهُ والوُقوفِ إلى جانِبَهِ، صَارَ عَاتِبًا لهُ وقاطعًا لِمودَّتِه، وتِلكُمْ واللهِ جِنَايَةٌ ليسَ بَعدَهَا جِنايَةٌ، فَلا يُعاوِدُ ابنُ الرُّوميِّ بَثّ شَكْوَاهُ خَوْفًا من أنْ يَهجُرهُ الأنيسُ ويَدَعَهُ إلى غيرِ رَجْعَةٍ. فَيشكو قائلًا:

الطويل

إذا جِئْتُ أشْكُو ما بِقَلبِي مِنَ الأَسَى إلَى مُؤنِسي أبْدَى القِلَى وتغضَّبا

وأظْهَــرِ لِيْ بَعْدَ الــوِصَالِ تَجـنِّيًا فأَصْبِــرُ خوفًا مِنهُ أنْ يَتَــجنَّبا[3]

---

[1] **ديوانه**، ٦٨/١ .

[2] الزمخشري، **أساس البلاغة**، ١٠٠/٢. مادة (قلو) .

[3] **ديوانه**، ٢٤٢/١ .

٢- شِدَّةُ القِلَى:

يُعاتِبُ ابنُ الزَّيَّاتِ قَلبَهُ الذي يُقابِلُ كُرْهَ الحَبيبِ بالمَودَّة، فَلِمَ المَودَّةُ إذَن، والحَبيبُ مُتكبِّرٌ قلبُهُ غَارِقٌ في الكُرْهِ والقِلى؟ وفِي جعْلِهِ القلبَ يغْرقُ في القِلَى دليْلٌ عَلى سِعَةِ القِلى وعُمْقِهِ في قلبِ حَبيبِهِ كما البَحرُ، ويقولُ لِقلبِهِ: دَعْهُ، فَفِي مَرضِكَ لمْ يزُرْكَ- وذلِكَ أشدُّ أوقات الحاجةِ- فَمَا نَفْعُهُ إنْ كَانَ لا يقدِّر مَعنى الحُبِّ، لِذلكَ يدعو قلْبَهُ بِأنْ يَصْرِفَ عَنْهُ حبَّه، ويَدَعَ ضَلالَهُ المُنْجَرَّ وَراءَ الشَّهواتِ. فيقول:

مجزوء الكامل

يا قَلبُ وَيــحَكَ لِـمْ تُرِدْ بِمَوَدَّةِ مَـن لا يُريــدُكْ

يَزهُو وَيغرقُ في القِلَى وَإذا مَرِضتَ فَلا يَعودُكْ

حَتّى مَتى وَإلـى مَتــى غَـيُّ الفُؤادِ لَهُ يَقــودُكْ[١]

[١] **ديوانه**، ١١٧ .

الفصل الثَّاني: تطوُّر معاني القلب في الشِّعر العبَّاسيِّ

- أولاً: المعاني الخُلُقيَّة والنَّفسيَّةُ للقلب
- ثانيًا: ما يحمِله القلبُ من المجاز
- ثالثًا: باب ذكر مُتعلِّقات القلب من مَحسوساتِه المادِّيَّة
- رابعًا: المعاني الرُّوحانيَّة للقلب

أولًا: المعاني الخلُقِيَّة والنَّفسيَّةُ للقلبِ

١- الشَّجاعة:

وبرَزَتِ الشَّجاعةُ في هذا العصْر بشكلٍ لافتٍ ومَلحوظٍ، فتغنّى المُتنبي وأبو تمَّامٍ والحمْدانيُّ والعِجْليُّ وأشجع السَّلميُّ بِمناقِبِ المَمدوحينَ الشُّجعانِ. ومِنهمْ منْ وسَمَ الشَّجاعة لِنَفْسِهِ، "ورُبَّما كان من أهمِّ ما سجَّلَتْهُ صُحُفُ المديحِ في هذا العصْرِ صورُ الأبطالِ الذين كانوا يقودودنَ جُيوش الأمَّة المُظفَّرَةِ ضدَّ أعْدائِها من التُّرْكِ والبيزنطيينَ، فقد أشادتْ إشادَةً رائِعةً بِكُلِّ معركةٍ خاضَوا غِمَارَها وكُلِّ حِصْنٍ اقْتحموهُ، حتّى كادَتْ لا تَتْرُكُ موقِعَةً ولا بَطَلًا دونَ تصويرٍ يُضرِمُ في النَّفسِ العربيَّة الاسْتِبْسَالَ والمُضاءَ وجِلادَ الأعداءِ جِلادًا عنيفًا"[١].

أ- شجاعةُ الضَّيفِ مِنْ شَجاعةِ مُضيْفِهِ:

وَمنْ أحْسَنُ وصَّافًا مِن المُتنبِّي للشجاعةِ، وفخرًا بِنفسه وبِممدوحِيه، إذْ جعلَ ممدوحَهُ شُجاعًا إذا حلَّ عِندَهُ الضَّيفُ فأطعَمَه القِرى وقويتْ عَزيْمَتُهُ، وازْدَادَ قلْبُ مَمدوحِهِ شَجَاعَةً في كُلِّ مَرّة يحلُّ بِهَا الضَّيفُ، ويَصيرُ قلبُ الشُّجاعِ (مَمدوحِهِ) جَبانًا إذا رحل عنه ضَيفُهُ. إذْ خَصَّ الشَّجاعة لِنفس مَمْدُوحِه واستأْثَرَهَا دُونَ ضَيفه، وهذا معهودٌ لَهُ حينَ يَفخر بِغيرِهِ وَبِنفسِهِ، فيقول:

الوافر

يُحَلُّ بِهِ عَلى قَلبٍ شُجاعٍ وَيُرْحَلُ مِنهُ عَن قَلبٍ جَبانِ[٢]

ب- قلبٌ كالصَّخرِ:

انْظرْ لَجمَالِ الاسْتِعارَةِ، وعَظيمِ المُبالَغةِ، ودَقّةِ التّشبيه والوَصْفِ في مدْحِ أبي بكرٍ الصُّوليِّ[٣] للأميرِ(أبي الوفاءِ المُظفَّرِ)[٤] في معركةٍ خاضَهَا وانْتَصَرَ فيهَا، فقدْ جعلَ الشَّاعرُ لِصبْرِ المُظَفَّرِ

---

[١] ضيف، شوقي، **العصر العبّاسيُّ الأوَّل**، ١٦٢ .

[٢] **ديوانه**، ٢٥٤/٤ .

[٣] هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن العبّاس بن محمد بن صُول، أبو بكر المعروف بالصُّولي، كان عالِمًا من العلماء الحَاذِقينَ بالأدب ذا معرفةٍ بأخبار الملوك والشُّعراء والأشراف، فكانَ حَافِظًا، واسع العلم والدِّرايةِ، ونادَمَ كثيرًا من الخلفاء، ولهُ شعرٌ كثير في الغزل والمديح روى عن النَّابعين بعضًا من أحاديث رسول الله ﷺ، وقيل مات سنة ٣٣٥هـ، وقيل مات سنة ٣٣٦هـ بالبصرة. ينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٦٧٥/٤-٦٨١. ويعود نسب جدِّه إلى صُول التركي وهو أحد دعاة بني العباس وكان أبو بكرٍ حاذِقًا بالشطرنج حتَّى قيل إنَّه أول من وضعه، وله تصانيف كثيرةٌ من الكتب وأخبار الشعراء وأشعارهم. ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ١٠٩/١٩-١١١ .

[٤] هو توزون التُّركي، كان من خواصّ بجكم، غدر بالمتَّقي وسَمَله، وكان تعتريه عِلّة الصَّرَع، ولم يَحُل عليه الحول بعدما فعل ذلك بالمُتَّقي وكان جبَّارا ظالِمًا فاسقًا فاتِكًا، قتل خلقًا كثيرًا وأخذ الأموال، وهلك في المُحَرَّم سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة، وكانت وفاتُه بِهِيت. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٧٦/١٠ .

جِلْبابًا يُغطّي جسَدَهُ كُلَّهُ، فهوَ مُجالِدٌ منَ الطِّرازِ الأوَّلِ، وأمَّا قلبُه فثابِتٌ ثباتَ الصَّخْرَةِ لا يتَزحزحُ وقدْ شَرَدَ أعداؤهُ قبلَ مُواجهَتِهِ عندَمَا عَلموا بوجودِهِ في المعرَكَةِ، فالتصقتْ أقدامُهم بالأرضِ من شِدَّةِ الخوفِ قبلَ أنْ يتفرَّقوا وكأنّهُم أسرابٌ من النَّعامِ تَهْرُبُ إلى الصَّحْراءِ في سرعةٍ، وجلبَ النَّعامَ تَمْثِيلًا عَلَى سُرْعةِ هربِهَا، فَطريقُهَا فَسِيحَةٌ للهرَبِ. انظرْ إلى جمال تكرارِ حرفِ الصَّاد في الكَلِمَاتِ من البيتِ الأوَّلِ (صبر، صخرة ، صماء)، فالصَّادُ تحمل القوَّةَ والغِلْظةَ في تلكُم الكلماتِ. ليقولَ الصُّولي مَادِحًا:

الكامل

مُتَلَبِّسٌ جِلْبَابَ صَبْـرٍ تَحْتَـهُ قَلْبٌ كَمِثْلِ الصَّخْرَةِ الصَّمّاءِ

شَرَدَ الأَعادِي خَوْفُهُ فَكَأَنَّـهُمْ خَرِقُ[1] النَّعامِ بِقَفْـــرَةٍ بَيْدَاءِ[2]

ج- شَجَاعةُ كَلْبٍ:

ويتَّخذ أبو نُوَاسٍ لِلشَّجاعةِ مَنْحىً آخرَ حِينمَا يَستنجدُ بكلبِهِ على ثَعلَبٍ برزَ لهُ، فيَصيحُ بِكلبِهِ البَطَلِ لطردِ الثّعلب، وفي وَصفِهِ لكلبِهِ الشُّجاعِ الذي صَوَّر فيهِ جُرأة قَلبهِ وحمِدَ أفعَالهُ، مُغالاةٌ وكَيْلٌ مُبالَغٌ في التّعبير، إذ جعلهُ مؤدّبًا كَامِلَ الخِصال، وهذِهِ الأوصافُ لا تَليقُ إلّا بِالبشَرِ، وليسَتْ للحيوانِ. فيقول:

الرجز

لَمّا بَدا الثَّعلَبُ في سَفحِ الـجَبَلْ صِحتُ بِكَلبي ها، فَهاجَ كَالبَطَلْ

كَلبٌ جَريءُ القَلبِ مَحمودُ العَمَلْ مُـؤَدَّبٌ كُـلُّ الخِصالِ قَد كَـــمُلْ[3]

٢- الجُبن:

وكَما أنَّ الشَّجاعةَ ظَاهِرةٌ بيِّنةٌ في هذا العصر، فإنَّ الجُبْنَ بارِزٌ في هَذَا العَصْرِ، لأنّ الضِدِّ بالضِّدِّ يُعرَفُ.

---

[1] خَرِقُ الظبي: دَهِشَ فلَصِقَ بالأرضِ ولم يقدر على النُّهوض، وكذلك الطائر إذا لم يقدر على الطيران جَزَعًا، وقد أخرَقهُ الفَزَع فَخَرِقَ. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خَرِق) .

[2] الصولي، **كتاب الأوراق، قسم أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، ٢٧٢ .

[3] **ديوانه**، ٦٤٤. ها: حرف تنبيه، كأنه يقول للكلب: هيا للصيد!

أ- الشَّرفُ مَجبَنَةٌ:

يذكُرُ الخُريميُّ[1] خِصالَهُ الحميدةَ، ويعترفُ بانقِسامِ قلبِه بينَ التّيْه والجُبن، فقلبه جَبانٌ على المخازي التي تجلبُ العارَ والإثمَ لَهُ، شُجاعٌ لِكلِّ خَصلةٍ حَميدةٍ فيها صَوْنٌ للعِرْضِ، مَجْلَبَةٌ للعَفافِ. يقولُ:

الطويل

فَإنّي لَذو قَلبيــــن قَلــبٌ مُضيَّـــــعٌ وَقَلبٌ جَبانٌ إنْ سألت هيـوبُ

جَريءٌ عَلى ما زَيّن العِرضَ، هائِبٌ لتلك الَّتي يَخزى بِها وَ(يَحوبُ[2])[3]

ب- القَلبُ لا السّيفُ سيِّدُ المعركةِ:

والمتنبي يَجعَلُ الضَّرْبَ بالسَّيفِ من حَالِ حَامِلِهِ، فإنْ كانَ حَامِلُهُ شُجاعًا كانَ السَّيفُ بتَّارًا قَاطِعًا، وإنْ كانَ حامِلُهُ جبانًا كانَ السَّيفُ خَاذِلًا "وإنّما تفعلُ السّيوفُ إذا كانَ الضَّارِبُ بها مِثْلَهَا ويريدُ إذا كانَ قلبُه كقلبِها، فإنّها تُعينُ الشّجاعَ الذي لا يَفزَعُ في الحرب، ولَمّا ذَكَرَ قُلوبَهُم استَعارَ لها قلوبًا والسَّيفُ لا ينْفعُ ولا يُغني إلَّا إذا كانَ حامِلُهُ شُجاعًا، وقدْ يكونُ السَّيفُ ماضِيًا في كفِّ منْ لا يَعملُ به كغيرِهِ مِن السُّيوفِ، فَهُوَ مِثْلُ الجبانِ بكَفِّ الجَبانِ، وإنَّما يُغني السَّيفُ إذا كانَ مع الشُّجاعِ"[4]. قال:

الكامل

إنَّ السُّيوفَ مَعَ الَّذينَ قُلوبُهُـمْ كَقُلوبِهِنَّ إذا التَقى الجَمْعَانِ

تَلْقَى الحُسَامَ عَلى جَراءَةِ حَدِّهِ مِثْلَ الجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبـانِ[5]

---

[1] هو إسحاق بن حسان بن قُوْهَى، أبو يعقوب الشاعر المعروف بالخُرَيمي، جزريٌّ نزل ببغداد، وأصله من خراسان من أبناء السُّغد، وكان متّصلًا بخُريم بن عامر المُرِّي وآله فنُسب إليه، قال عنه السَّجستاني: كان من أشعر المولّدين، البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٣٣٥/٧-٣٣٦ . والخُرَيْمي شاعرٌ مطبوعٌ، وُلد في الجزيرة الفراتيّة، وسكن بغداد، واتّصل بخُرَيْم (النَّاعم) فنُسب إليه، توفي سنة ٢١٢هـ. الزركلي، **الأعلام**، ٢٩٤/١ .

[2] حابَ يَحوبُ: أي أثِمَ، ابن عباد، **المحيط في اللغة**، مادة (حَوَبَ) .

[3] **الخُرَيْمي، شعره**، ١٣ .

[4] **ديوان المتنبي، هامش التعليق**، ١٨٤/٤ .

[5] **ديوانه**، ١٨٤/٤ .

ج- مُقارَنةٌ بينَ قَلبينِ:

وهذا الشَّريفُ الرَّضِي نَظمَ في رثاء صديقٍ لهُ منَ العربِ، قتلهُ بنو تميمٍ، وقيل إنَّ هَذا الرَّجُلَ كان داعِيتَهُ، فيُعدِّدُ مناقِبَهُ، إذْ هوَ من الذينَ يقِلُّونَ عند الطَّمَعِ ويكثُرونَ عند الفَزَعِ، وكانَ صديقُه سبَّاقًا إلى اقتحامِ الأهوالِ، أوَّلَ من يَهُبُّ إلَى قِتالٍ وَنُصرَةٍ، وآخِر الذينَ يَخْرُجُونَ مِن القِتالِ، فإذا اشتَدّت صلابةُ قَلْبِهِ وزادتْ قسوتُهُ جبُنَ العدوُّ من اللِّقاءِ، وقابلَ الشَّاعِرُ بينَ (رسبَ وطفا) فإذا مَا كانَ قلبُ الشُّجاعِ (صَديقِهِ) صَلبًا قاسيًا رسبَتْ حَصَاةُ قَلبِهِ إلى قَاعِهَا، وكانَ قلبُ الجبانِ مِنْ خِفَّتِهِ طافِيَةً حَبَّتُهُ على السَّطْحِ. واسْتَعَارَ لِلقَلبِ حَصَاةً كنايةً عن الشَّجاعةِ. فيرثيهِ قائِلًا:

الوافر

بِحَقٍّ كـــانَ أَوّلَهُم وُلـوجًا عَلى هَولٍ وَآخِرَهُم خَراجـــا

إذا رَسَبَت حَصاةُ القَلبِ مِنهُ طَفا قَلبُ الجَبانِ بِهِ اِنزِعاجا[1]

٣- الخوف:

أ- الخوفُ مع إظهارِ النّدمِ:

وفي قَصيدَةٍ يَعتَذِرُ فِيهَا السَّري الرَّفَّاءُ لسَيفِ الدَّولَةِ بعدَ رَحيلِه عَنْ حَلَب بدونِ إذْنِهِ، فَيُسَائِلُ نفسهُ مُستنكرًا عَليها الإعْراضَ عن الماءِ العذْبِ البارِدِ، مَعْ أنَّهَا عَطْشى، مُصوِّرًا حُبّهُ لمَمدوحِهِ بالمَاءِ الذي يُبقيهِ حَيًّا، فالماءُ للعطشانِ كالوَصْلِ للولهانِ، وَيطلبُ الصَّفح عَنْ جُرْمِهِ، فَيُظهرُ نَدمًا وخوفًا وقلبُهُ سِجِلٌّ للحادِثاتِ لوْ تصَفَّحَهُ سيفُ الدَّولَةِ لَظَلَّ يَقرأُ فيهِ الخَوفَ مَكتوبًا على صَفَحاتِه مَمْزُوجًا بِخَطِّ النَّدمِ. يقولُ في ذَلكَ:

البسيط

وكيفَ يَجتَنِبُ الظَّمــــــآنُ مَوردَهُ عَمْدًا إذا راحَ وهو البارِدُ الشَّبِمُ[2]

صَفْحًا فلو شُقَّ قلبي عن صَحيفَتِه لَظَلَّ يُقْرَأُ مِنـــهُ الخوفُ والنَّدَمُ[3]

---

[1] **ديوانه**، ٢٢٤/١ .

[2] الشَّبِم: الذي يجد البرد مع الجوع، الجوهري، **الصحاح**، مادة (شَبم) .

[3] **ديوانه**، ٤١١ .

ب- البرقُ المُخيفُ:

وفي وَصْفِ مَظاهرِ الطَّبيعةِ، وحَضِّهِ على اللَّعبِ، يَصِفُ السَّريُّ الرَّفَّاءُ الجوَّ المُلبَّد بِالغمامِ وقدْ خَلَتِ الأمطارُ مِنْها، ويُشَبِّهُ البَرْقَ إنسانًا، يَستعيرُ لَهُ قَلْبًا مَحَلُّهُ صَدْرُ رَجُلٍ مُرعِبٍ مُخيفٍ، وقرَنَ ذَلِكَ بِممدوحِهِ الذي لمْ يَمْسَسْهُ الرُّعْبُ وَانْصَرفَتْ عَنْهُ المَصَائِبُ والهُمومُ، فَأتَتْهُ السَّعادةُ مِنْ أوسعِ مَا تَأتِيهِ. لِيصِفَ تِلكَ المَناظِرَ. فَيقولُ:

البسيط

والجوُّ يختالُ في حُجْبٍ ممسَّكةٍ كأنَّما البرقُ فيها قلبُ ذي رُعُبِ

تجنَّبْتك صروفُ الدّهرِ فانصرفَتْ وقابلَتْكَ سعودُ العيشِ من كَثَبِ[1]

ج- القلبُ الخائِفُ من البَعث:

ويُطالِعُنا أبُو العَتاهِيةِ بِخوفٍ أشَدَّ أثرًا وأقوَى وقْعًا عَلى النُّفوسِ؛ ألَا وهُوَ الخَوفُ مِمَّا بَعد المَوتِ، فِحسابٌ يَومَذَاكَ وعقابٌ، وهِيَ حَالَةُ خَوفِ المُؤمِنِ الذي يَخافُ النَّارَ فَيعملُ لِيُزَحْزَحَ عَنْها وَيُريدنا أبو العَتَاهِيَةُ أنْ نُؤمِنَ بِالآيةِ في قولِهِ تَعَالَى:﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[2] إيمانًا مُتيقَّنا بأنَّ الموتَ آتٍ في كلِّ لَحظةٍ، فالقلبُ خَائِفٌ مُوجَعٌ عِنْدَ ذِكْرِ المَوتِ، إيْذَانًا بالمُحَاسَبَةِ عَلى كُلِّ صَغيرَةٍ وكَبيرةٍ.

والمُتَأمِلُ شِعرَ أبي العَتاهِيةِ ومَا فيهِ من أُمورِ الزُّهدِ في مُجتَمَعٍ غَارِقٍ إلى قَعْرِهِ في المُتَعِ والمَلَذَّاتِ، لَيَلْحَظُ القَضَايا الوَاقِعِيَّةَ المَحسوسَةَ التي عبَّرَ بِهَا عنْ مَكنونِ نَفْسِهِ، إذا عَلِمْنا أنَّ نَشأَتَهُ كانَتْ بعيدَةً كُلَّ البُعْدِ عَنْ واقِعِ الزُّهْدِ والتَّنَسُّكِ ومَظاهِرِ التَّدَيُّن، فَما حَملَهُ عَلى التَّفَكُّرِ والتَّعَقُّلِ وَاقِعهُ المَريرُ الذي عَاشَهُ[3]. فيَدعُونَا أبو العتاهية لِلتَّفكُّرِ:

---

[1] **ديوانه**، ٤٤ .

[2] آل عمران، ١٨٥ .

[3] ينظر: شرارة، عبد اللَّطيف، **أبو العتاهية: شاعر الزُّهد والحُبِّ الخَائِب**، ٥٧-٥٨ .

الطويل

وَما مَن يَخافُ البَعثَ وَالنارَ آمِنٌ وَلَكِنْ حَزينٌ موجَـعُ القَلبِ خائِفُ

إِذا عَنَّ ذِكْـــرُ المَوتِ أَوجَعَ قَلبَهُ وَهَيَّـــجَ أَحـــزانًا ذُنوبٌ سَوالِـفُ[1]

٤- الأمن والاطمئنان:

أ- مِنْ مأمَنِهِ يُؤتى الحَذِرُ:

لا يَأتي خوفُ الشَّريفِ الرَّضِيِّ ممَّنْ كانَ مُتوقّعًا منهَا الخِيانةَ، بَلْ يأتيهِ منْ التي لم يتوقَّع خيَانَتَهَا وغدْرَهَا ويُعطي على ذلكَ دَليلًا، فالسَّهمُ الموَجَّهُ قد لا يُصيبُ وِجْهَتَهُ المُبْتغاة، فَينحرِفُ عنْ مَسارِهِ، بينَما الطَّائِشُ قدْ يُصيبُ بدونِ قصْدٍ ولَو هَرَبَ الإنْسانُ مِنْهُ، فيقولُ:

البسيط

كَمْ جاءَني الخَوفُ مِمَّا كُنتُ آمَنُهُ وَكَم أَمِنتُ التي قَلبي بِها يَجِفُ[2]

قَد يَأمَنُ المَرءُ سَهمًا فيـــهِ مَوقِعُهُ وَقَدْ يَخافُ الَّذي يَنأى وَيَنحَرِفُ[3]

ب- الأمْنُ الخدَّاعُ:

ويرسمُ لنا ابن الرُّوميِّ لوحةً فَنِيَّةً جميلةً، في صُورةٍ مَجازيِّةٍ يُصوِّرُ فيهَا الخِداعَ المُبطَّنَ لنهرِ دِجلةَ الذي يُرى هَادئًا سَاكنًا، ويقرُنُهُ بِنَفْسِهِ في هُدوئِهِ، فَهذا النَّهَرُ يَحملُ تَحتَهُ خِداعًا وطَيْشًا لِيُطمئِنَ القلوبَ بِذلكَ الهُدوءِ الذي سُرْعانُ مَا يتكشَّفُ زَيْفُهُ إذا استُفِزَّ، ولاعَبتْ أَمواجَهُ الرِّياحُ، وذلِكَ حالُ دِجلةَ فَحَالُ الشَّاعِرِ كَحالِهِ، وَهذا تَهديدٌ للعَابثِينَ معهُ، إذْ يُحَذِّرُ ابنُ الرُّوميِّ كُلَّ منْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ العَبَثَ مَعَهُ، مُحَذِّرًا ومُهَدِّدًا، في إسقاطٍ نَفسِيٍّ لِحالَتهِ على دِجلةَ فكأنَّهُ يقولُ لِغريمِهِ: (اتقِ سَطوةَ الحليمِ إذا غَضِبَ). وَكُلُّ تِلكُم الإسقاطاتِ النَّفسِيَّة السَّابِقَةِ لابن الرُّوميِّ هَديَّةٌ قَدَّمَها لِممدوحِهِ حينَما جَعَلَهُ شُجاعًا يَصفَحُ، لَكنَّ لَهُ سَطوةً كدِجلَةَ إذا مَا غَضِبَ. قال:

---

[1] **ديوانه**، ٢٨١ .

[2] وجَفَ القَلبُ وجِيفًا: خَفَقَ، ابن منظور، **لسان العرب**، مدة (وَجَفَ) .

[3] **ديوانه**، ٦/٢ .

الطويل

لِدِجْلَةَ خَبٌّ[1] ليس لليمِّ، إنَّـها تُرائـي بحلمٍ تـحته جهلُ واثـــبِ

تَطامَنُ[2] حتّى تَطمئنَّ قلوبُنـا وتغضبُ من مزحِ الرِّياحِ اللَّواعبِ[3]

ج- الأمْنُ بالعطاءِ:

وكتَب ابن الروميِّ إلى (القاسمِ بنِ عُبيدِ اللهِ)[4] وقدْ كَانَ عَزمَ عَلَى الشُّخوصِ إلى نَاحيةِ آمِد[5] مع المُعْتَضِدِ[6] لقتالِ (ابنِ عِيسَى بن شَيخٍ)[7]، ويَطلُبُ مِنْهُ أنْ يُطَمئِنَ قلبَهُ، لِمَا فِيهِ مِن الخَوفِ من انقِطَاعِ الرِّفْدِ والعَطَاءِ، وهارونُ هو الرَّجلُ المُكلَّفُ بِتدبيرِ الأُمورِ في غيابِ ابن عُبيد الله، إذْ يَجْعَلُهُ وَسِيطًا يُرسلُ من خِلالِه المودَّة لِهارونَ لِيُشعر قلبَهُ بالأمانِ، فوَسِيطُهُ وَحَبلُ صِلتِهِ هو الذي سَيجلب الأمنَ والطَّمأنينة إلى قَلبِهِ بَعْدَ فَقْد الشَّاعِر لهما، وفِي البيتينِ تلميحٌ بالاستِجْداءِ، حينَ قالَ في عَجُزِ البيتِ الثَّاني: (للأيادي أنْ تطمئنَّ القلوبُ)، فالأيادي كِنايةٌ عن طلبِ المالِ، وهذا هُوَ الأمْنُ بالنِّسبة لابن الروميِّ. فيُسمِعنا مُتَسَوِّلًا:

الخفيف

قُلْ لِهارونَ قولةً تَهَبُ الأمْـ نَ لقلبي فإنَّـــه مَرْعُـوبُ

وَلأَنتَ الـــــذي يَعُدُّ تَـمَامًا للأيادي أن تطمئِنَّ القلوبُ[8]

---

[1] خَبّ البحر وأصابهم الخَبّ: إذا التوت عليهم الرياح واضطربت الأمواج، الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة (خَبب) .

[2] تَطامَنُ تطَامُنًا: تخضَعُ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خَضَعَ) .

[3] **ديوانه**، ١٣٧/١ .

[4] هو وزير المعتضد، القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي، ولي الوزارة للمعتضد سنة ٢٢٨هـ، **ديوان ابن الرومي، هامش التحقيق**، ٢٩/١ . ينظر: الذَّهبي، **سير أعلام النبلاء**، ١٨/١٤ .

[5] آمِد: والأرجح أنَّها لفظةٌ روميَّةٌ، بلدٌ قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نهر دجلة في وسطه عيون وآبار وفيها بساتين، ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ٥٦/١ .

[6] هو أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس المعتضد بالله بن الموفّق بالله بن المتوكل، خليفة عباسي، وُلد ونشأ في بغداد سنة ٢٤٢هـ/٨٥٧م، ومات فيها سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م. حارب الزنج والأعراب قبل خلافته أيام المعتمد، وأثناء خلافته أيضًا، **ديوان ابن الرومي، هامش التحقيق**، ٢٩/١ . ينظر: **الزركلي الأعلام**، ١٤٠/١ .

[7] هو أحمد بن عيسى بن شيخ، الشيباني الأمير، صاحب آمِد وديار بكر أيام المعتز العباسي، ولما قُتل المعتز استقلّ بهما، توفي سنة ٢٨٥هـ، **ديوان ابن الرومي، هامش التحقيق**، ٣٤٩/١ . ينظر: **الزركلي، الأعلام**، ١٩١/١ .

[8] **ديوانه**، ٢١٩/١. هارون: الرجل المكلّف بتدبير الأمور في غياب القاسم بن عبيد الله .

٥- السُّرورُ والفرحُ:

أ- اللَّهو يجلبُ السُّرورَ:

وبالحَديثِ عن اللَّهوِ نَرى الشَّاعِرَ البَبَّغاءَ[١] يمَتِّعُ نَفسَهُ ويُحيي قلبَهُ بالمسرَّاتِ، فَقَدْ شَهِدَ لِنَفسِهِ في دَيْرِ الزَّعْفَرانِ[٢] يومًا عظيمًا، نَسيَ كُلَّ مآسي الدّهرِ فيهِ، وقدْ طَرِبَ بالموسيقى وَضرْبِ الدُّفوفِ فَلاقَى قَلبُه يومَهَا سُرورًا مَا بعده سُرورٌ، بَعد أنْ كانَ ميْتًا مِن الأَحزان والهُمومِ. ونرى الشَّاعرَ يُوظِّفُ المعاني الدِّينيّةَ في شعرِهِ، حينَ يقولُ: (صفحتُ، الدّهر، سيّئاته، حسناته، مَماتِه)، ويُقابلُ بينَ كَلِمتَي حَسناتِهِ وسيِّئاتِهِ ليوضِّح حالتَهُ قبلَ يومِ الدَّيرِ وبَعدَهُ، فحَسناتُ الدَّهرِ أعاشَتْ قلبَهُ وسيِّئاتُه أماتَتْهُ؛ كِنايةً عن الكآبةِ والحُزنِ. يقول:

الطويل

صَفَحتُ لِهذا الدَّهرِ عَن سَيِّئاتِهِ وَعَدَّدْتُ يَومَ الدَّيــــرِ مِنْ حَسَناتِهِ

وَصَبَّحتُ عُمرَ الزَّعفَرانِ بِصنجةٍ أَعاشَت سُرُوْرَ القَلبِ بَعدَ مَماتِهِ[٣]

ب- السُّرورُ بتولي الوزارةِ:

وهذا الشَّاعرُ السَّلاميُّ[٤] يمدحُ الوزيرَ (أبَا نَصْرٍ سَابورَ بن أرْدَشِيرَ)[٥] وقد أُعيد إلى الوزارةِ، فجعلَ النَّاس كُلَّها مَسرورةً بِعودتهِ إلى وزارته، فكلُّ قلبٍ مَسرورٌ بِرجوعِ هذا الوزيرِ. قالَ فِيهِ:

---

[١] هو عبد الواحِد، نَصْر بن محمد، أبو الفرج المخزوميُّ الحَنْطَبِيُّ الشاعر المعروف بالبَبَّغاء، وهو شاعرٌ مجوِّدٌ وكاتبٌ مترسِّلٌ، ذو مُلْحةٍ في الألفاظ وجودةٍ في المعاني، حَسَن المديح والغزل الوصف والتّشبيه، مات سنة ٣٩٨هـ. ينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**،١٢/٢٦٠-٢٦٢.

[٢] دَيْرُ الزَّعْفَرَانِ: ويُسَمى عُمْرَ الزَّعْفَرانِ، قرب جزيرة ابن عُمر تحت قلعة أرْدُمُشت، وهو في لحف جبل والقلعة مُطلَّةٌ عليه، وبِهِ نزل المُعتَضدُ لَمَّا حَاصرَ هَذِهِ القلعة حتّى فتحها، ولأهله ثروةٌ وفيهم كثرة، ودير الزَّعفران أيضًا: بقربه على الجبل المُحاذي لنصيبين كان يُزرع فيه الزَّعفران وهو دير نزه وفرح، لأهل اللّهو به مشاهد، ولهم فيه أشعار، وفي جبل نصيبين عدّة أديرة أُخر. الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ٢/٥١١ .

[٣] **شعر الببغاء: حياته وديوانه**، ٣٦-٣٧، العمري، **مسالك الأبصار**، ١/٣٤٦ .

[٤] هو محمد بن عبيد الله بن محمد بن محمد بن يحيى بن حليس بن عبد الله، أبو الحسن السَّلامِي الشَّاعر، كان شاعرًا حسن الشِّعر، مات سنة ٣٩٣هـ، ينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٣/٥٨٠-٥٨١. وهو محمد بن عبدالله بن محمد، نشأ ببغداد وولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦هـ، وتوفي سنة ٣٩٣هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٣/٢٥٧، وينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٤/٤٠٣ .

[٥] هو الوزير سَابورُ بن أرْدَشِيْر بن قَيْرُوْزَيه، أبو نصر الجوزي، وُلد بشيراز سنة ست وثلاثين وثلاثمئة، وتوفي سنة ست عشرة وأربعمئة كان كاتبًا سديدًا، استنابه الوزير أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان وزير الملك شرف الدولة بن عضد الدولة، فنظر في الأعمال إلى أن قدم أبو منصور فانكَفّت يده ورتّب على ديوان الخزائن، فلمّا قُبض على أبي منصور أُستوزر أبو نصر وأُقيم مقامه، ثم شغب عليه الدَّيلم. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ١٥/٤٥-٤٦ .

البسيط

اليوم طبَّقَ أفْقَ الدّولةِ النورُ وأَوضَحتْ فُلَقَ[1] المُلْكِ التباشيرُ

فكلُّ عينٍ إليك اليوم طامحةٌ وكلُّ قَلْبٍ بِمَا خـــوَّلت مَسْرورُ[2]

"أما السَّلامي فَهو حُلو الكلامِ، مُتَّسق النِّظامِ، كأنَّما يَبْسُم عن ثَغرِ الغَمامِ، خَفي السَّرقةِ لطيفُ المَأخَذِ، واسعُ المَذهبِ، لطيفُ المَغارسِ، جَميلُ المَلابِس، لِكلامِه لِيطةٌ بِالقلبِ، وعَبَثٌ بِالروحِ، وبَرد على الكَبدِ"[3].

ج- الجمالُ يجلِبُ السُّرورَ:

شبَّهَ ابنُ الرَّومي جاريةً -يُقالُ لها (مَظلومةٌ)[4]- بالغُصنِ لدِقَّةِ خَصرِها، وباللُّؤلؤِ الرَّطْبِ لِنُعومتِها وبياضِ وجْهِهَا النَّاصِعِ لَونُهُ الذي تَسُرُّ بِهِ النَّاظرينَ، فَهِيَ تُبْهِجُ القُلُوبَ بحُسْنِ منْظَرِها، وقدْ جَعَلَ من اليومِ الذي رَأى فيه تلكَ الجاريةَ إنسانًا مُحسَنًا إليْهِ، أمَّا المُحْسِنُ (الجارية) فَليسَ عليهِ من إثمِ العِتَابِ شَيءٌ. يقول:

السريع

يا غُصُنًا من لُؤلُؤٍ رَطْبِ فيه سرورُ العينِ والقلـــبِ

أحسنَ بي يومٌ أرانيــكُمُ وما على المُحْسِنِ مِن عَتبِ[5]

د- الصَّوتُ الجميلُ يجلبُ السُّرورَ:

يمدحُ أبو بكرٍ الصُّولِي أميرهُ الرّاضي باللهِ ويُثني عليهِ شاعرًا، فشاعرانِ مَمدوحٌ ومَادح وأميرٌ وراضِخ، فيَصِفُهُ بِالحَاذقِ في القَولِ، فَكَلِماتُهُ كاللُّؤلُؤِ المَنثورِ، وفي كلامِهِ الموزونِ شِفاءٌ لِلجِسْمِ ودواءٌ لهُ، وأفاضَ في القلبِ سُرورًا غَامِرًا، بلْ إنَّ الشَّاعِرَ قدْ جَعلَ السُّرورَ مَحشوًّا في القلبِ، لأنّ الحَشوَ يَأتِي على القلبِ كُلِّهِ فَلا يَترِكُ نَزْرًا إلَّا ودَخَلَهُ. ليُنشِدَ مَادِحًا:

---

[1] فُلَقَ: العَجب العجيب، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (فَلَق) .

[2] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ١٤٥/٣ .

[3] التَّوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، ١٠٤/١ .

[4] هي جَاريةٌ مُغنيةٌ، **ديوان ابن الرومي، هامش التحقيق**، ١٦١/١ .

[5] **ديوانه**، ١٦١/١

مجزوء الرمل

حَسَنُ اللَّفْظُ يُحاكِي رَصْفُهُ الـدُّرَّ النَّثِـيرَا

مَلأَ الجِسْمَ شِفَــاءً وحَشَا الْقَلْبَ سُرُورا[1]

٦- الحُزنُ والهَمُّ:

أ- القلبُ الأسيرُ:

لمّا أُسِرَ ابن القاضي (أبو الحُصَين)[2] أرْسَلَ إليْهِ أبو فراسٍ الحَمْدانيُّ رسالةً يُعزّيهِ فيها، ويَبكي حالَتَهُ في الأسرِ، مُوصِيًا رسولًا استَأْثرهُ لِنفسِهِ، لِيُبلِّغَ القاضِي سَلامَهُ، وأنَّ قلبَه حَزينٌ لِحزنِ القاضِي ثُمّ يَذكُرُ الشَّاعِرُ مَوضوعَ الأسْرِ مُواسَاةً لِنفسه وهُوَ في الأسرِ، لأنَّه كَحَالِ ابن القاضي، رهينُ المَصائِب والحروبِ، جاعلًا من الحادثاتِ وحْشًا يَقبضُ عَليهِ بِكلتا يديهِ فيُلزمُه السُّكونَ المُطلقَ مُستعيرًا تِلكَ الأياديَ لتلكُمُ الحادثاتِ، فكتَبَ الحَمدانِيُّ شِعرًا بَلَّغَهُ إليهِ مع رَسولِهِ:

الطويل

تَحَمَّلْ إلى القاضي سَلامِي وَقُلْ لَهُ أَلا إنَّ قَلْبِي، مُذْ حَزِنْتَ، حَزينُ

وَإنَّ فُــؤادِي لِإفْتِقَــادِ أَسيــرِهِ أَسيرٌ، بِأَيدي الحادِثاتِ، رَهِيـنُ[3]

ب- رِثاءُ مَسْرَجَةٍ:

ومنْ أغربِ المَراثِي مَا حدَّث بِهِ صَاحِبُ الأَغَانِي، "كان أَبو الشِّبلِ البُرْجُمِي[4] قدْ اشتَرى كَبشًا للأضْحى، فَجَعل يَعلِفه ويُسمِّنُه، فأفلتَ يومًا على قنديلٍ لهُ كانَ يُسْرِجه بين يديهِ، وسِراجٍ وقارورةٍ

---

[1] الصُّولي، **كتاب الأوراق، قسم أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، ٦١. اللّفظُ: وردت هكذا مرفوعة في الكتابِ وحقُّها الكسرُ . ولرُبَّما كانَ الأنسب (حَسُنَ اللَّفظُ) .

[2] هو أبو حُصين القاضي، علي بن عبد الملك الرقى، من قضاة سيف الدولة، كان ظالما، إذا مات أحدٌ أخذ تَركتهُ لسيف الدولة، ينظر: ابن العديم، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، ١٣١،١١٢/١. **ديوان ابن نباته السعدي، هامش التّحقيق**، ٥٧٠/٢ .

[3] **ديوانه، تتمة الديوان**، جزء٢، قسم ٣٩٦/٣ .

[4] هو أبو الشِّبلِ، اسمه عاصم بن وهْب من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتأدب في البصرة . الأصفهاني، **الأغاني**، ١٢٤/١٤. وينظر أخباره في **طبقات الشعراء** لابن المعتز، ٣٧٩-٣٨٠ . وقد أورد الزركلي أنَّ اسمه عُصْم بن وهْب، وكانت وفاته في حدود سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، ينظر، الزركلي، **الأعلام**، ٢٣٤/٤.

للزَّيتِ، فنَطحَهُ فكَسرهُ، وانْصبَّ الزيتُ على ثِيابهِ وكُتُبهِ وفِراشِهِ، فلمَّا عاينَ ذلكَ، ذَبَحَ الكَبشَ قبلَ الأَضْحَى، وقالَ يرثِي سِراجَهُ"[1]:

المنسرح

قَلبِـي حَزينٌ عَلَيك إذْ بَخُلَتْ عَلَيكِ بِالدَّمعِ عَيــنُ تَنميــرِ[2]

إنْ كانَ أَودى بِكِ الزَمانُ فَقَدْ أَبقَيتِ مِنكِ الحَديثَ في الدُّورِ[3]

"واشْتُهِرَ أبو الشَّبلِ عاصِمُ البُرجُمِيُّ بِمَرَاثِيهِ الطّريفَةِ لِعَدَدٍ مِن السِّلَعِ، إذْ رَثى ثُلُثَ قِرْطَاسٍ وَرَثَى مَسْرَجَةً، وَكَانَت السُّخْرِيَةُ سَبَبًا وراء الكثيرِ من مَراثِي السِّلَعِ والمَرَاثِي الأُخْرَى، فالسُّخْرِيَةُ تَبدو واضِحَةً وراء مَراثي أبي الشِّبلِ البُرْجُميِّ"[4].

ج- الحُزْنُ على النَّفس:

وهَذَا أبِو العَتاهيةِ يذكُرُ التَّوبةِ والوَرعِ، حِينَ يَدعو نفسَهُ ونُفوسَ العَالمينَ إلى الابتعادِ عن الكبرياءِ، ونُكرانِ النّعم كَحالِ المُكتنزينَ الذينَ لا يَشبعونَ مِن مَلذَّاتِ الحَيَاةِ الدُّنيا فيدعُو نَفْسَهُ والخَلْقَ أَجْمَعَ إلى القلقِ والهمِّ من حسابِ اليوم الآخِرِ، مِنْ خِلال مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ ودَوامِ بقاء القلبِ حزينًا، لأنَّ قاعدتَهُ الحَصينَةَ هي: ابقَ مُحاسِبًا لِذاتك في كلِّ صغيرة وكبيرة تنجُ من العقاب. فيَعِظُنا ونَفسَهُ. يقول:

مجزوء الكامل

يا نَفسِ! تُوبيْ مِنْ مُؤا خـاةِ الأَخِ البَطِـرِ البَطينِ

وَتَعَلَّقِـي بِمَعــالِقِ الــ مَكروبِ ذي القَلبِ الحَزينِ

وَتَفَكَّري في المَوتِ أَحْـ يانًا لَعَلَّكِ أَن تَلينـــــــي[5]

---

[1] الأصفهاني، **الأغاني**، ١٣١/١٤ .

[2] تنمير: نَمَّر وجهَهُ، أي غيَّره وعَبَّسَهُ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نمر) .

[3] الأصفهاني، **الأغاني**، ١٣٢/١٤ .

[4] السّوداني، عبد الله عبد الرحيم، **رثاء غير الإنسان في الشعر العربي**، ٢٥٤ .

[5] **ديوانه**، ٤٤٣ .

د- الكريمُ تزول بِرِفقَتِهِ الهُمومُ:

يَهجو المُتنبي كافورًا[1]، ويتعَجَّبُ مُستَنْكِرًا: "إنّ الدُّنيا قدْ خَلَتْ من الكرامِ! فما فيها كريمٌ يأنسُ بهِ فَاضلٌ، فيزولُ همُّهُ بِهِ، وجميعُ الأمكنةِ قدْ عمَّها اللّؤمُ والجورُ، فليسَ في الدُّنيا مكانٌ أهلُهُ يحفَظونَ الجارَ، فَيُسرُّ بجوارِهِمْ جارُهُم"[2].

ويَبدو الهَمُّ عَميقًا في قلبِ المُتنبي بَعدما يَئسَ من البَشرِ، مُستنكرًا عَليهم وُجود شَخصٍ يَحملُ همَّهُ إليْهِ، وفي رَدِّ صَدرِ البيتِ الأوّل عَلى صدرِ البيت الثاني تأكيدٌ على استنكارِهِ وتَعجُّبِهِ وإلحاحِهِ على الدُّنيا بِشُخوصِها التي خلَتْ من الكِرامِ، وبقيَت من صدرِ البيت الأوّلِ لفظةُ (كريم) ومنَ البيتِ الثّاني لفظَةُ (مكان)، وتلكَ لَيستْ مُصادفةً من المُتنبي، بل يُريدُ بِأنّ الكريمَ لا يحدُّهُ مكانٌ، وأنَّ المكانَ ما هوَ إلَّا حدٌّ جغرافِيٌّ تَضاريسيٌّ لا يحُدُّ حدودَ الكريمِ وعطاءَهُ، فيقولُ:

الوافر

أَمَا في هَذِهِ الدُّنيا كَريمُ تَزولُ بِهِ عَنِ القَلْبِ الهُمومُ

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنيا مَكانٌ يُسَرُّ بِأَهلِهِ الجارُ المُقيـــمُ[3]

هـ- شِدّةُ الهُمومِ والأحْزانِ:

أيُّ نوعٍ من الأحزانِ هذا الذي خالَطَ قلبَ الشَّاعرِ ابن دُريدٍ؟! حتَّى غَدتْ صُلبُ الحجارةِ لا تُطيق حَملهُ، فتتكسَّرُ من هَولِهِ، فلوْ أنَّ بَعضَ هُمومِهِ لامَستِ الحِجارةَ لتفلّقَت تلكَ الحِجارةُ فُتاتًا وضَربَ مثلًا لحَالَتِهِ بِالغُصنِ الذَّاوي في كِنايةٍ عن ذَهابِ شَبابِهِ، فحالُهُ كَحالِ من تبلغُ رُوحُهُ التَّراقِيَ عندَ النِّزاعِ الأخيرِ، لحزنِ قلبهِ ويَأْسِهِ الذي مَهما اجتَهدَ في إخفائِهِ ظَهرَ بدموعِ قلبٍ تُخفي تَحتَهَا دُموعَ عينٍ، صَبرًا على الخطوب وتجلُّدًا.

---

[1] هو كافور الأخشيدي، كافور أبو المسك الخادم الأسود الحبشي الأستاذ الأخشيدي، اشتراه سيده من بعض رؤساء مصر، وكان أسود البشرة، تولّى قيادة جيشٍ لسيف الدَّولة، وتولّى مملكة مصر والشّام. كان ذكيًّا فصيحًا، ودُعي له على المنابر، وكانت وفاته سنة ست وخمسين وثلاثمئة، وعاش بضعًا وستين سنة، ودُفن بالقُرافة الصُّغرى، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٣١/٢٤ .

[2] **ديوان المتنبي، هامش التّعليق**، ١٥١/٤ .

[3] **ديوانه**، ١٥١/٤ .

لم تعتمدْ مَقصورةُ ابنِ دُرَيْدٍ عَلى مُجرَّدِ الفَخْرِ والاعتزازِ والعِظَةِ والنَّصيحةِ، بلْ كَانَت نِتاجَ فِكرٍ قائمٍ على التَّجربة العَميقةِ، وأرادَ بِها كَسْبَ التَّعاطُفِ من خلالِ رَسْمِ مَلامِحِ المِحنِ التِي تَعرَّضَ لَهَا، والمآسي التي احْتَمَلَها قلبُهُ، وازدادَتْ حِدَّتُها في قلبِهِ بِالهَجرِ والنَّوَى[1]، فيقولُ بأسى وحُرْقَةٍ:

الرجز

لَو لابَسَ الصَّخرَ الأَصَمَّ بَعضُ ما ... يَلقاهُ قَلبي فَضَّ أَصلادَ الصَّفا[2]

إِذا ذَوى الغُصنُ الرَّطيبُ فَاعلَمَنْ ... أَنَّ قُصَاراهُ نَفادٌ[3] وَتَوَى[4]

شَجِيْتُ لا بَل أَجرَضَتْني[5] غُصَّةٌ ... عَنودُها[6] أَقْتَلُ لي مِنَ الشَّجى

إِنْ يَحْمِ عَن عَيني البُكا تَجَلُّدِيْ ... فَالقَلبُ مَوقوفٌ عَلى سُبْلِ البُكا[7]

٧- الرِّقَةُ والعَطْفُ:

أ- حقوق التّربية:

وهذهِ الحقوقُ هي حقوقُ التَّربيةِ، تُرقِّقُ قلبَ الكبيرِ(كافور الأخشيدي) على الصّغيرِ(مولاهُ) وتَجعلُ الصَّغيرَ حافظًا وُدَّ الكبيرِ وفَضْلَهُ عليهِ، ولو كانتْ تِلكُم القلوبُ من الحِجارةِ[8]، فيقولُ المُتَنبي مادِحًا كافورًا:

الخفيف

وَحُقوقٌ تُرَقِّقُ القَلْبَ لِلقَلـ ... ـبِ وَلَو ضُمِّنَت قُلوبَ الجَمادِ[9]

---

[1] ينظر: درويش، أحمد، **ابن دريد الأزدي رائد فن القصّة العربيّة**، ٩٣ .

[2] الصَّفا: العريض من الحِجارة الأملس، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صفا) .

[3] نَفِدَ الشيءُ نَفادًا: أي فَنِيَ، الفراهيدي، **العين**، مادة (نفد) .

[4] التَّوى: الهلاك، أو هلاك المال، ابن منظور، **السان العرب**، مادة (توا) .

[5] جريضًا: أي مجهودًا، يكاد يَقْضي، **نفسه**، مادة (جَرِض) .

[6] العَنود: المعاندة، الفراهيدي، **العين**، مادة (عند) .

[7] الصَّاوي، عبد الله، **شرح مقصورة ابن دريد**، ٢٣-٢٤. المرزوقي، **الأمالي**، ٢٨٨ .

[8] ينظر: **ديوان المتنبي، هامش التّعليق**، ٣٦/٢ .

[9] **ديوانه**، ٣٦/٢ .

ب- العَطْفُ لا يأتي منَ عِتابٍ:

يجعلُ العبَّاسُ بنُ الأحنَفِ مِن العِتابِ المتكرّرِ سببًا للكراهيةِ وإيذاءً لِلمُحبِّ، وفسادًا لِلمودَّة، فإذا كانَتِ القلوبُ لا تُبطنُ العَطف لمَنْ تُحِبُّ، فلن يُرقِّق العِتابُ القلوبَ على من تُحبّ، إذْ لا دَاعيَ للعِتابِ، لأنَّهُ مهمَا عاتَبَ المُحِبُّ حبيبَهُ فَلن يُرَقِّقَ قلبَهُ عليهِ، بلْ سيَزيدُ الكراهيةَ. يقولُ:

الخفيف

إنَّ بَعْضَ العِتابِ يَدْعُو إلى العَتْـ بِ وَيُؤذي بِهِ المُحِبُّ الحَبيبا

وَإذا ما القُلوبُ لَم تُضمِرِ العَطْـ فَ فَلَن يَعطِفَ العِتابُ القُلوبا[1]

ج- البكاءُ على أسيرٍ:

يَبكِي البُحتريُّ وَصِيفًا[2] لمَّا وقَعَ في الأسرِ، فأعْداؤُهُ الذينَ حَاكُوا لَهُ مَكيدَةً لا يعرفونَ الرَّحمة والرَّأفة، لأنّهم لم يَحْفَظوا له عَهدًا ولم يُراعوا فيهِ إلًّا ولا ذِمَّةً، وقلبُ مولاهُ لا يلين ولا يرحمُ، إذْ سامَهُ بأنواعِ العذابِ، ولمْ يتثبَّتْ مِمَّا نُقِلَ إليهِ عَنْهُ، فأينَ الرَّحمة ولِين القلبِ، أين؟ فَيرثي حالَتَهُ قائلًا:

الطويل

أَسيرٌ بِأَرضِ الشَّامِ ما حَفِظُوا لَهُ ذِمامَ الهَوى فيهِ وَلا حُرْمَةَ الحُبِّ

وَما كَانَ مَوْلاهُ وَقَد سَامَهُ الرَّدَى بِمُتَئِّـــدِ[3] البُقْيَا[4] وَلا لَيِّـــنِ القَلبِ[5]

"إنَّ عُنصُرَ الصَّداقَةِ كان حَاسِمًا في الرَّفْعِ مِنْ شأنِ كَثيرٍ من نَمَاذِجِ الرِّثاءِ عند البُحتري، شأنُهُ في ذَلِكَ شأنُ القَرَابَةِ وصِلَةِ الرَّحمِ والميولِ القويَّةِ، إذْ إنَّ تَوافُرَ بَعضٍ من تِلكَ العَناصِرِ في تَجرِبَةِ الرِّثاءِ؛ يَرْفَعُ من قِيمَتِها فَتُصْبِحُ تَجرِبَةً إنْسانيَّةً ذاتَ أعماقٍ شُعوريَّةٍ ذاتيَّةٍ"[6].

---

[1] **ديوانه**، ٤٨ .

[2] كانَ وصيف من أمراء الأتراك، من مماليك المعتصم وخدم من بعده عدَّة خلفاء حتى عصر المنتصر، وغزا في عهد المنتصر، وفتح حصنًا في بلاد الروم، قتله الجنود بشغب أحدثوه في عصر المعتزّ سنة ٢٥٣هـ لثلاث بقين من شوال. ينظر: **ديوان البحتري، هامش التحقيق**، ١٣٩/١. اسمه بُغا الشُّريفي، وكان في الأصل مملوكًا لشيخٍ من أهل قُم، وهو وصيف التركي الأمير غلام الإمام المتوكل استولى على المعتز وأخذ أمواله، فثارت عليه الفَراغِنَة والأشْرُوسَنيّة وطالبوه بالأرزاق، فلم يعطهم شيئًا فقتلوه في لحظتها، وقطعوا رأسه ووضعوه على رمحٍ سنة ٢٥٣هـ. ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٥٩/٢٧ .

[3] متئّد: من اتأدَ، تمهّل في الأمر، الزّمخشري، **أساس البلاغة**، مادة (مَهَل) .

[4] البُقيا: الإبقاء، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بقي) .

[5] **ديوانه**، ١٣٩/١ .

[6] اليظي، صالح حسن، **البحتري بين نُقَّاد عصره**، ١٦٥ .

٨- القسوة:

أ- قَلبٌ مِن حَجَرٍ:

يُعاني الرَّاضي باللهِ من صدِّ المحبوبةِ وهجْرِها، فكأنَّ فيهِ المَنيَّةَ التي تَخلعُ القلوبَ، ويجعلُ من قَلبِها في عنادِهِ وصدِّهِ قسوَةً أشدَّ من قَسوَةِ الحِجَارةِ، فكيفَ سَيُميلُ قلبَها تجاهَ حُبِّهِ بالشَّكوى لَهَا واللُّطفِ والرِّقَّةِ، وقلبُها حَجَرٌ من الأحْجَارِ، بل هو أقسى؟ وهذا شبيهٌ بقولِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[1]. يقولُ فيهَا:

البسيط

وَلَمْ يَزَلْ حُبُّها صَعْبًا عَلَى أَرَبِي فِيــهِ المَنِيَّــةُ إيرادًا بِلا صَـــــدَرِ

وكَيْفَ أَعْطِفُ بِالشَّكْوَى وَرِقَّتِها قَلْبًا أَشَدُّ لَدَى الشَّكْوَى مِنَ الْحَجَرِ[2]

ب- الصَّبرُ داءُ الأحِبَّةِ:

يصفُ العبَّاسُ بن الأحنَفِ قلبَهُ بِالقسوةِ إن استطاعَ الصَّبرَ على نَارِ الحُبِّ، وتَصبيرَ نَفسِهِ بالبُعدِ، لأنَّ الحُبَّ بدا ظاهِرًا يَسيرُ في قلبهِ ودِمائهِ، ويَستخدُم الجِنَاسَ التَّامَّ في قولِهِ: (يسيرُ)، فحبُّه يَمْشي في حَبيبِهِ المَاثِلِ أَمَامَهُ كَما تَجري الدِّماءُ في العُروقِ. فَهوَ إنْ لمْ يمُتْ من الهمومِ والحسَراتِ لِصدِّ حبيبِهِ عنْهُ، فسيظلُّ مُتحَسِّرًا طوال حياتِهِ على ما أذَاقَهُ الحبيبُ مِن الصَّدِّ. يقول:

الطويل

وَإِنِّي لَقَاسِي القَلبِ إِنْ كُنتُ صابِرًا وَحُبِّي غَدا فيمَنْ يَسيرُ يَسيرُ

فَإِنْ لَمْ أَمُتْ غَمًّـــا وَهَمًّا وَحَسرَةً فَلِي حَسَراتٌ بَعــدَهُ وَزَفِيـــرُ[3]

ج- مُجازاة المعروفِ بالمُنْكرِ:

يَعاتبُ الظَّاهريُّ صَديقَهُ الذي لا يُلقي لهُ بالًا، ولا يكترثُ لهُ حينَ يقفُ إلى جانبِهِ، بل يُجازِيهِ على إحسانهِ ذلكَ بِقسوةٍ بَدَتْ في قلبه وَأظْهَرَها جَفَاؤهُ، ويقولُ الشَّاعرُ لِصَديقِهِ: ليسَ بِأَخٍ صادقٍ لكَ

---

[1] البقرة، ٧٤ .

[2] الصولي، **كتاب الأوارق، قسم أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ١٧٥ .**

[3] **ديوانه**، ١٣٣-١٣٤ .

في مودَّتهُ من يُداريكَ وهُو يُكرِهُ قلبَهُ مُتصَنِّعًا حُبَّك، إذْ ليسَ يَستوي مَنْ يَمدُّ حبلَ الوِداد ويَبدؤه مع الذي يُقابلُ أخاهُ المَودَّة ظَاهِرةً ويُبْطِنُ لَهُ ضِدَّها، فأيَّةُ قَسوةٍ في القلب يَحملها الصَّديقُ بَعدَ كُلِّ ذَلِكُمُ الودِّ الذي يَلْقَاهُ؟! إذْ لا يَستوي أَصْحابُ الصَّنْعِ وأصْحابُ الطَّبْعِ، أَصْحابُ الطَّبعِ همُ الفائِزونِ. يقولُ الظَّاهريُّ مُعاتِبًا:

الوافر

جُعلتُ فِداكَ قَدْ طَالَ انْعِطَافِي إلَيْكَ وَأَنْتَ قَاسِي القَلْبِ جَافِي

وَلَيْسَ أَخَاكَ مَنْ يَرْعَاكَ كُرْهًا وَلا البَادِي بِوَصْلِكَ كَالمُكَافِي[1]

د- مُجازاةُ الحُبِّ باللُّؤمِ:

يَستنكرُ العَبَّاسُ بنُ الأحنَفِ على مَحْبوبَتِهِ القَسوةَ وغِلظَةَ القلبِ، فهِي نَابعةٌ من صِفة النَّكد الملازمةِ لها، وتتَمثَّلُ القَسوة في أمورٍ ثلاثةٍ: إنْ هُوَ هانَ وسَهُل انقياده عزَّت عَليها نَفسها فَتكبَّرتْ وإنْ وصَلَها صَدَّتْهُ، وإنْ هُو غَضَّ الطَّرْفَ ولَمْ يهتَمَّ لَها، لمْ تَلْتَفِتْ إليهِ ولمْ تَهتَمَّ أيضًا، فكأنَّ شيئًا لمْ يَكُنْ، لِيُخَاطِبَها مُستَنكرًا:

البسيط

مـا كانَ شَأنِيَ لَـولا أَنَّهُ نَكَـــــدٌ وَشَأنُ كُلِّ غَليـــــظِ القَلبِ وَالكَبِدِ

إنْ هُنتُ عَزَّ وَإنْ واصَلتُ صَدَّ وَإنْ أَغضَيْتُ لَم يَلتَفِتْ نَحوِي وَلمَ يَكَدِ[2]

٩- الحنين:

أ- الحَنينُ إلى الدِّيارِ:

تبرزُ عاطفةُ ابن الرُّوميِّ في الحنينِ إلى بَغداد، فقلبُهُ تَعِبٌ يتعطَّشُ إلى رُؤيتِها، وكأنَّهُ قدْ فُجِعَ بعزيزٍ، إذْ يترُكها مُتّجِهًا لآمد، لكنَّ جَسَدَهُ هوَ الذي رَحَلَ عنْها، أمَّا قَلبُهُ فَقاصِدٌ إليها، مُعلَّقٌ ببغدادَ لا يُفارقُهَا، وقدْ جَعَلَ الشَّاعرُ لِقلبِهِ زِمَامَ القيادِ، لِيختارَ الوِجهةَ فيقْصِدَ إليها. يقول:

---

[1] **الزهرة**، ١٩٣/١ .

[2] **ديوانه**، ٩٥ .

الطويل

أحنُّ إلى بغدادَ وَالبِيْدُ دونَها حَنِينَ عَمِيدِ القَلْبِ حَرَّانَ فَاقِدِ

وَأَتْرُكُهَا قَصْدًا لآمِـــدَ طَائِعًا وَقَلْبِي إليها بالهَوى جِدُّ قاصِدِ[1]

ب- الحنينُ إلى الحبيب:

يَتقلَّبُ قَلبُ الوأواءِ الدِّمشقيِّ حَنينًا، فَلا يستَقرُّ على حالٍ واحِدَةٍ، لِيظلَّ يخفقُ فَتتقطَّعُ أحشَاؤهُ من ألمِ البُعد، إذْ كيفَ يَكونُ الصَّبرُ على الحُبِّ، بلَا حبيبَةٍ مُعينَةً لهُ، تَشفي هُمومَ حَنينِهِ واشتياقَهُ؟ فَبِدونِها غدَتْ حَالتُه مُزريةً، وليستْ حالُ أحدٍ كَحالتِهِ من السُّوءِ والأسْقامِ، ويُرجع الشَّاعِرُ- في نهاية المطافِ- عِلَّةَ القَلبِ إلى العيونِ، فَلَو أنَّهُ لَمْ يرَ لَما عَشِقَ قَلبُه ثمَّ حَنَّ. ويقول في هذا المعنى:

مجزوء الكامل

قَلْبٌ يُقَلِّبُـهُ الحَنِيـــــنُ وَحَشىً يُقَطِّعُها الأَنِيـنُ

أَيْنَ التَّصَبُّرُ في الهَـوى أَيْنَ المُساعِدُ وَالمُعيـنُ

مَا كانَ مِثْلِي في الـغَرامِ وَلا السَّقَامِ وَلا يَكُـــونُ

تَلْقَى القُلوبُ مِنَ الهَوى حَتْفًا بِما جَنَتِ العُيُونُ[2]

ج- الحنينُ إلى عبدٍ:

ومنْ أغربِ الحنينِ، حَنينُ السَّيِّد إلى عَبْدِهِ، وذَلكَ مَا أَوردَهُ أبو فِراسٍ الحَمْدانيُّ بِأنّ قلبَهُ يَحنُّ إلى عبدِهِ ويَعطفُ عليهِ، ومَا أخطأ عبدُهُ إلَّا وَاعتذرَ أبو فراسٍ إليهِ، فالقلبُ رَهينةٌ عِندهُ وحَبيسٌ لدِيهِ، ويَبدو بأنَّ عَبدَهُ هذا يحملُ منْهُ وصِيَّةً لأهْلِهِ، لِذلكَ جَعَلَ الطَّليقَ أوفَى حَظًّا مِن الأسيرِ، وتلكَ حالَتُهُ، فَعَبدهُ لا تُقيِّدُه جُدرانُ السِّجنِ، وهُوَ الحُرُّ عبْدٌ داخِلَ جُدْرانِهِ. أمَّا جَمالُ كلماتِهِ في تشَابُهِهَا حين يقولُ: (يَحنُّ ويَحنو وجنَى وتجنَّى وقلبي والقَلْب)، ومعاني كُلٌّ منها مُتقاربةٌ واحدةٌ، وقدْ ذكرَها الشَّاعرُ تأكيدًا لِمَا يُريدُ تأكِيدَهُ. فيقول مُتَشوِّقًا:

---

[1] **ديوانه**، ٥١١/١ .

[2] **ديوانه**، ٢٣٩ .

المجتث

قَلْبِي يَـحِنُّ إِلَيـــهِ نَعَمْ، وَيَحْنُو عَلَيْـهِ

وَمَا جَنَى أَو تَجَنَّى إِلّا اِعْتَذَرْتُ إِلَيـــهِ

فَكَيفَ أَمْلِكُ قَلبـــي وَالقَلبُ رَهْنٌ لَدَيــهِ؟

وَكَيْفَ أَدْعُوهُ عَبْدِي وَعُهْدَتي فِي يَدَيْـهِ؟[1]

د- الحنينُ إلى الأموات:

وفي وصْفِ تَعامِي الإنسانِ عن موتِهِ ونِسيانِ آخِرتِهِ، يَتعجَّبُ أبو العَتَاهِيَةِ مِن حَالِ المؤمنينَ الذينَ يُوقنونَ بِأنَّ الموتَ حَقٌّ، فيتمتَّعونَ بدُنياهُمْ، ويَنسونَ الموتَ ويَضحكونَ ويَلتهونَ، وقدْ وافقَ قولَ الشّاعرِ قولُ الله تعالى:﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾[2]، إذْ يَحِنُّ الشَّاعرُ إلى أهلِ القبورِ، ويَبكيهم ويَرثي نفْسَهُ، لأنّهُ سيصيرُ إلى ما صَارُوا إليهِ، فيقول في ذلك:

المنسرح

مَا أَعجَبَ المَوتَ ثُمَّ أَعجَبُ مِنْـ ـهُ مُؤمِنٌ موقِنٌ بِهِ ضَحِكا

حَقٌّ لِأَهلِ القُبــورِ مِن ثِقَتـــي أَنْ حَنَّ قَلبي إِلَيهِمُ وَبَكـى[3]

١٠- الهُجرانُ:

أ- نارُ الهَجْرِ:

ليسَ خطْبٌ أعظمُ وقْعًا في نُفوسِ المُحبينَ من الهَجْرِ أو البُعدِ، وتلكَ الحالُ التي أصبحَت تَحرقُ قلبَ الشَّاعرِ، فقلبُهُ ما بينَ الهُجران والحُبِّ مُعلَّقٌ، وفِي الهَجْرِ قَلبٌ يشتَعلُ، وفِكرٌ يعتملُ وداءٌ بلا دواءٍ واقتِسامٌ للأَعضاء، ولكنَّه على ذلكَ داءٌ أقلُّ قسوةً إذا ما قُورِنَ بِداءِ الحُبِّ الذي هو أدهى وأمرُّ. ولننظُرْ إلى استخدام ابن الزَّيَّاتِ لألفاظِ القرآن الكريمِ في وصفِهِ الهَجْرَ، حينَ يقولُ: (أَدْهَى

---

[1] **ديوانه، تتمة الديوان**، جزء٢، قسم٣/٤٣١ .

[2] النجم، ٥٩-٦٠

[3] **ديوانه**، ٣٠٢

وأمرُّ)، وقولِ الله تعالى:﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، فكأنَّ حالةَ هجرِ حَبيبهِ لَهُ عذابُ الدُّنيا، وحالةَ حبِّ حَبيبِهِ لهُ عذابُ الآخرة، لذلكَ ذَكَرَ النَّارَ وحالةَ تأجُّجِها وتَسَعُّرِها، وَقَرَنَهَا بِنَارِ الحُبِّ حينَ كَوَتْ صميمَ قلبِهِ. فقالَ:

الرمل

إنَّني أَصبَحتُ في حُبِّكُـــمُ بَينَ حالَينِ كِلا الحالَينِ شَرْ

بَينَ هجرانٍ وَبُعــدٍ أَجَّجَــا في بَناتِ القَلبِ نارًا تَستَعِـرْ

إنَّ في الهَجرِ لَداءً مُعضَلًا وَلَــداءُ الحُـبِّ أَدهــى وَأَمَـر[2]

ب- قلبٌ ليسَ لكَ، فَدَعْهُ:

يتحدَّثُ ابن الرُّوميِّ عن ظَاهِرةٍ نَفسيَّةٍ تمُجُّ القلبَ، يكونُ فِيها الحَبيبُ رَمِيَّةً لِكُلِّ عابرٍ، ليُجرِّبَ شخصًا مُختلِفًا في كُلِّ مَرَّةٍ، فيكونُ سريعَ الحُبِّ، سريعَ الكُرْهِ، لذلك يَجعلُك تَمَلُّ وتَضجرُ، وبِذلكَ يَهجُرهُ من حَولَهُ، فذلكَ قلبٌ ليس لكَ فيهِ شيءٌ، فَدَعْهُ. ويُشبِّه الشَّاعِرُ عِتابَهُ لِلْمَلُولِ بالخَطِّ على صَفْحِ الماءِ فإنْ ثبتَ المَخطوطُ على صَفيحةِ المَاءِ ثبتَ حُبُّ المَلول لِحبيبه، فَسُرعةُ ذَهاب الخطِّ كسرعةِ ذهابِ الحُبِّ عِندَ المَلُولِ، وبِذلكَ وازنَ الشَّاعرُ بينَ الماءِ في تقلُّبِهِ وبينَ حالِ المُحِبِّ في هُجْرانِهِ. ليقولَ لنَا حَذارِ حَذارِ مِنْهُ:

البسيط

مَا لِلْمَلولِ[3] وفاءٌ في مَودَّتِهِ قَلْبُ المَلولِ إلى هَجْرٍ وإقصــاءِ

كأنَّني كلمَّا أصبحتُ أَعتِبُــهُ أَخُطُّ حرفًا على صَفْحٍ مِن المَاءِ[4]

ج- الصَّبرُ على الهَجْرِ:

لَيسَ يَملكُ العبَّاس بن الأحنَفِ إلَّا الصَّبرَ والدُّعاءَ لِتخفيفِ حالةِ بؤسِهِ، وهوَ صَبْرٌ على مَنْ هجَرَهُ، فَيُخاطِبُ قلبَهُ أَنْ يَدعَ التَّطيُّرَ، لأنَّهُ ليسَ إلَّا حالةً من الأساطير والأوهامِ، فَقَدْ تَرى قلوبًا مُختلِفةً تَنعَمُ بطيْبِ العيشِ، وقدْ جرَّب الشَّاعرُ ذلكَ، فَلا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خبيرٍ:

---

[1] القمر، ٤٦ .

[2] **ديوانه**، ٢١٨ .

[3] المَلول: هو مَذَّاقٌ يمذقُ الودّ، أي لا يُخْلِصُهُ، ابن عبَّاد، **المحيط في اللغة**، مادة (مَذَق) .

[4] **ديوانه**، ٧٥/١ .

الكامل

وَلَقَد أَقولُ–وَشَفَّ قَلبي هَجْرُهُ– يا قَلبُ صَبرًا لِلمَليكِ القادِرِ

وَدَعِ التَطَيُّرَ كَم وَكَم مُتَطَيِّرٍ يَجري تَطَيُّرُهُ بِأَيمَنِ طائِرِ

وَلَكَم نَرى قَلبَينِ مُختلِفَين مِن نَفسَينِ قَد نَعَما بِعَيشٍ ناضِرِ

إِنّي بِخُبْرٍ قُلتُ ذاكَ وَلَن تَرى أَدْرى بِما قَد قالَهُ مِن خابِرِ[1]

١١– الحقد والضَّغينة:

أ– الحِقْدُ الدَّفينُ:

يمدحُ الشاعرُ ابنُ عبَّادٍ[2] عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ، في قَصيدةٍ تَخلو حُروفُهَا من حرفِ السِّين فعليٌّ ﷺ يُطاولُ السَّماءَ وغيْرُهُ من الحاقدين لم يتقدَّم قيدَ أُنْمُلةٍ، ومَا جَحدَ الجَاحِدونَ أفعَالَهُ الحَميدةَ الخالدةَ إلَّا عنْ أحقادٍ بالقُلوبِ دَفينةٍ تَقادمَ عَهْدُها، ونَمَّتْ عن الثأرِ مِنْ عَليٍّ. قالَ:

مجزوء الكامل

نَالَ الفَراقِدَ وَالذي قَد قَدَّموهُ بَعْدُ راقِدْ

وَاللهِ ما جَحدوهُ عن حَقٍّ عَلى الأَيّامِ خالِدْ

إِلَّا لِثَارَاتٍ تَقَا دَمَ عَهدُها في قَلبِ حاقِدْ[3]

ب– غُلَّة الظُّلمِ:

ويظهرُ فنُّ التَّضمينِ الذي يُحدِّدُ الموضوعَ المركزيَّ، ألا وَهوَ الظُّلم، في علاقةٍ بينَ أبي تَمَّامٍ ووَالي بغدادَ (إسحاقَ بن إبراهيمَ بن مُصعبٍ)[4] من ناحيةٍ، وخُصومِهِ المعارضينَ الحاقدينَ من ناحيةٍ

---

[1] **ديوانه**، ١٤٣ .

[2] هو إسماعيل بن عبّاد بن العبّاس بن عبّاد، الوزير المُلقَّب بالصاحب كافي الكُفاة، أبو القاسم، وهو من الطالقان، وهي ولاية بين قَزوين وأبْهر، وكان وزيرًا لمؤيّد الدولة وفخْر الدولة مدة ثماني عشرة سنة وشهرًا، وسُمي الصّاحب لأنّه صحب مؤيّد الدولة، كانت وفاته سنة ٣٨٥هـ، وولادته اقترنت بالسنة التي مات فيها أبوه سنة ٣٢٤هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٧٦/٩–٧٧ .

[3] **ديوانه**، ٩٥ .

[4] هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن زريق بن أسعد بن زاذان الخُزاعي، ابن عم طاهر بن الحسين، ولي الشرطة ببغداد من أيام المأمون إلى أيام المتوكّل، وكان جوادًا مُمدحًا، وكان صارمًا خبيرًا سائسًا حازمًا، وافر العقل جوادًا، له مشاركة في العلم. توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٥٨/٨ .

أُخرى، فَهُوَ السَّباقُ إلى المَكرُماتِ دائِمًا، لَكِنَّهُ لا يُجازى بحُسْنِ صَنيعِهِ، وهُمْ مُتأخِّرونَ عنهُ ويَحظونَ بِالمَكانةِ الأولى عند الوالي.

وقد ولَّد هذا التَّمييزُ الضِّدِّيُّ حِقْدًا وغُلَّة في قلبِهِ، حتَّى كادَ قلبُهُ يحترِقُ، لأنه أيْقنَ أنّ حقّه قَدْ ضاعَ، وإنَّه ظُلْمٌ منْ أشدِّ أنواعِ الظُّلمِ. أمَّا قَصَبُ السَّبْقِ فهو مُصطلحٌ يُقالُ لمَنْ يفوزُ بالمكانَةِ الأُولى ويَسبِقُ غيرَهُ، وأصْلُهُ أنَّهم كانوا ينصبونَ في حلبة السِّباقِ قصَبةً، فمنْ سبَق اقتَلَعها وأَخَذَها ليُعلَمَ أنَّهُ الفائزُ. فَقَالَ أبو تَمَّامٍ مُتَظَلِّمًا:

البسيط

إنّي وَإِنْ كَانَ قَومٌ مَا لَهُم سَبَبٌ إلّا قَضاءٌ كَفاهُم دُونِـيَ السَّبَبـا

لَمُضْمِرٌ غُلَّةً في القَلبِ يُضرِمُها أَنِّي سَبَقتُ وَتُـعطي غَيرِيَ القَصَبا[1]

وهذا بِشرُ بن المُعتمرِ[2]– شيخُ المعتزلةِ وإمَامُهم– يهجو كلَّ من عارضَ مَذهَبَهم، فَيُوجِّهُ هِجَاءَهُ اللَّاذعَ إلى أحدهِم فَيصِفُهُ إذْ يُولِّي الأدبارَ؛ وَكأنَّ الدَّبْرَ يلْسَعُه، ويَصِفهُ أيضًا بالحُمْقِ، وأنَّ قلبَهُ يَحملُ مِن الضَّغينةِ والحقدِ الشَّيءَ الكَثيرَ، لِيَحتالَ بِمكْرٍ ودَهاءٍ. قالَ واصِفًا يَهجو:

السريع

يُعْرِضُ إنْ سَالَمْتَهُ مُدْبِرًا كأنَّمَـا يَلْسَبُهُ[3] الدَّبْرُ

أَبْلَـهُ خِبٌّ ضَـغِنٌ قَلْبُـهُ لَـهُ احْتِيالٌ وله مَكْرُ[4]

ج– حِقْدُ النِّساءِ:

ونَرى المُتَنبي يَصفُ مِزاجيَّة النِساءِ وحَالَتَهَا غَيرَ الوَسَطِيَّةَ في سُخطِها ورِضَاها، وتَبدُّلِ مِزاجيَّتِها وانقلابِ حَالَتِها، وكيفَ لا يَكونُ ذَلِكَ، وهوَ مَعهودٌ عَنْها؟ "إنَّها مُبالِغَةٌ في كِلتَا حَالَتَيهَا مِن الحِقْد والرِّضا، والذي يَهدي غَيرَهُ ربَّما يَضِلُّ بهنَّ، ويَخفى عليه الرُّشد حتَّى يُبتَلى بِهنَّ"[5].

---

[1] **ديوانه**، ٣٨١/٢ .

[2] هو المعتزلي، بِشْرُ بن المُعتَمِرِ البصري، وكنيته أبو سهلٍ، وكان أبرص، وكان راوية وشاعرًا ونسّابة، له أشعارٌ كثيرةٌ في الاحتجاج بالدّين، كان من شيوخ المُعتزلة وكِبارها، وإليه تُنسبُ الطائفة البِشْريّة، وكانت وفاته سنة ٢١٠هـ. ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات** ٩٦/١٠–٩٧ .

[3] يلسِبُه ويلسَبُهُ: من اللَّسْب وهو اللّسع واللّدغ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لَسَب) .

[4] الجاحظ، **الحيوان**، ٢٩٠/٦ .

[5] **ديوان المتنبي، هامش التَّعليق**، ٤/٢ .

وبذلكَ القول فإنّ صِفاتِ النِّساءِ مُتجدّدَةٌ لا تَثْبُتُ على حالٍ واحدةٍ، فإنْ أحبَّتْ لمْ ينافِسها أحدٌ في تِلكُم المرتبَةِ، وإنْ هي سَخَطَتْ وحقدتْ كانتْ أخْبثَ وألأَمَ منْ يكونُ، فيقولُ المُتنبي:

الطويل

وَإِنْ حَقَدَتْ لَم يَبقَ في قَلبِها رِضًا وَإِن رَضِيَتْ لَم يَبقَ في قَلْبِها حِقْــدُ

كَــذَلِكَ أَخْــلَاقُ النِّساءِ وَرُبَّمــا يَضِلُّ بِها الهَادي وَيَخْفَى بِها الرُّشدُ[1]

١٢- الرضا:

أ- القلبُ مُستَسلِمٌ للهِ:

ونَرى نوعًا آخرَ للرِّضَا، وهو الرِّضا المُطْلَقُ للهِ تَعالى، حيثُ يَهيمُ الحَلَّاجُ شوقًا إلى ربِّهِ ليجعلَ قلبَهُ حَبيسًا بِقُفلٍ، لكنَّ حبسَهُ مَحمودٌ قَدْ رَضِيَ بِه لِنفسِهِ، وقدْ فَنِي بِهذا الحُبِّ، وأصبَحَ مُضنىً مريضًا، وكلُّ تِلكَ المُضنياتِ حُلوةٌ ومحبوبةٌ إلى قلبِهِ، فقلبُهُ راضٍ أشَدَّ الرِّضَا. وفي تَشابُهِ عَجُز البيتين تبقى كلمتا (القفْل، ذكراك)، فيقولُ: مَادام القُفْلُ موجودًا، فإنّ ذِكركَ يا اللهُ مستمرٌّ ليسَ يَنْقَطِعُ، وهوَ قُفْلٌ دائمٌ يَحجبُهُ عن مَلذَّاتِ الدُّنيا ولنْ يزولَ. فَيُنشِدُ حُبًّا في اللهِ:

مجزوء الرجز

هَيَّمتَ قَلبي سَيِّدي وَالقَلبُ بِالقُفلِ رَضي

أَفَنَيتَنــي أَضنَيتَنــي قَلبي بِذِكــراكَ رَضي[2]

ب- قلبٌ راضٍ ولسانٌ سَاخِطٌ:

يجمعُ مسلمُ بن الوليدِ بين مُتناقضاتٍ مُختلفةٍ ليُبيِّن لنَا جوانبَ العَلاقة مَع منْ أحبَّ، فَحبيبُه يُبطِنُ الرِّضا ويُظْهِرُ السُّخْطَ، وقدْ صَنّفَ الرَّاغبُ الأصْفَهانيُّ هذين البيتينِ في بابِ: (المُعتقد رِضَا حَبيبهِ في البَاطِنِ وإنْ سَخِطَ في الظَّاهرِ)[3]، فَهو بِما يعتقده أنّ حَبيبه يُسِرُّ له المُودَّة، لكنَّهُ يُطيلُ

---

[1] **ديوانه**، ٤/٢ .

[2] **شرح الديوان، في باب أشعار نسبت إلى الحلّاج**، ٤٦٢. وقد أوردها محقق الدّيوان لمجهول في كتاب (قصة حسين الحلّاج وما جرى له مع فقهاء بغداد) ص٤، الأبيات (١-٣) .

[3] **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ٧٣/٣ .

الهَجْرَ، ويَنالُ مِن كَرامَتِهِ بِإذاقتِهِ الذُّلَّ، وإنَّما اسْتعارَ الشّاعرُ لَفظةَ (يمزجُ) لأنّه يشرب المودَّةَ مع الهوانِ، فكأنَّ المودّةَ عسلٌ والهَوانَ علقمٌ يَمزجهما لهُ حَبيبُهُ. يقولُ ابن الوليدِ:

الوافر

وَراضي القَلبِ غَضبان اللِّسانِ لَهُ خُلُقانِ ما يَتَشابَهـــانِ

يُسِرُّ مَوَدَّتي وَيُطيلُ هَجْـــري وَيَمزُجُ لي المَوَدَّةَ بِالـهَوانِ[1]

ج- القلبُ الطّامِحُ للعَلياءِ:

يَصفُ المُتَنبي قلبَ أبِي شجاعٍ[2]، فَقَلْبُهُ لَيسَ كأَيِّ قلبٍ آخَرَ، فهوَ قلبٌ عَظِيمٌ. لم يكنْ يبلغُ من المجدِ مَبلغًا إلَّا وطلبَ الأعلى منهُ، ولم يكُنْ يسعهُ موضِعٌ لكثرةِ جنودِهِ، وكذلكَ لمْ يِملكْ جِهةً من الأرضِ إلا وَطَلبَ غيرَها، لأنّها تضيقُ عن هِمَّتِهِ، ولا تَفي بطُموحِهِ، وكلُّ مبلغٍ كان يبلُغُهُ يَراهُ قليلًا عليهِ، لِتواضُعٍ وَقَرَ في قلبِهِ، وحينَ مَاتَ لمْ يُخلِّف أموالًا وكُنوزًا بخِلافِ ما توقَّعَ النَّاسُ، لأنّهُ كانَ كريمًا مِعْطاءً[3]، فيقولُ فيه:

الكامل

لَم يُرضِ قَلبَ أَبي شُجاعٍ مَبْلَغٌ قَبلَ المَماتِ وَلَم يَسَعْهُ مَوضِعُ

كُنّـــا نَظُـــنُّ دِيارَهُ مَملـــوءَةً ذَهَبًا فَمـــاتَ وَكُـــلُّ دارٍ (بَلْقَعُ[4])[5]

١٣- الصَّبر:

أ- حُبٌّ زائِفٌ:

مَا أجملَ حَديثَ الشَّافعيِّ، ومَا أظرفَ نَصيحَتَهُ! فإذا أحبَّ المَرءُ مُكرَهًا، مُتحمِّلا على نَفْسِهِ الحُبَّ، فليسَ ذلكُم بالحُبِّ، بل هِي المُجاملةُ الواهِنة التي تُسْقِطُها أوْلى المَواقِف والتَّجارِبِ، فذلكَ

---

[1] **شرح الديوان، ذيل الديوان**، ٣٤٢ .

[2] هو فَاتِك الرُّوميُّ (ت:٣٥٠هـ) المُلَقَّب بالمجنونِ لِشَجاعَته، ويُقالُ له فاتك الكبير، ممدوح المتنبي، أُخذ من بلاد الرُّوم صغيرًا، وتعلَّم الخطَّ في فلسطين، وكان من خَدَمةِ الإخشيدِ فأعتقه وأقطعه الفيوم وأعمالها، فأقام بها، وتَعرَّف بالمتنبي الشاعر، فأرسل إليه هديَّةً قيمتُها ألف دينار، وأتبعها بهدايا أُخرى فاتَّصلت المودَّة بينهما. الزِركلي، **الأعلام**، ١٢٦/٥. وإذا علمنا أن اسم فاتك ولقب أبي شجاعٍ قد أُطلِقَ على عزيز الدولة الفاطمي المتوفى سنة ٤١٣هـ، وأنَّ المتنبي توفي سنة ٣٥٤هـ فسيزول الشكُّ بين المرثيين، لاشتباه اللَّقبين .

[3] ينظر: **ديوان المتنبي، هامش التَّعليق**، ٢٧٠/٢ .

[4] بَلْقَع: الأرض القَفر التي لا شيء بها، الجوهري، **الصحاح**. مادة (بلقع) .

[5] **ديوانه**، ٢٧٠/٢ .

دَعْهُ ولا تَأسفَنَّ عَلى رَحيلِهِ، وابحثْ لكَ عَن غَيرِهِ بَدلًا، لأنَّ التَّركَ رَاحةٌ لكَ مِنْهُ، أمَّا المُحِبُّ الحَقُّ فإنّهُ سَيصبِرُ لَوْ بَعُدَ عَنْهُ حَبيبُهُ وَجَفاهُ. "ويتحدّث عن الودّ المتكلَّف، والصَّفاءِ الخَادِع والصَّداقَةِ الزَّائِفةِ، إنّ أمثالَ هؤلاءِ غيرُ مَأْسوفٍ عَلى تَرْكِهم، بلْ إنَّ في تَركِهِم راحةً، وهناكَ البديلُ، وعَلينا أنْ نُروِّضَ أنْفُسَنا بالصَّبر"[1]. فيَقُولُ لَنَا نَاصِحًا:

الطويل

إذا المَـرءُ لا يَـرعاكَ إلّا تَكَلُّفًـــا فَدَعْهُ وَلا تُكثِـرْ عَلَيهِ التَأَسُّفـــا

فَفي النَّاسِ أَبدالٌ وَفي التَّركِ راحَةٌ وَفي القَلبِ صَبرٌ لِلحَبيبِ وَلَـو جَفا[2]

ب- لا صَبْرَ على الهَجْرِ:

يَتَساءلُ أبو تمَّامٍ كيفَ سَيُطيقُ الصَّبرَ على هَجْرِ الحَبيبِ لَهُ؟ ويَستَخْدِمُ المُبالَغَةَ في مُسَاءَلَتِهِ فَلو أنَّ قَلبَهُ كَانَ من الصَّخر لمَا احتمَلَ الهَجْرَ والبُعد، ولَرُبّما تَمنّى بِأنْ يَكون قلبُهُ صَخرةً حتّى يَسْتَطِيعَ الصَّبْرِ، وفي نِهاية الطّريقِ؛ طريقِ الحُبِّ سَوفَ يُبلِي الهَوى جِسْمَهُ ويموتُ بهِ، ولَنْ يَستَريحَ من عَذَابَاتِ الهَوى في القبرِ، فَسَيظَلُّ يُعذَّبُ من أَلَمِ الحُبِّ والهَوى، وهَذِهِ مُبَالَغَةٌ شَدِيدَةٌ، إذْ يَقُولُ:

السريع

مِن أَينَ لي صَبرٌ عَلـى الهَجْـرِ لَـوْ أَنَّ قَلبِي كانَ مِن صَخْرِ

وَيلٌ لِجِسْمي مِن دَواعي الهَوى وَيلٌ مَعي يَدخُــلُ في القَبْرِ[3]

ج- مُحاورةٌ بينَ الشَّاعرِ وقَلْبِهِ:

تَظهرُ المُحاورةُ بينَ العبَّاس بن الأحنَفِ وقلبِهِ، إذْ عَرضَ الشَّاعِرُ على قلبِهِ الفِراق فأبَى إلَّا الوفاءَ والاشتياقَ، وصرَّحَ القلبُ لِصاحِبِهِ باليأسِ، لأنّهُ لن يَصبِرَ على ما سيؤولُ إليْهِ، وستكونُ الفُرقَةُ أكثرَ ألَمًا من حرِّ النَّارِ. وهذا الوصْفُ المِثاليُّ للحبِّ أظُنُّهُ بعيدَ المَنالِ، لأنّهُ يَصلُ دَرَجَةَ الحُبِّ الأُسطوريِّ في كَمالِهِ وإخلاصِهِ.

---

[1] **ديوان الشّافعي**، ٩٩ .

[2] **نفسه**، ٩٨ .

[3] **ديوانه**، ٢٦٨/٢ .

لكِنْ لِمَاذا يَخلعُ الشَّاعرُ قلْبَهُ ويجعَلُ مِنهُ شَخصًا آخرَ، شَأنَ مُعظَمِ الشُّعراءِ فِي عَصْرِه؟ إنَّهُ عِندَمَا تُسيطرُ مَشاعِرُ الحبِّ على الحبيبِ ولا يستطيعُ التَّخلُصَ والتَّملُّص مِنْها، يَضَعُ اللَّوْمَ على قلبِهِ الذي انْسلَخَ عن بَقيَّة جَسَدِهِ، وليقولَ في المُحَصِّلةِ: إنَّ الذَّنبَ ليسَ عليَّ، فَمَشاعِرُ قلبي لستُ أتَحكَّمُ بِها، وأُمور عقلي تسيرُ بانتظامٍ. وهذه شهادةُ لسانهِ:

الطويل

عَرَضتُ عَلى قَلبي الفِراقَ فَقالَ لي مِنَ الآنَ فَآيْئَسْ -لا أَغرُّكَ- مِن صَبْرِ

إِذَا صَدَّ مَن أَهْوَى وَأَسْلَمَنِي الـعَزا فَفُــرقَةُ مَن أَهَــوَى أَحَــرُّ مِنَ الجَمــرِ[1]

١٤- الشَّهوةُ واللَّذَةُ:

أ- الكَفُّ عن الشَّهوةِ:

وقدْ تَركَ إسْحَاقُ المُوصِلِيُّ[2] التَّصَابِيَ والحُبَّ لِكِبَر سِنِّه ودُنوِّ أجله، إذْ أورَدَ الرَّاغبُ الأصْفَهَانِيُّ شِعرَهُ تحتَ بابٍ سَمَّاهُ: (فيمن زعم أنّهُ ترك الصَّبابة لغير مَلالةٍ)[3]، فالمُوصِلِيُّ يُودِّعُ حُبَّهُ لِلنِّساءِ وَبائعاتِ الهَوى، ويتْرُكُ السُّكرَ واللَّهوَ، لأنَّه لمْ يَبقَ لهُ من سنينِ العيشِ مثل الذي مَضَى، فمَا بَقِيَ هُوَ نَظَرُ العينين الذي يُحرِّك شهوةً في القَلبِ لِتظهَر. يقولُ:

الطويل

سلامٌ على سير القِلاصِ مع الرَّكْبِ ووَصلِ الغَواني والمُدامةِ والشّــربِ

سَلامُ امــرئٍ لَم تبــقَ مِنهُ بقيَّــةٌ سِوَى نَظرِ العَينَينِ أو شَهوةِ القلـبِ[4]

ب- لَذَّةُ القَلْبِ بِطيْفِ خَيالٍ:

يَظهرُ طَيفُ الخَيَالِ في قصيدةِ عبد الصَّمدِ بن المُعذَّلِ، فهوَ لمْ يتمَكَّنْ مِن مُقابَلَةِ الحبيبةِ في أرضِ الواقِعِ، فأوكَلَ إلى خَيالِهِ هذهِ المَهمَّة، وَوصَّلَ الخيالُ بَينهُمَا بعد طُولِ البُعْدِ والهَجْرِ، فالتقَاها

---

[1] **ديوانه**، ١٣٥ .

[2] هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموْصلي النّديم المشهور، صاحب الغناء، وكُنيته أبو محمد، ولد سنة ١٥٠هـ أو بعدها تقريبًا. نادَمَ الرّشيد والمأمون، ولا نظير له في الغِناء، ونقل عنه صاحب الأغاني أغانيه، كان ثقة عالمًا، حلو النادرة، شعره حسن، ومات سنة ٢٣٥هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٥٢/٨-٢٥٥. وأخباره وأغانيه كثيرةٌ في كتاب **الأغاني** للأصفهاني .

[3] **مُحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ٣٢٠/٣ .

[4] **الرَّاغب الأصفهاني، نفسه**، ٣٢٠/٣-٣٢١ . ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٥٣/٨ .

لِيَبُثَّ أشْواقَهُ إلَيْهَا، وتَبدو الطَّرافة في البيتِ الثّاني، فحِينَما خَافتْ رُوحَيهما أنْ تَراها أرواحٌ أُخَرُ استترت ولم تبُح لِلأَبدانِ بِجميلِ مَا حدَثَ، كُلُّ ذلكَ المَنْظَرِ الجميلِ كانَ شَهوةً للقلبِ ولَذّةً لا تَعدِلُها لذَّاتٌ أُخَرُ، فقد عّوَّضَهُ الخيالُ عن الواقعِ، ولَوْ الشَّيءَ النَّزيرَ اليَسيرَ، فَأرضَى شهوَتَهُ مُتَخَيِّلًا بِغيرِ نَظَرِ ماثِلٍ أَمَامَهُ أوْ تجسيمٍ. قال:

الخفيف

وَاصَلَ الحُلمُ بيْنَنَا بعد هجْرٍ فاجْتمعنَا ونَحنُ مُفترقانِ

غيرَ أنَّ الأرواحَ خَافتْ رَقِيبًا فَطَوَتْ سِرّها عَن الأبدانِ

مَنْظرٌ كانَ لَـــذَّةَ القلبِ إلاَّ أَنَّـــهُ مَـنْظرٌ بِغير عِيــانِ[1]

ج- لَذَّةُ قلبٍ شاذَّةٌ:

ويتغزَّلُ أبو نُواسٍ بِفتىً في آخرِ اللّيل- قَصَدَ المَكان الذي كانَ يَجلِس فِيه أبو نُواسٍ- إذْ يتَغَزَّلُ بهِ بَعدَ أنْ أشْعرهُ هذا الفتى باللَّذةِ التي فضَّل فيها أبو نُواسٍ بأن يكونَ حَليمًا، فغلبَتْهُ لَذَّةُ القلبِ على الحِلْمِ حتَّى لا يُسقِمَ قلبهُ ويُتعِبَهُ. "ومؤنس لا يُملُّ مَجْلسُهُ، اقتربَ مِنه وراحَ ينسيه ما بهِ فآثرَ الشَّاعرُ عندَ ذلك أنْ لا يَطغى حِلمه على لذّة قلبه، فيَسْتَشْعرَ الإرهاق، ثمَّ ذَهَب مُفارقًا الشَّاعرَ، ويتمنّى له الشّاعرُ حُسنَ العافية"[2]. وأجرى أبو نُواسٍ استِعارةً طريفةً، فقدْ جعلَ العُيونَ تُمارِسُ الرَّذيلةَ الفاحِشَةَ، لِتَصيرَ بعدَها على جَنَابَةٍ. ولربَّما قصدَ أنَّها صارت بعيدةً عن مرامي غلامِهِ، لِتَصيرَ بعدَها كَئيبةً، يقولُ:

المنسرح

وَآنِسٍ لا أَمَـــلُّ مَجلِسَـــهْ قـــامَ لِوَقـــتٍ دَنا لنَقلبـــا

آثَرتُ أَن لا يُلامَ حِلمي عَلىْ لَذَّةِ قَلبي فَاستَشعَرَ الوَصَبا

فَـــراحَ لا عَطَّلَتـــهُ عافِيَةٌ وَباتَ طَرْفِي مِن طَرفِهِ(جُنُبا[3])[4]

---

[1] ابن أبي حجلة المغربي، **ديوان الصبابة**، ١٢١. والأبيات لعبد الصمد بن المعذّل .

[2] **ديوان أبي نواس، خمريات أبي نواس**، ٤٨ .

[3] الجُنُب: هو البعيد مطلقًا، وقيل: هو من لا قرابة له حقيقةً، الزَّبيدي، **تاج العروس**. مادة (جنب) .

[4] **ديوانه**، ٥١ .

ثانيًا: ما يحمِله القلبُ من المجاز

١- القلب العالم:

أ- واعي القلب:

والعِلمُ صفةٌ مِنْ صِفاتِ القلوبِ، فالشَّاعِرُ ابنُ الرُّومِيِّ يمدحُ في قصيدةٍ طَويلةٍ أَخَوَيْنِ ذوَيْ رِياسَةٍ في قَومِهِما ورِفْعةٍ، وَيُخَاطِبُ أَكْبَرَهُمَا سِنًّا ورِياسَةً ونَسَبًا، واصِفًا قَلْبَهُ بالوعيِ والعلمِ، ويَتبيَّنُ وَعْيُ قلبهِ ذَلكَ مِنْ رَدِّهِ على سؤالٍ قدْ سُئِلَهُ ، فقالَ الشَّاعرُ:

الطويل

إذا نَحنُ فَاتَحْنَا أَخَا الكِبرِ مِنْهُمَا سؤالاً وَجَدْنا واعيَ القلبِ عالِمَا[١]

ب- علمٌ خالِصٌ:

وهذهِ حالُ الصُّوفِيةِ ودَيْدَنُهُمْ، فالحلَّاجُ قدْ غَالى كَثيرًا فِي حُبِّ اللهِ لهُ، حينَ كُشفتْ بينهُ وبينَ اللهِ الحُجُب، وأنَّى لها ذلك! واللهُ قد اختارهُ مِنْ سائِرِ الخَلْقِ وقرَّبَهُ مِنهُ سُبحانَهُ، وعلَّمهُ كُلَّ شيءٍ فَفَاقَ الأَنْبِيَاءَ فِي عِلْمِهِ، وجَعَلَ الحَلَّاجُ قَلبَهُ عَالِمًا بِكينونَةِ اللهِ، مَعاذ اللهِ! بِمثيلِ أنّ قلبَهُ يَعلَمُ مَا فِي غَيبِ اللهِ، فأيُّ قلبٍ هذا، وأيُّ حبٍّ ذاكَ في قولِهِ:

البسيط

هُــوَ اجتِبانــي وَأَدنانــي وَشَرَّفَنــي وَالكُلَّ بِالكُلِّ أَوصاني وَعَرَّفَني

لَم يَبقَ في القَلبِ وَالأَحشاءِ جارِحَةٌ إِلّا وَأَعــرِفُهُ فيــها وَيَعرِفُني[٢]

ج- شوقٌ للأُبوَّةِ:

وقد أوردَ التَّنوخيُّ في كِتابهِ رسالةً كَتبها وَالدُ المُؤلِّف، "قالَ (أبو علي التَّنوخي)[٣] في كتابِهِ النِّشوار: حدَّثني (أبو العلاءِ صَاعدٌ بن ثابت) قالَ: كتبَ إليَّ (القاضِي التَّنوخي أبو القاسِمِ علي بن

---

[١] **ديوانه**، ٢٦٢/٣ .

[٢] الموسوعة الشعرية، **الحلاج**، لم أجد البيتين في **شرح الديوان** .

[٣] هو المحسِّن بن علي بن محمد بن داود(٣٢٠هـ- ٣٨٤هـ)، قاضٍ من العلماء والأدباء والشُّعراء، ولد في البصرة، وولي القضاء في جزيرة ابن عمر، وتقلَّد أعمالًا كثيرة، سكن بغداد وتوفي فيها، ومن كتبه (الفرج بعد الشدّة) و(نشوار المحاضرة)، **ديوان أبي فراس الحمداني، تتمة الديوان، هامش التحقيق**، جزء٢، قسم٤٦١/٣ . ينظر: الزركلي، **الأعلام** ٨٣٨/٣ . وينظر ترجمته: **نشوار المحاضرة، مقدّمة المحقّق**، ١٩/١-٢٣ .

محمّد)[1] جَواب كِتابٍ كَتبتُه إِليهِ: وَصَلَ إليَّ كِتَابُكَ"[2].

فلمَّا قرأَ الشّاعرُ تلكَ الرِّسالةَ، جَاءَ رَدُّه بِحُرقة فِي تِلك الأبياتِ، وكأنَّ الشَّبابَ عَاودَهُ، فسُرَّ أعظمَ سُرورٍ، ويَفدي الشَّاعرُ مَنْ كَتبَ الرِّسالةَ ومنْ أملى كِتابتَها، ويتَحمَّلُ عَنهُ السُّوء، وكيفَ لا فَهو والده؟ أمّا قلبُه فقدْ كادَ أنْ يخرِقَ الحُجُب السَّماوية لِيعرفَ عن أبيه أكثرَ، ولرُبَّما كنَّى الشَّاعرُ في قولِهِ (يخرق الحجبا)، لِيدُلَّ عَلَى أنَّ قلبَهُ المُحترقَ لَهفةً بِالرِّسالةِ عَلِمَ مَا لمْ يَكُنْ يَعلَمُهُ قَبْلًا فقَالَ:

البسيط

فَمَا شَكَكْتُ وقدْ جَاءَ البَشيرُ بِهِ أنَّ الشبابَ أتَاني بَعـــدَ ما ذَهَبــا

وقلتُ نَفسي تُفَدِّي نفسَ مُرسِلِهِ مِنْ كُلِّ سوءٍ ومن أَملى ومن كَتَبا

وكـادَ قَلبـي وقد قَلَّبتُهُ قَرِمَـــا[3] إلى قراءَتِهِ أن يَخـــرِقَ الحُـجُــبا[4]

د- القلبُ يَعلمُ داءَهُ:

والمتنبي يلومُ عَذولَهُ، ويقولُ لهُ: "القلبُ أعلمُ مِنْكَ بما فِيهِ مِنْ بَرحِ الهَوى، فَهو يطلبُ شِفَاءَهُ وهوَ أحقُّ بِالبُكاءِ، وأنتَ تَنْهاهُ عنْهُ، والقلبُ يأْمُرُ الجِفنَ بالبُكاءِ، طالِبًا الشِّفاءَ بذَلكَ، شِفاءَ ما فِيهِ فهو أولَى بذلكَ مِنْكَ، والبُكاءُ فيهِ شِفاءٌ للقلبِ واستِراحةٌ"[5]. يقول:

الكامل

القَلبُ أَعلَمُ يا عَذُولُ بِدائِهِ وَأَحَقُّ مِنكَ بِجَفْنِهِ وَبِمائِهِ[6]

---

[1] هو القاضي أبو القاسم علي بن محمد التّنوخي، وُلد سنة ٢٧٨هـ في أنطاكية، كان ذكيًّا فتسلّم مرتبة قاضي القُضاة، قصد سيف الدولة ومدحه، توفي سنة ٣٤٢هـ، ينظر ترجمته: **نشوار المحاضرة، مقدمة المحّقق**، ١/١٧-٢٠ . وينظر: الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٥/٣٣٢-٣٣٣ .

[2] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ٤/٦٤. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٥/٣٤٠ .

[3] قَرِم: أصلها الشهوة إلى اللحم، ثم كَثُر حتى قالوا بذلك: قرِمتُ إلى لقائك، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قرم) .

[4] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ٤/٦٤. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء** ٥/٣٤٠. والشِّعر لأبي القاسم التّنوخي .

[5] **ديوان المتنبي، هامش التّعليق**، ١/٣ .

[6] **ديوانه**، ١/٣ .

٢- القلب الجاهل:

أ- قَلبٌ عُطِّلَ حِلمُهُ:

ذهبَ الشّبابُ ودَنا المَشيبُ، واقتربَ الأجلُ، والنّفسُ لا تَنتَهي عَن اللَّهوِ ولا تَعتَبِرُ لِنذيرِ الشَّيْبِ، فالقلبُ جَاهِلٌ، عُطِّلَ حِلمُهُ، فصَارَ عابِثًا، ولا زَالَ يَلهو وَيلْعبُ، وإنّما اتُّصِفَ القلبُ بالجهلِ مَجازًا، وهِيَ لَيستْ صِفتَهُ، لِأنّ ابنَ المُعتَزِّ أرادَ أنْ يَلومَ القلبَ ويَنفي اللَّومَ عنْ نفسِه، فالقَلبُ الآمرُ النَّاهِي فِي تَرك الغَيِّ مِن عَدَمِه لو أَراد. وفي ذلك يقول:

الكامل

وَقَفَ الشَّبابُ وَأَنتَ تابِعُ غَيِّهِ لا تَرعَوي لِنَذيرِ شَيبٍ قَد نَهَى

يا جَهلَ قَلبٍ مِنكَ عُطِّلَ حِلْمُهُ لَوْ كانَ دانى غَيَّهُ أَو أَشبَهَا[١]

ب- قِيمةُ الكتاب:

ويُنشِدُ العَسكَريُّ[٢] شِعرًا فِي كتابٍ قدْ أكَلَته الأرَضَةُ[٣]، "ويَصِفُ عَمَلَ الأرَضَةِ فِيهِ، وتَحَوُّلَ حَظِّهِ وفَرْحَةَ الجُهَّالِ بِهِ، وأَلَمَ الأُدَبَاءِ عليهِ، وتَبَدُّلَ الإصْلَاحِ إلى فَسادٍ"[٤]، فأصبَحَتْ قِراءَتُهُ تَصْعُبُ على الأفْهامِ، فقدْ أخذتِ الحَشَرةُ حينَ قَرَضَتِ الأورَاقَ نَصيبَهُ مِن قِراءةِ الكِتابِ، فأمَّا الجَاهلُ فَقلبُهُ فَرِحٌ بِتَمزيقِ الكِتابِ، وأمّا أخُو العِلْمِ فإنّه كَحالِ العَسكريِّ حزينٌ لِفقد الكِتابِ، واحَسرتَاهُ عَلى المَآثِرِ البَديعةِ الغريبةِ التي يَحمِلُها الكِتابُ، لَقَدْ ضَاعَتْ وتَفرّقَتْ. يقولُ:

مجزوء الرمل

أَخَذَتْ مِنها نَصيبًا فَالتَوى مِنها نَصيبي

أَفرَحَتْ قَلبَ جَهولٍ وَكَوَت قَلبَ لَبيبِ

وَيلَ هاتيكَ المَعاني مِن بَديعٍ وَغَريبِ[٥]

---

[١] **ديوانه**، ٤٤٨ .

[٢] هو أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، صاحب الصِّناعتين، وهو تلميذ أبي أحمد العسكري وابن أخته، وينسب كلاهما إلى عسكر مُكرَم، ويبدو أنَّ أبا هلال نشأ في هذه النَّاحيةِ، وليس لدينا من أخباره الأولى أكثر من ذلك. إلَّا أنَّه كان يتزّز احترازًا من الطَّمع والدَّناءة، وكانَ موصوفًا بالعلم والفقهِ، والغالب عليه الأدب والشِّعر. **ديوان المعاني، مقدمة المحقّق**، ٥ . أمَّا وفاته فسكت عنها المؤرِّخون، وقد ذكر الزركلي أنَّ وفاته كانت بعد سنة ٣٩٥هـ، الزركلي، **الأعلام**، ١٩٦/٢ .

[٣] ينظر: **ديوان المعاني**، ٤٢٨/٢ .

[٤] السوداني، عبد الله عبد الرحيم، **رثاء غير الإنسان في الشعر العباسي**، ٢٦٧ .

[٥] **ديوان المعاني**، ٤٢٩/٢ . والشعر لأبي هلال العسكري .

٣- القلب الذكي:

أ- قلبُ الخليفة:

يُبالغُ أبو تمَّامٍ في مَدْحِهِ للخَليفةِ، فَقدْ جَعَلَ أحْشَاءَ الرَّعيةِ تَسكُنُ في صَميمِ قلبِ الخليفةِ الذَّكيِّ وذُرْوَتِهِ، فَسَكنوا واطمأنوا بِسُكونِهِ، واستخدَمَ المَجازَ حينَ جعَلَ قلبَهَ وَطنًا وسُكنى، فمَعنَاهُ: "أيْ بوعدِكَ وإنْصافكَ، وهو يمضي فيما يعملُ فيهِ، أيْ قولُكَ قولٌ. يقولُ جَعلتَ قلوبَ الرَّعيةِ آمِنةً فكأنَّكَ أودَعْتَهَا قلبَكَ، فَسَكنوا بِسكونِكَ"[١].

ويَستخدمُ المَجازَ في وَصْفِ لِسَانِ الخَلِيفَةِ، فَلِسانُهُ مُرْهَفٌ حادٌّ يُدافعُ بهِ عن رعيّتِهِ خيرَ دِفاعٍ وقدْ شبَّهَ اللِّسانَ بالسَّيفِ، حينَ أطلَقَ صفةَ المُرهفِ على اللِّسانِ، وهِيَ صِفَةٌ متَعلِّقَةٌ بالسُّيوفِ لِمَا فيها مِنْ حدّةٍ وقَطْعٍ، لِتعجزَ مَعهُ أقلامُ الذينَ يَمدحونَ مَحاسِنَ فِعالِهِ، فلا تُغني عن قَلَمِه آلاف الرِّماحِ والسُّيوفِ، فهوَ فوقَ مَدْحِهِم مَهَما كَتَبَ مُرهَفُوهُم مِن الأحَاسِيس شِعْرًا، ومُثقّفُوهُم مِن المَديحِ نَثْرًا. قالَ أبو تمَّامٍ مادِحًا:

الكامل

سَكَّنْتَ أَحشَاءَ الرَّعِيَّةِ في حَشا قَلْبٍ ذَكِيٍّ عَن لِسانٍ مُرْهَفِ[٢]

لَمْ يَبْلُغِ القَلَمُ الذي يُجدِي بِهِ في اللهِ أَلْفا مُرْهَفٍ وَمُثَقَّفِ[٣]

ب- قَلبٌ لم تَنَلْ مِنهُ عِلَّةُ العيونِ:

وجَاءُ في بَابِ تَحسينِ العَمى مِن كِتابِ أبِي مَنصورٍ الثَّعالبِي ذِكْرُ مَحاسِنِ العَمَى وَفوائِدِه، "قِيلَ لِقتادةَ[٤]: مَا بَالُ العُميانِ أذْكَى وأكْيسُ مِن البُصَراءِ، فَقالَ: لأنَّ أبْصارهُم تَحوَّلتْ إلى قُلوبِهم. وقالَ الجَاحِظُ: العُميانُ أحفظُ وأذْكَى، وأذْهانُهم أقْوى وأصْفى، لأنَّهم غَير مُشتغِلي الأفكارِ بِتمييزِ الأشخاصِ، ومع النَّظر يَتشعَّبُ الفِكرُ، ومع انْطِباقِ العَينِ اجْتماعُ اللُّبِّ، ولذلكَ قالَ بَشَّارٌ: عميتُ جَنينًا، والذَّكاءُ مِن العَمى"[٥].

---

[١] **ديوان أبي تمام، هامش التّحقيق**، ٤٣٧/١ .

[٢] مُرْهف: أرهفتُ سيفي؛ أي رقَّقته، الجوهري، **الصحاح**، مادة (رهف) .

[٣] **ديوانه**، ٤٣٧/١ .

[٤] هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عُزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري(٦١-١١٨هـ)، مفسِّر ضرير أكمه وكان حافظًا، الثعالبي، **تحسين القبيح وتقبيح الحسن، هامش التحقيق**، ٤٨ . وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ٢٧/٦ .

[٥] **تحسين القبيح وتقبيح الحسن**، ٤٨ .

لمْ يَستسلِمْ أبو العَيناءِ[1] لِمَا أصَابَهُ مِن مُصيبةِ العَمَى، بَل حَمِدَ الله أنْ نَقلَ نُورَ العَينينِ إلى لِسانِهِ الذي يَقولُ الحَقَّ وإلى سمْعِه الذي يَحفظُ بِنفاذِ الكَلامِ إلى مُنتهاهُ، فالقلبُ ذَكِيٌّ يُدرِكُ الأشْياءَ مِنْ حَولِهِ، وإنَّما خَصَّ الذَّكاءَ بِالقلبِ، لأنَّ القَلبَ ذُو بَصيرةٍ وإحْسَاسٍ، فَمَا لا يُدرَكُ بِالعينِ يُدرَكُ بِالقلبِ، والعَقلُ لا يُخطِئُ، واللِّسَانُ مَسْلولٌ سَريعُ مَعنَى البَديهَةِ، شبّهَهُ الشّاعِرُ بالسَّيفِ لِحِدَّةِ قولِهِ في الحَقِّ وجَرَاءَتِهِ، فقالَ:

البسيط

إنْ يأْخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُما فَفِي لِسَاني وَسَمْعي مِنْهُمــا نُورُ

قَلْبٌ ذَكيٌّ وَعَقْلٌ غَيْرُ ذي خَطَلٍ وفي فمي صارِمٌ كَالسَّيْفِ مَشْهورُ[2]

ج- عِتابُ الحكيم:

يَصِفُ ابنُ الرُّومِيِّ (أبَا العبَّاسِ)[3] بِذَكيِّ القَلبِ، فَعِبارةُ (ذَكِي القَلبِ) كِنايةٌ عَن الفِطنَةِ، مَعْ أنَّ المَعهودَ أنَّ الذَّكاء مَنسوبٌ للعقلِ، لَكنَّ العربَ تُريدُ بِذَكاءِ القلبِ، البَصيرةَ النَّافِذَةَ والإدْراكَ الحَسَنَ فَتُكنِّي عَنْهُ بِذَلكَ.

وهل يُلام إلَّا العَاقِلُ إذا جَفَا، والعَالمُ إذا هَفَا، والسَّيفُ إذا نَبَا. إذْ يَلومُ ابنُ الرُّوميِّ أبا العَبَّاسِ مُسْتغْرِبًا مِنْهُ، مُسْتَنْكِرًا عَلَيْهِ أنْ يَرَى الظُّلمَ ولا يَرُدّ كَيدَ الظَّالِمينَ إلى نُحورِهِمْ، مَع أنَّ قَلْبَهُ مَعهودٌ بِالبصيرةِ ومَعروفٌ ببُعْدِ نَظْرَتِهِ للأُمورِ فِي اسْتِبصَارِ المُستَقْبلِ واسْتِشْرَافِهِ، فيقول:

البسيط

أبلِغْ فَتَى آلِ بِشْرٍ بَلْ مُؤمَّلَـــهُمْ رِسَالةً لَيْسَ فِي أَمْثَالِها عَـــارُ

---

[1] هو محمد بن القاسم بن خلَّاد بن ياسر، اليمامي الهاشمي، مولى المنصور، البصري الأخباري (أبو العيناء). مولده سنة إحدى وتسعين ومائة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وكان قبل العمى أحول، وقال المبرّد: إنّما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيَّف على الأربعين وخرج من البصرة واعتلَّت عيناه. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٤٢/٤-٢٤٣. وُلد بالأهواز وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٢٨٣هـ وقيل سنة ٢٨٢هـ، وروى ابنه جعفر أنَّه مات لعشر ليالٍ خلونَ من جمادى الأولى ٢٨٣هـ. ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٣٠٢/١٨ .

[2] **ديوان أبي العيناء ونوادره**، ٢٨، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٤٣/٤، الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٣٠٢/١٨، وفيه (مأثور) مكان (مشهور)، والبيتان لابن عباس في كتاب **تحسين القبيح وتقبيح الحسن** للثعالبي، ٤٧-٤٨ .

[3] هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن بشر، أبو العبّاس المَرْثَدِيُّ الأخباريُّ، حدَّث عن طلحة بن عبد الله الطَّلْحِي، روى عنه ابن يحيى الشَّرابي، البغدادي، **تاريخ بغداد**، ١٨٨/٦. وبحسب ديوان ابن الرومي، "في الفهرست **لابن النديم** ١٨٧: هو أبو أحمد بن بشر المرثدي الكبير الذي كتب إليه ابن الرومي الأشعار في السمك وكان بينهما مداعبة"، **ديوان ابن الرومي، هامش التحقيق**، ٥٣/١ .

هَلْ جَائِزٌ يَا أبَا العَبَّاسِ أوْ حَسَنٌ وأنْتَ شَهْمٌ ذَكِيُّ القَلْبِ نَـــظَّارُ[1]

ظُلْمٌ تَمادَون فيهِ لا يُـــرَى لَكُـــمُ عَنْهُ وإنْ سَكَتَ المَظْلُومُ إقْصَارُ[2]

د- حَمِيَّة القَلبِ:

وهَذَا المُتَنبي المَدَّاحُ يصفُ مَمدوحهُ بالشَّجاعَةِ، وقَلْبَ مَمدوحِهِ بالذَّكَاءِ. ويريدُ بذلكَ أنَّ مَمدوحَهُ شُجاعٌ يلقى المَصَاعِبَ والمَكَارِهَ بِسُرورٍ ولا يَخافُهَا، وفِي قولِهِ(مُحتَمِيًا) يُريدُ بِذلكَ شِدَّة التَّوقُّدِ والحَرَارةِ فِي قَلبِهِ، لِذلكَ ظَهرَ ذَلِكَ على وجهِهِ، فيظنُّ الذي يَراهُ بأنَّ وجْهَهُ يُشِّعُ، وجِسْمَهُ سَكرانُ[3]. وأمّا الجِناسُ فَحاصِلٌ في لَفظتي(السَّيف والضَّيف) لِيقولَ لَنَا بِأنَّ مَمْدوحَهُ شُجاعٌ بِدلالةِ لَفْظِ السَّيفِ وكَرِيْمٌ بدلالَةِ لَفْظِ الضَّيْفِ. يقولُ:

البسيط

يَلقى الوَغَى وَالقَنَا[4] وَالنازِلاتِ بِهِ وَالسَيفَ وَالضَّيفَ رَحْبَ البَاعِ جَذْلانَا[5]

تَخالُهُ مِنْ ذَكاءِ القَلْبِ مُحتَمِـــيًا وَمِـن تَكَرُّمِـهِ وَالبِشْـــرِ نَشْوَانـــــا[6]

٤- القَلبُ البَخيلُ:

- مَوقِفُ العَزَاءِ:

وفي موقِفِ العزاءِ، حيثُ يرثي شاعرٌ شاعرًا، إذْ يَرثِي الدَّيلميُّ أبَا نصرٍ نُباتَه السَّعدي، ويُعزِّي فِيهِ أهلَهُ، وَهَا هوَ يُهيلُ التُّرابَ عَليهِ في مَدْفَنِهِ، ويتألَّمُ كيفَ تبدَّلَتْ حَالُ عُيونِهِ من الكُحلِ والزِّينَةِ إلى التُّرابِ فالقبرِ، ويظَلُّ يَبْكِي على قَبرِهِ بِعُيونٍ لا تُجازِيهِ دموعُهَا حقَّهُ، فقلبُهُ -مَهْمَا فَعَلَ- بَخيلُ العَطاءِ في بَذْلِ الحُزْنِ على منْ فقَدَ. وتَظهَرُ المَحسوسَاتُ المادِّيَّةُ في رِثَاءِ الدَّيلمِيِّ لابن نُباته بالعينِ المَحْنُوَّةِ تُرابًا، وَبِالدُّموعِ المُنْهَمِرَةِ مِنْهَا أَلَمًا، وبالوَجْهِ الشَّاحِبِ المُصفرِّ الهَزِيلِ حُزنًا. يقولُ:

---

[1] نَظَّار: شهمٌ حديد الفؤاد طامح الطرف، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (نظر) .

[2] **ديوانه**، ١١/٢ .

[3] ينظر: **ديوان المتنبي، هامش التّعليق**، ٢٢٦/٤ .

[4] القنا: جمع قناة، وهي الرُّمح، الجوهري، **الصحاح**. مادة (قَنَا) .

[5] الجَذَلُ: الفَرَح، **نفسه**، مادة (جذل) .

[6] **ديوانه**، ٢٢٦/٤ .

الكامل

أحْثُو[1] عُيونًا بِالتُّرابِ يَروعُني بالأمسِ فِيها الإثْمدُ المَكحولُ

وأظلُّ أسْمحُ للصَّعيدِ بِأَوْجُهٍ قَلْبِي بِهِنَّ عَلَى الشُّحوبِ بخيلُ[2]

٥- القلب النائم:

أ- الشَّيخُ الماكِرُ:

وَنَرى قَصيدة تَهَكُّمٍ وسُخْرِيةٍ، يَصِفُ فِيهَا ابن الرُّوميِّ القلبَ بِالنائمِ، ولَوْ نَامَ القلبُ لكَانَ صَاحِبُهُ مَيْتًا، ولا يكونُ النَّومُ إلَّا لِلأَحياءِ، فنَومُ القلبِ هُنا مَجازٌ لِصِفةٍ لَيْسَتْ فِيه، وتُكَنَّي عن غَفْلةِ صَاحِبِهِ، فَلا يَتركُ ابن الرُّوميِّ شَاردةً أو وَارِدةً إلّا وأَدْخَلَها في شِعرِهِ، فَهُو يُجري الشِّعر عَلى نَسَقِ حِوار يَدورُ بَينه وبينَ آخرَ في زَواجِ شَيخٍ من فتاةٍ، وَيَستفتيانِ في أمْرِهِ، وأنَّ زَواجَهُ مِن تِلك الفَتاة كانَ خَطأً.

وقد كانَ لِنَصيبِ الهِجاء عند ابن الرُّوميِّ حَظٌّ وافِرٌ، فَتَفَوَّقَ فيهِ، إذْ كانَ هِجاؤُهُ على ضَربينِ: ساخِرٌ يُثيرُ الضَّحِكَ، وفَاحِشٌ فَاضِحٌ، فَاعتَمَدَ ابن الرُّوميِّ في هِجائِهِ السَّاخِرِ على تَصويرِ العُيوبِ الخَلْقِيَّةِ لِلمَهجوِّ، فَبالَغَ فِي وَصفِهَا ونَالَ مِن مَهجوِيهِ، وقدْ طَالتْ تلكَ القَصائِدُ لِتَصلَ في بَعضِها إلى العشراتِ من الأبياتِ، بل إلى المِئاتِ مِنها أحيانًا[3]. قَالَ:

السريع

فَقُلْتُ: لا تعجَلْ على شَيخِنَا بِاللَّومِ والتَّعنيفِ والعَتْبِ

لَعَلَّ ما تَحْسِبُ مِنْ أَمْـــرِهِ وأَمْـرِها بالعَكْسِ والقَلْبِ

هُوَ الذي يَرتعُ في كَسْبِهـــا فَافْطِنْ لهُ يا نائمَ القَلْبِ[4]

---

[1] حَثَا عليه التراب: هَالَهُ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حَثَا) .

[2] **ديوانه**، ٥٧/٣ .

[3] ينظر: **ديوان ابن الرومي، مقدمة المحقق**، ١١/١ .

[4] **ديوانه**، ١٨٥/١ .

ب- المَلِكُ الشَّاعِرُ:

ويَظهَرُ نِفاقُ ابن الرُّوميِّ للملكِ(عبيد الله بن عبد الله)، فَلا يُطَاوِلُهُ أحدٌ مِن الشُّعراءِ في قول الشِّعر، لِذَلِكَ يَتعجَّبُ ابن الرُّوميِّ منْ حَالِ الشُّعراءِ الذينَ يُلقونَ بين أيدِي المَلِكِ شِعْرًا، وهُو أشْعرُهُم، فكيفَ يَسمعُ أُولئكَ الشُّعراءُ قَصائِدَ المَلكِ ولا يَخجلونَ عَلَى أنفُسِهِم، فيقولونَ الشِّعرَ بَعْدَ سَمَاعِهِمْ لَهُ، فَهُمْ مُتأخِّرونَ عَنْهُ بأشواطٍ كَثيرَةٍ، إذْ يظهرُ النِّفاقُ جَليًّا في شِعر ابنِ الرُّوميِّ، فقلبُ كُلِّ شَاعر يُجَارِيهِ قَلْبٌ غَافِلٌ لا يُدْرِكُ الحَقيقةَ، لَمْ يُفقْ بَعدُ من سُباتِهِ. وها هُوَ بِهجاءِ الشُّعراءِ يهجو نفسَهُ، فلا بَأسَ بِذلكَ- في نَظَرِهِ- إنْ كانَ يُريد رِفدَ المَلِكِ وَعَطَايَاهُ، فَيقولُ:

الطويل

عَجِبْتُ لِمَنْ أهْدَى لَكَ الشِّعرَ تُحْفَةً ومنْ قالَ شعرًا وهو دونَكَ خَانِسُهْ[1]

أيُهدِي إليكَ الشِّعرَ بَعْـــدَ سماعِه بِشِعْرِكَ إلَّا غافِـــلُ القلب نَاعِسُهْ؟[2]

٦- القلب الصاحي:

أ- صحوةٌ بعد غفلةٍ:

وفي مَعرِضِ الحَديثِ بِالكِنايَةِ عن صَحوةِ القلبِ بعدَ الغَفلةِ، وتِلْكَ حالُ التّائبِ من الذَّنْبِ ليَكونَ كمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ، يُصوِّر أَبو العَتَاهِيَةِ قلبَهُ إنسانًا كَانَ نَائمًا عنْ الحَقِّ غافِلًا، ثُمَّ اسْتيقظَ لِيلحقَ بِالعقلِ ليُشكِّلَ مَعَهُ طَريقَ النَّجاة إلَى الآخِرةِ، فَلمَّا أنْ صَحَا ضَمِيرُ قَلبِهِ، تَركَ البَّاطِلَ وارْعَوى إلى الحَقِّ، ونَسيَ اللَّهوَ واللَّعبَ والنِّساءَ الغَانِياتِ اللَّائِي كَانَ يَمِيلُ إلَيهِنَّ فيُنسِينَهُ أمْرَ الآخِرَةِ، حتَّى تَقَطَّعَتِ بَينَهُمْ السُّبُلُ، فقَطَعنَ حَبل المَودَّة وهجَرنَهُ. قَال:

الوافر

صَحا قَلبي وَراعَ إلَيَّ عَقلي وَأَقصَرَ باطِلي وَنَسيتُ جَهلي

رَأَيتُ الغانِيــاتِ وَكُنَّ صُوْرًا[3] إلَــيَّ صَرَمنَني وَقَطَعنَ حَبْلي[4]

---

[1] خَانِس: خَنَس، انقبض وتأخر ورجع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خَنَسَ) .

[2] **ديوانه**، ١٩٠/٢ .

[3] الصَّوَر: المَيْل، ابن عباد، **المحيط في اللغة**، مادة (صَوَرَ) .

[4] **الموسوعة الشعرية**، لم أجد البيتين في **ديوان أبي العتاهية** .

ب- صَحوةٌ بَعدَ انتِشاءٍ:

يَبدُو أنَّ أبَا تَمَّامٍ قدْ سَكِرَ حَدَّ الثَّمالةِ، لكنَّهُ في النِّهايةِ قدْ أفاقَ، وبِصَحوتِهِ يَصحُو قلبُهُ، فَهل السُّكر يُذهِبُ العَقلَ أمْ يُذهِبُ القلبَ؟ حتمًا؛ إنَّ السُّكرَ يُذهِبُ العَقلَ ولا يَذهَبُ بِالقَلبِ، وقَدْ أرَادَ الشَّاعِرُ أنَّ قَلْبَهُ إنْسانٌ، فَجَعَلَ لهُ عَقْلًا، إذا شَرِبَ المُدَامَ ذَهَبَ عَقْلُ القَلْبِ(الإنسان)، حتَّى إذا ذَهَبَ أثَرُ السُّكرِ صَحَا القَلبُ(الإنسان) مِن خَيَالاتِهِ وَعَادَ إلى الوَاقِعِ. يقولُ:

مجزوء الخفيف

قَد صَحا القَلبُ بَعدَما قَد يُرى وَهوَ مُنتَشي[1]

٧- القلب النَّاظر الرَّائي:

أ- قلبٌ محرومٌ:

يَظْهَرُ أبو بَكْرٍ الشِّبلِيُّ[2] يَائِسًا كَئيبًا، لأنّ قَلْبَهُ لا يَرَى حَبِيبهُ، فكلُّ عِيدٍ عِندَهُ إنَّما هُو هَمٌّ وحُزْنٌ، لأنّهُ لَنْ يَكونَ سَعِيدًا حَتّى تُدرِكَ مَدارِكُ بَصَرِ قلبِهِ الحَبيبَ، وإنَّمَا شَخَّصَ القَلْبَ فَجَعَلَ لَهُ بَصَرًا، وَأَلبَسَهُ الفَقْرَ والصَّبرَ مَجازًا، ليُبيِّنَ حَالةً مِنْ أحْزَانِهِ عَظِيمَةً، فَهُوَ لا ينَالُ مِنْ حَبيبِهِ الحُبَّ وذلِكَ فقْرٌ، وَمع ذَلِكَ لمْ ييأسْ مِن الحُبِّ فذلِكَ الصَّبْرُ، أمَّا سِنينُ عُمرِهِ فدَارُ عَزاءٍ لَو غَابَ الحبيبُ عنهُ، وعيدُه مَتَى رآهُ وسَمِعُ صَوْتَهُ، فَهَلْ حبٌّ أصْدَقُ مِنْ هَذَا! بَلْ هَلْ هِيامٌ وإخْلاصٌ أوْفَى مِنْ ذَلِكَ؟ فيقولُ:

البسيط

قَالُوا: أتَى العِيدُ مَاذَا أنْتَ لابِسُه؟ فقلتُ خِلعةَ[3] ساقٍ حُبَّهُ جَرَعَـــا

فَقْرٌ وصَبْرٌ هُمَا ثَوْبَايَ تَحتَهُمـــا قَلْـبٌ يَرَى إلفَهُ الأَعْيادَ والجُمَـــعَا

الدَّهرَ لِي مَأْتَمٌ إنْ غِبتَ يَا أَمَلِـي والعيدُ مَا كُنْتَ لِي مَرأىً وَمُستَمعا[4]

---

[1] **ديوانه**، ٣٤٧/٢ .

[2] هو محمد بن عبيد الله، أبو الفرج الشاعر المعروف بالبارد. البغدادي، **تاريخ بغداد**، ٥٨١/٣، لم يذكر البغدادي شيئًا عن تاريخ وفاته وأورد محقِّق الديوان وفاته بمرضٍ في يوم الجمعة ٢٨ من ذي الحجة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م. ينظر: **ديوان أبي بكر الشبلي، مقدمة المحقق**، ٥٩ .

[3] خِلْعَة: ما خلعته فطرحته على آخر أو لم تطرحه، وكل ثوب تخلعه عنك، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خَلَعَ) .

[4] **ديوانه**، ١٠٩ . الشطنوفي، **بهجة الأسرار**، ٢٠٩ .

ب- قَلبٌ تَعَلَّقَ باللهِ:

وكَعَادَتِهِ وَعَادةِ المُتصوِّفَةِ، فإنَّ الحَلَّاج يُغالِي في حُبِّ الله واصْطِفائِهِ لَهُ، لِيَخُصَّهُ العِلمَ والمَعْرِفَةَ كَمَا يَخصُّ الأنبياءَ والمَلائِكةَ، فهُمْ خاصَّتُهُ وَصفوتُهُ، أمَّا قَلبُهُ فَيرَى مِن عَظيم مَلكوتِ اللهِ وغَيبِهِ مَا لا يَراه النّاظِرونَ، وتلكَ لَطيفَةٌ رَبَّانِيّةٌ تَنُمُّ عنْ إبِدَاعِ المَكنونَاتِ الحِسِّيَّةِ لأَولياءِ اللهِ وخَاصَّتِهِ وَالأَلْسِنةُ تُناجِي اللهَ بِما لا تَعلَمُهُ المَلائِكَةُ، مُبَالَغَةً في الوَصْفِ، وقَدْ جَسَّدَ القلبَ وجعَلَ لَهُ عيْنًا ولِسانًا. فيقولُ:

الوافر

قُلوبُ العاشقينَ لَهَا عُيونٌ تَـرى مَالا يَـراهُ النَّاظِرونَـا
وألسـنةٌ بِأسـرارٍ تُنـاجِـي تَغيبُ عَن الكِـرامِ الكَاتِبينا[1]

"وأمَّا الحُبُّ الإلَهي فمِن اسْمِهِ الجَميلُ والنُّورُ، فيَتَقَدَّمُ النُّورُ إلى أَعيانِ المُمكِناتِ فَيَنفي عَنْهَا ظُلْمَةَ نَظَرِهَا إلى نَفْسِهَا وإمْكَانِهَا، فَيُحْدِثُ لَهَا بَصرًا هُو بَصرُهُ، إذْ لا تَرَى إلَّا بِهِ، فَيَتَجَلَّى لِتِلكَ العَينِ بالاسمِ الجَميلِ فَتَعشَقُ بِهِ، فَيَصِير عَينُ ذَلكَ المُمكِنِ مَظْهَرًا لَهُ"[2].

٨- القلب الأعمى:

أ- عِشْقٌ أَبْلَهُ:

لا شَكَّ في أنَّ مَصَائِبَ العِشْقِ كبيرَةٌ، ولَكنَّ أكْبرَهَا عِشْقُ العُميانِ، ومِنْ مَساوئِ العِشْقِ أنْ يَكونَ المَعْشُوقُ لا يَحْمِلُ مِنْ صِفَاتِ الجَمَالِ وَاحِدةً لِيتعلّق بِهَا العَاشِقُ، فكَيْفَ سَتكُونُ حَالُ العَاشِقِ إنْ كَانَ أعْمَى البَصَرِ وَالبَصيرةِ؟ إذْ سَتَصْدُقُ عليْهِ مقولة (الحُبُّ أعْمَى)، وهَلْ يَكونُ بَصرُ القَلبِ إلَّا مِن بَصِيرَتِهِ؟ ولو تأمَّلنا البيتينِ بإمْعانٍ لَوَجَدْنا تَكْرَارَ الكَلِماتِ وأشْباهِهَا يُثيرُ تأكيدًا عَلَى أنَّ العِشقَ أكْبرُ العَمَى. فيقولُ الخُبزأَرزيُّ في مَعناه:

البسيط

والعِشْقُ أكْبَرُ أَنْ تُحْصَى كَبَائـرُهُ لَكنَّ عِشْقَ العَمَى مِنْ أكْبَـرِ الكُبَـرِ
الحُبُّ أَعْمَى وَذَا أَعْمَى يُحِبُّ وَذَا عَلَى القِيَاسَيْنِ أَعْمَى القَلْبِ والبصَرِ[3]

---

[1] **شرح الديوان**، ٣٨٠-٣٨١ .

[2] كحالة، عمر، **الحب**، ٢٤٢ .

[3] **ديوانه**، ١٨٦/٢ .

ب- عِشْقٌ شاذٌّ:

وَهذا أَبُو تَمّامٍ يَصِفُ الخَمْرَ، ويَذكرُ السَّاقي، فَلا يَنفكُّ قَلبُهُ مُتَعَلَّقًا بِسَاقٍ في خَمَّارَةٍ، وقدْ شَبَّه خُدودَ السَّاقِي الوَرِديَّةَ بِلونِ زُجاجةِ الخَمرةِ الوَرْدِيَّةِ، فَقَلْبُهُ أَعْمَى مُنْذُ تعَلَّقَ بِهِ وصَارَ وَالِهًا حَبيبًا وَرُبَّمَا دَلَّ عَمَاهُ هذا عَلى التَّخَبُّطِ والضَّياعِ، إذْ صَوَّرَ قَلبَهُ إنْسانًا قدْ ذَهبَ نُورُ عينيهِ، ثمَّ ذَكرَ مَحاسِنَ ثَغْرِ السَّاقي، فَلَوْ ضَحِكَ لَكانَ الجَوْهَرُ رَخِيصًا إذا قُورِنَ بِأَسْنانِهِ التي هِيَ أَجْمَلُ مِن الدُّرِ والجَوْهَرِ. يقول:

السريع

وَرِدِيَّةٌ يَحتَثُّـــــها[1] شـادِنٌ كَأَنَّـــها مِن خَـدِّهِ تُعصَـــرُ

مَازالَ قَلبي مُـــذ تَعَلَّقتُـــهُ أَعْمى مِنَ الهُجْرانِ ما يُبصِرُ

مُهَفهَفٌ[2] لَم يَبْتَسِم ضاحِكًا مُـــذْ كانَ إلّا كَسَدَ الجَوْهَـــرُ[3]

٩- القلبُ الحَيُّ:

أ- القلبُ يَحيَا بالقُبَلِ:

وَنَجِدُ الخالِديَّ[4] يَصِفُ قُبَلَ نَصرانيَّةٍ للصَّليبِ، وقدْ رآهَا في دَيرٍ اجْتَمَعُوا فِيهِ لِعِيدِ النَّصَارَى، إذْ يتَمَنَّى لَوْ تكونُ القُبلُ التِي قَبَّلَتْهَا النَّصرانيَّةُ عَلى الصَّليبِ فِي فِيهِ، فَهُوَ أَوْلَى بِذلِكَ، لِأَنَّ قَلْبَهُ سَوفَ يَحيَا إنْ قبّلَتْهُ إِحْدَى قُبَلِهَا تِلْكَ، وإنّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ بِالحَيَاةِ لِقلبِهِ؛ حَيَاةَ الحُبِّ وَالعِشْقِ، لا حَيَاةَ المَوْلِدِ فَالمَوْتِ فَالنُّشُورِ، وَتلِكَ إشَارَةٌ لِتَجدُّدِ الشَّبَابِ، وَرُجُوعِ الفَرحِ إِلَى مُهْجَةِ قَلْبِهِ، لأَنَّهُ يَتَحَرَّقُ شَوْقًا إلى تِلْكَ القُبَلِ. وقدْ صَوَّرَ قلبَهُ وهو منتزَعٌ من صَدرِهِ بالحَبِّ الذي يُقْلَى عَلَى سَطِيحِ المَقْلى. قال:

---

[1] حثّه على الشيء واستحثّه: أي حَضّه عليه، الجوهري، **الصحاح**، مادة (حَثَث) .

[2] هفهف الرجل: إذا مُشِق بدنه فصار كأنّه غصن يميد ملاحة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هَفهَف) .

[3] **ديوانه**، ٢٦٦/٢ .

[4] هو سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرّام بن يزيد بن عبد الله، أبو عثمان الخالدي أحد الخالديين، أخو أبو بكر الخالِدي، كان حافِظًا، وكان هو وأخوه يغصبان الشّعر من أيِّ شخصٍ كانَ حيًا أو ميتًا، وله مع أخيه أبي بكر مصنَّفات كثيرةٌ اشتركا فيها، منها كتاب (أخبار الموصل) وكتاب (الأشباه والنّظائر)، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ١٦٤/١٥. وينتهي نسبه إلى عبد القيس، كان هو وأخوه أبو بكر أديبي البصرة وشاعريها في وقتهما، وكان السريُّ الرّفاء يدّعي بأنّهما يأخذان شعره، وقد جمع أبو عُثمانُ شعره وشعر أخيه قبل موتهِ ومات أبو عثمان الخالدي سنة ٣٧١هـ. ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٢٠٨/١١-٢٠٩ .

الكامل

لَثَمَ الصَّليبَ فَقُلْتُ مِنْ حَسَـدٍ قُبَلُ الحَبيب فَمي بِها أَوْلَى

جُدْ لي بِإِحْداهُنَّ كَيْ يَحْيا بِها قَلْبي فَحَبَّتُهُ عَلى (المَقْلـى[1])[2]

ب- مُحْيِيَةٌ وَقاتِلٌ:

يَصِفُ أبو نُواسٍ جَارِيَةَ (زُهيرٍ بن المُسَيَّبِ)[3]، واسْمُهَا (قاتِل)، فَهِيَ على ضِدٍّ مُسَمَّاهَا، تُحيي القَلْبَ وتُعِيدُ لَهُ شَبَابَهُ، وقَدْ صَوَّرَ نُعومَتَهَا وجَمالَ وجْهِهَا وبَيَاضَهُ بالجَوْهَرِ، بلْ هوَ أصْفى مِن الجَوْهَرِ وأَنْعَمُ، ولَرُبَّمَا سُميَت (قَاتِل) بِهذا الاسمِ لأنَّها قتلتِ المُحبِّينَ بِجَمَالِها، وفيها يقولُ:

المتقارب

أَمُحْيِيَةَ القَلْبِ ضِدَّ اسْمِهَا أَرَقَّ وَأَصْفَى مِنَ الجَوْهَرِ[4]

١٠- القلب السَّليم الصَّحيح:

أ- قَلبُ الخَيْلِ:

يَصِفُ ابنُ الرُّوميِّ خَيْلَ مَرثِيِّهِ، فَهُوَ قَويُّ الظَّهْرِ مَنيعُهُ لا يَلتَوي، فَلَيْسَ ذَلِكَ الحِمْلُ عليهِ يُدْمِي أَسْفَلَ ظَهْرِهِ، أمَّا قَلْبُهُ فَسَلِيمٌ، لأنَّهُ يَنْصَاعُ إلى سَيِّدِهِ ويَسيرُ دوُنَمَا ضَرْبٍ، ورُبَّما يجْرِي ويَعدو بِبعْضِ الضَّرْبِ أحيانًا. يقول:

الكامل

ومَنيعِ ظَهْرٍ رَاحَ قَـــدْ حَمَّلْتَهُ تَحْمِيلَ مَنْ لم تُدْمِ مِنْهُ سَناسِنَا[5]

فَغَدَا سَلِيمَ القَلْبِ غَيرَ مُضَـاغِنٍ[6] وَلرُبَّما خَنـعَ العَــدْوَ مُضاغِنـا[7]

---

[1] يقلي الحبَّ ويقلوه على المَقلى والمقلاة، وجلبوا المقالي من القلاءة: وهي الموضع الذي تُعمل فيه، الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة (قَلَو) .

[2] الثعالبي، **يتيمة الدهر للثعالبي**، ٢٤١/٢. والشعر لأبي عثمان الخالدي في باب (ما أُخرِج من سائر غرر أبي عثمان ومُلَحِه) .

[3] هو زهير بن المُسيَّب الضَّبي (٠-٢٠١هـ /٠-٨١٦م)، أحد القادة في العصر العباسي، كان مع المأمون في ثورته على الأمين، إلى أن ظفر المأمون، استعمله الحسن بن سهل على خوخي بين(خانقين وخوزستان)، فلّما قامت الفتنة على الحسن ببغداد وامتدَّت إلى الأطراف أُسر فيها زهير وقُتل ذبحًا. الزركلي، **الأعلام**، ٥٢/٣ .

[4] **ديوانه**، ٢٩٤ .

[5] السناسن: أطراف فقار الظهر، ابن دريد، **جمهرة اللغة**، مادة (سنسن) .

[6] فرس ضَاغِن: لا يُعطي ما عندَهُ إلّا بالجَري، الجوهري، **الصّحاح**، مادة (ضغن) .

[7] **ديوانه**، ٤٩٢/٣ .

ب- قلبٌ صحيحٌ بِسَلمى:

وفِي مَعرِض الحَديثِ عَن صِحَّةِ القَلبِ يُورِدُ صَاحِبُ الأَغاني قِصَّةً عَلَى ذَلِكَ، "كَانَ سَلْمُ الخَاسِرُ[1] مِن غِلمانِ بَشَّارٍ، فَلمَا قَالَ بَشَّارٌ قَصِيدتَهُ المِيمِيَّةَ فِي عُمَرَ بن العَلاءِ، بَعَثَ بِهَا مَع سَلْمٍ الخَاسِرِ إِلى عُمَرَ بنِ العَلاءِ، فَوافَاهُ فأنشدَهُ إِيَّاهَا، فأمَرَ لِبَشَّارٍ بِمائةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ لَهُ سَلْم: إِنَّ خَادِمَكَ-يعني نفسه- قَدْ قالَ فِي طَرِيقِهِ فِيكَ قَصِيدَةً، قَالَ: فإِنَّكَ لَهُناكَ؟ قَالَ: تَسمَع، ثُمَّ تَحكُم، ثُمَّ قَالَ: هَاتِ، فأَنْشَدَهُ وَكَانَ مِنْ ضِمْنِهَا بَيْتٌ:

السريع

كمْ كُرْبَةٍ قد مَسَّني ضُرُّها نَاديْتُ فيها عُمَرَ بن العَلاءْ

قَالَ: فَأَمَرَ لَهُ بِعشْرةِ آلافِ دِرْهَمٍ، فَكَانَتْ أَوَّلَ عَطِيَّةٍ سَنِيَّةٍ وَصَلَتْ إليه"[2].

فَهَا هُوَ سَلْمُ الخَاسِرُ يَتغزَّلُ ذَاكِرًا النِّساءَ الحِسَانَ، إِذْ لا دَواءَ لِنَفسٍ تَرى الجَمَالَ، ولا افْتِكَاكَ مِنْهُ إِلَّا بِأَمْرٍ مِنْ الحِسَانِ، فَالقَلْبُ الصَّحِيحُ الصَّاحِي الضَّمِيرِ سيَصيرُ مَرِيْضًا إِنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ الجَمَالَ وهَذِهِ حالُ قَلْبِ الشَّاعِرِ، لأَنّهُ أَصْبَحَ بَعدَ رَحيلِ سَلمَى مَرِيضًا بَعْدَمَا كَانَ صَحِيحًا مُعافىً، فَقَدْ أَهْلَكَتِ النَّساءُ صِحّة قَلبِهِ حَتّى صَارَ عَليلًا بالحُبِّ.

وفِي قولِهِ (أَسْطو) تَشبيهٌ ضِمنيٌّ لِقَلبِهِ باللِّصِّ الذي كان يَسرِقُ الحُبَّ لِيُعَاوِنَهُ على الحَبيبِ وَيَرِيدُ بِأَنَّهُ يَسْرِقُ الحُبَّ عُنوةً مِنْ سَلمَى، جَهَارًا نَهَارًا. قَالَ سَلْمٌ الخاسِرُ:

السريع

قَد عَزَّنِي الدَّاءُ فَمَا لِي دَوَاءْ مِمَّا أَلاقي مِن حِسانِ النِّساءْ

قَلبٌ صَحيحٌ كُنتُ أَسطو بِــهِ أَصبَحَ مِن سَلمــى بِداءٍ عَياءْ[3]

---

[1] هو سَلْمُ بن عمرو بن حمَّاد بن عَطاء بن ياسر، وقيل عطاء بن ريسان، من موالي أبي بكر، وقيل من موالي عبد الله بن جدعان، وهو شاعرٌ مُكثرٌ مطبوع، وسُمي الخاسر لأنه باع مصحفًا واشترى بدله دفاتر شعر، وكان يأخذ شعر بشّارٍ ويصوغه بشكلٍ أتقن، مات سلم قريبًا من سنة ١٨٠هـ. ينظر: الصّفدي، **الوافي بالوفيات**، ١٥/١٨٨-١٨٩ .

[2] ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ١٩/١٩١ .

[3] **نفسه**، ١٩/١٩١ .

١١- القلب المريض:

أ- مَرَضٌ بِهَجْرِ الحَبيبِ:

يَشْكُو الخُبزأرزيُّ حَالتَهُ إلى حَبيبِه الذي كَنَّاهُ بِطَبيبِ القُلوبِ، فَحَبيبُهُ هُو طَبِيبُهُ الذي سَيُشْفَى على يَدَيه، وقَدْ صَوَّرَ الشَّاعِرُ قلبَهُ شَخْصًا مَرِيْضًا، وَدَعا طَبيبَهُ (حَبيبَهُ) إلى تَشْخِيصِ حَالَتِهِ، وَلَكِنْ كَيفَ سيُشفَى العَليلُ مِنْ مَرضِهِ وَهُو لا يَبوحُ لِطَبيبِهِ بِمَرضِهِ الذي يُقاسِي؟ وكَيْفَ سيُعطِيهِ الطَّبيبُ عِلاجًا إنْ لَمْ يُشَخِّصْ حالَتَهُ تِلْكَ؟ وكَيفَ سَيُشفَى العَليلُ مِن الهَجْرِ إذا لَمْ يَبُحْ لِحبِيبِهِ بلواعِجِ صَدْرِهِ؟ قال:

الخفيف

يَا طَبِيبَ القُلوبِ قَلبِي عَلِيلٌ فَتَلَطَّف وَافْطَنْ لِبَعْضِ المَعَانِي

وَمَتَى يَرتجِي العَليــلُ شِفَاءً وهو يَلقى الطَّبيبَ بالكِـــتْمَانِ[١]

ب- حسودٌ:

يُعاتِبُ ابن طَبَاطَبا مَنْ رَاحَ يَلومُهُ في طَلَبِ العِلْمِ، وقَدْ نَعَتَ لائِمَهُ بِالحَسودِ، بَلْ إنَّ قَلبَ هَذَا الحَسودِ مَرِيْضٌ مِن الحَسَدِ مُخْفِيًا أنينَ حَسْرَةٍ تَحْتَهُ، فَهُو حَزِيْنٌ مُكتئبٌ، لِمَا يَلاقِيهِ الشَّاعِرُ مِن حُسْنِ المُنقَلَبِ في طَلَبِ العِلْمِ. قَالَ:

الطويل

حَسُودٌ مَريضُ القَلبِ يُخْفِي أَنِيْنَـهُ وَيُضْحِي كَئيبَ البَالِ عِنْدي حَزِينَهُ

يَلومُ عَلَى أنْ رُحْتُ فِي العِلْمِ رَاغِبًا أُجمِّعُ مِن عِنـــد الرِّجـــالِ فُنونَـهُ[٢]

١٢- القلبُ المُطيعُ المُنقادُ:

أ- ضعْفُ الحبيبِ:

يُخاطِبُ البُحتريُّ حَبيبَتَهُ التي أَرْهَقَتْهُ، ويَقُولُ لَهَا: لقدْ عَلِمتِ يَقينًا مَا فعَلَتْ نَارُ حُبِّكِ في قَلبي حَتَى أحرَقَتْهُ شوقًا، وكيف انقادَ قَلْبي إليكِ وكَأنَّهُ مَربوطٌ بحبلِ هواكِ، فَرِفقًا رِفْقًا، لِأنَّ قوايَ قَدْ

---

[١] **ديوانه**، ١٨٤/٤ .

[٢] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٨٤/٢. لم أجد البيتين في **ديوان ابن طباطبا** .

خَارَتْ، وأمرَضَنِي الهَوَى واجْتاحَ نَفْسي، لكِنْ لا بأسَ بِهِ فَلْيَكُنِ المَرضُ بِحُبِّكِ، فَهُوَ المَحمودُ عِندي الذي لا عُوَّادَ يَعُودُونَنِي فِيهِ، إذْ لا يَدْرُونَهُ. وفي تتابُعِ كلِمَتَي(جَوى الهَوى) تجانسٌ صوتِيٌّ يَصُبُّ فِي الأذُنِ مُوسيقىً جَميلَةً، وتِلكَ لَطِيفةٌ يُرادُ مِنْهَا ظُلْمُ الهَوى وجِنايَتُهُ عَلَى النَّفْسِ. لِيَقولَ:

الكامل

وَلَقَدْ عَرَفْتِ جَوَى الهَوى في مِنَّتي[1] وَرَأَيْتِ طـاعَةَ قَلبِيَ المُنْقَادِ

وَالحُبُّ شَكْوٌ لِلنُّفــوسِ يَسُرُّنـــي سَهوُ العَوائِدِ[2] عَنْهُ وَالعُـوَّادِ[3]

ب- تَعَلُّقٌ بالحَبيبَةِ، فَفِيهَا الحيَاةُ:

إنَّ القَلْبَ يُخالِفُ العَقْلَ، فابنُ الرُّوميِّ لا يَملِكُ قلْبَهُ وَكَأَنَّهُ قدْ خَرَجَ عَن سَيطَرتِهِ كَمَا تَخرُجُ الخَيلُ عَنْ حَبْلِ مُجْرِيْهَا فَتَجْمَحُ، إذْ لا حِقْدَ يَمَسُّ حَبيبَهُ. وَلَو أَذْنَبَ فَمَغْفورٌ لَهُ، وَحَياةُ الشَّاعرِ تتَمَثَّلُ فِي حَبِيبِهِ، فَاستَخدَمَ المَجازَ حينَما عَدَّها حياتَهُ، إذْ بِدونِها يكونُ المَوتُ قَدَرَهُ، لِذَلِكَ لَيسَ يَنْصرِفُ عَنْهَا حتَّى لَو بَدَا مِنْهَا البُعد والهُجرانُ، فقالَ:

البسيط

قَلْبِي إِلَيْكَ -وإن أعرضْتُ- مُنْقَادُ ليستْ عَليكَ -وإن أذنبتَ- أحقادُ

أنْتَ الحَياةُ فَأنَّى عَنكَ مُنصَـرَفي؟ وإنْ بَـدا مِنْكَ إقصـاءٌ وإبعـادُ[4]

١٣- القلب العاصي المخالف:

أ- قلبٌ مُعينٌ للحَبيبِ على صَاحِبِهِ:

إنَّ الشَّاعِرَ الرَّاضِيَ باللهِ قَدْ مَنَحَ حُبَّهُ إلى مَنْ يستحِقُّهُ، لَكِنَّهُ يَودُّ لو يَستَطيعُ التَّخلُّصَ مِنْ ذَلِكُمُ الودِّ، فَيصبِّرَ نَفْسهُ عَنْهُ، لكنَّ قلبَهُ يَأبَى ذَلِكَ الصَّبْرَ، جَاعِلًا مِنْ قَلْبِهِ شَخْصًا يَقُودُهُ ويُقَرِّرُ لَهُ مَصِيْرَهُ، فلا يَنْصَاعُ القَلْبُ لِصَاحِبِهِ، بَلْ لِمَا يُريد هُوَ، فَيَعْصِي صَاحِبَهُ فِي تَرْكِ هَوى الحَبيبِ، بَلْ إنَّ القلبَ يُغَالِي، فيُساعِدُ الحبيبَ علَى صَاحِبِهِ ويُعينُهُ علَيهِ. يقولُ:

---

[1] المنّة: القوة، الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة (منن) .

[2] العوائد: اللَّواتي يعُدن المريض، الواحدة عَائدة، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (عَادَ) .

[3] **ديوانه**، ٧٣١/٢ .

[4] **ديوانه**، ٤٤٧/١ .

المجتث

مَنَحْتُكَ الـــوُدَّ مِنِّـي فَجــازِ بِالـوُدِّ مِنْكَـــا

لَوْ كانَ قَلْبِي مُطِـيعًا طَمِعْتُ في الصَّبْرِ عَنْكا

لكِنَّهُ فِيـــــكَ عاصٍ يَكُفُّ إِنْ لَـــمْ يُعِنْكـــا[1]

ب- عِصيانٌ مُتعمَّد:

لقَدِ انقَضَتْ سِنينُ عُمْرِ البُحْتريِّ وَتقطَّعتْ بِهِ السُّبُلُ، فَلا وَصْلٌ مِن الحَبيبةِ يُؤمِّلُهُ بِالاسْتِمرَارِ ومُواصَلَةِ الحُبِّ، ولا هو بِاليَائِسِ يَأْسًا يُنْسِيهِ الحَبيبَةَ، فَهُوَ مُعَلَّقٌ بَينَ كِلتَا الحالَتينِ: التَّرْكِ أو المُوَاصَلَةِ، وقَدْ جَعَلَ العِصيَانَ مُخْتَصًّا بِقَلْبِهِ، ولا يَتَعَجَّبُ الشَّاعِرُ مِن عِصْيانِ قَلبِ حَبِيبَتِهِ لَهُ، لأنَّ قَلْبَهُ قَدْ بَدَأَهُ بِذلِكَ قَبلًا، لِيُبادِلَهُ الشُّعورَ ذَاتَهُ مِن العِصيانِ، فَيقولُ:

البسيط

تَصَرَّمَ الدَهرُ لا وَصلٌ فَيُطْمِعُنـــي فيمــا لَدَيــكِ وَلا يَأسٌ فَيُسْلِينـي

وَلَستُ أَعْجَبُ مِن عِصيانِ قَلبِكِ لي عَمدًا إِذا كانَ قَلبي فِيكِ يَعصِينِي[2]

١٤- القلبُ المُقِرُّ المُعْترفُ:

أ- حُمَّى القَلْبِ:

اسْتَخْدَمَ ابن الزَّيَّاتِ المَجازَ والتَّشخِيصَ، فَجَعَلَ مِنْ القَلبِ شَخْصًا يَتكلَّمُ ويُحدِّثُ بِالحُبِّ عنْ أميرَةٍ قَدْ هَوِيَهَا. وَتَدورُ المُحَاورَةُ بينَ الشّاعرِ وقَلبِهِ اللَّحوحِ، فَكأنّهُما اثْنانِ يَتحَادَثَانِ، إذِ القلبُ يُحدِّثُ والشَّاعرُ يُجيبُهُ ويَطلُبُ إليهِ التَّصَبُّرَ عَلى العِشْقِ إنْ اسْتطاعَ إلَيْهِ سَبيلًا، فاحْتِمالُ حَرارَةِ العِشْقِ التِي سَتَكوي حِجَابَهُ وَشُغافَهُ لَاذِعَةٌ لا تُحْتَمَلُ. والاسْتِعَارَةُ وَاضِحَةٌ في قَوْلِهِ (كَأسَ عِشْقٍ)، فِيَجْعَلُ مِن العِشْقِ شَرَابًا لاذِعًا يُثيرُ حُمَّى في القَلبِ. لِيقولَ:

---

[1] الصولي، **كتاب الأوراق، قسم أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، ١٧٨ .

[2] **ديوانه**، ٤/٢٢٤٧-٢٢٤٨ .

الوافر

فَقالَ القَلبُ، ثُمَّ أَقَرَّ هاقَـــــدْ عَشِقتَ أَميـرَةً تَهوى اجتِنابي

تَصَبَّر قَد سَقَينَكَ كَأسَ عِشْقٍ حُمَيَّاها[1] تَجولُ عَلـى الحِجابِ[2]

ب- ذُلٌّ محْمُودٌ:

يَعْتَرِفُ القَلْبُ بِأَنَّ التَّذَلُّلَ لِلحَبيبِ شَرَفٌ، ويُقرُّ بِذلك الشَّرفِ، فَلا يَدَعُ للظَّاهريِّ قَرَارًا، وإنَّما القَرَارُ لَهُ، وَبِذَلِكَ يَجْعَلُ الشَّاعِرُ لِقَلبِهِ رَأيًا، فَشَخَّصَهُ إِنْسَانًا يُحَكِّمُ الأُمُورَ ويُبدي الآرَاءَ، فَيَقُولُ لَهُ الشَّاعِرُ: اعمَلْ كَمَا تَشَاءُ، فَأَنَا رَاضٍ بِحُكْمِكَ، إِذْ لا مُعقِّبَ لَهُ، ولَنْ أعتَبِرهُ خُرُوجًا عَنْ إِرَادَتِي، ولَا جُرْمًا. وفَي كَلِمَتَي (شَرَف وسَرَف) جِناسٌ ناقِصٌ يُضفِي جَمَالًا على القافِيَةِ. يقول الظَّاهري:

البسيط

قَدْ ذَلَّلَ الشَّوْقُ قَلبِي فَهُو مُعتَـرِفٌ أَنَّ التَّذَلُّلَ فِي حُكْمِ الهَـوى شَرَفُ

فَاعْمَـلْ بِرأيِكَ لا أَدْعُــوكَ مُعْتَـدِيًا وَلا أَقُولُ لِشيءٍ قُلْتَـــــهُ (سَرَفُ[3])[4]

١٥- القلب الأمين الصادق:

أ- إخْلاصٌ وَثَبَاتٌ:

إنَّ الإخْلاصَ جَوْهَرُ ثَباتِ المودَّةِ بَينَ الأحْبابِ، وهَذِهِ صِفَةُ الشَّريفِ الرَّضيِّ في تَصَرُّفِهِ مع الحَبِيبِ، فَحَبيبُهُ مَحْفوظٌ في مَكَانٍ مَكينٍ لا يُطَاوِلُهُ أَحَدٌ، كَمَا تُحْفَظُ النَّفَائِسُ في أَوْصَدِ الأمْكِنَةِ ويَقولُ لِحَبِيبِهِ: إذا اعْتَقَدْتَ أَنِّي قَدْ نَسيتُكَ أو تناسيتُكَ، فَأَنْتَ مُخْطِئٌ تَمامًا، لِأَنِّي فِي كُلِّ يومٍ أَكُونُ أعشَقُ من الذي قَبْلَهُ، لِذَلِكَ لا تَخَفِ القَطِيْعةَ لأنّ قَلْبي مَأمونٌ جانِبُهُ لا يَغْدُرُ، وأمينٌ لكَ لا يَخونُكَ في أيِّ شيءٍ. أمَا تَرى جمَالَ قوْلِهِ حينَ يَقولُ: (مَكَانٌ مَكِين، ومَأْمُونٌ أمِيْن)، فقَدَ أتى بِحُرُوفٍ مُتَشَابِهاتٍ لِكلِماتٍ مُتتَابِعَةٍ، من بابِ الإتباعِ، مُشَكِّلةً ترانيمَ ونَغَمًا مُوسِيقيًّا جَميلًا، فيقولُ:

---

[1] حميًّا: بلوغ الخمر من شاربها، الفراهيدي، **العين**، مادة (حَمَو) .

[2] **ديوانه**، ١٦٦ .

[3] السَّرَف: الخطأ، ابن عباد، **المحيط في اللغة**، مدة (سَرَفَ) .

[4] **الزهرة**، ١٠٧/١ .

الوافر

لَقَدْ آوى مَحَلَّكَ مِن فُـؤادِي مَكانٌ، لَوْ عَلِمـتَ بِهِ، مَكينُ

إِذا قَـدَّرتَ أَنّي عَنــكَ سالٍ فَذاكَ اليَومَ أَعشَقُ ما أَكونُ

فَلا تَخشَ القَطيعَةَ إِنَّ قَلبي عَليــكَ اليَـومَ مَأمونٌ أَمـينُ[1]

ب- دُمُوعُ الصِّدْقِ:

القَلْبُ يُملِي عَلَى اللِّسَانِ فَيَنْطِقُ حُبًّا، واليَدُ تَكتُبُ رِسَالةَ عِشْقٍ لِمَعْشُوقٍ، مُزِجَ حِبْرُهَا بِدُمُوعِ العَاشِقِ، وتِلكَ مُبَالَغَةٌ في وَصْفِ حالَةِ الحُزْنِ التي أَصَابَتِ العاشِقَ، فَشَهِدَتْ لَهُ الجَوارِحُ بِصِدقِ مَشاعِرِ القَلْبِ، وَقَدْ وَظَّفَ عليُّ بن الجَهْمِ[2] الحَواسَّ خيْرَ تَوْظِيفٍ، فاللِّسانُ مُتَمَثِّلٌ بِكلامِهِ الجَميلِ واليَدُ بِحُسْنِ خَطِّهَا للكَلامِ، والعَيْنُ بانْهِمارِ دُموعِهَا، وَتِلْكَ عَلامَاتُ العَاشِقِ. قالَ ابن الجَهْمِ:

الكامل

قَلبٌ يُمِــلُّ عَلى لِسانٍ ناطِقٍ وَيَدٌ تَخُطُّ رِسالَةً مِـن عاشِقِ

مَزَجَ المِدادَ بِعَبرَةٍ شَهِدَتْ لَـهُ مِن كُلِّ جارِحَةٍ بِقَلبٍ صادِقِ[3]

١٦- القلب الخائن:

أ- خِيانَةٌ مَحْمُوْدَةٌ:

يَمْدَحُ ابنُ المُعْتَزِّ وَزِيرًا، ونَرَاهُ يُحدِّثُ قَلْبَهُ بِالخيَانَةِ وَيَلُومُهُ عَلَيْها، ولَكِنَّهَا خِيَانَةٌ مَحمودَةٌ، وكَأَنَّ تَوْبَتَهُ حَبْلٌ مَعْقُودٌ قَدْ عَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ، إِذِ اسْتَعارَ للتَّوْبَةِ عُقدةً، ثُمَّ يَلومُ عَيْنَهُ التي تَرَى جَمَالَ الوَجْهِ فَتَلْحَقُهُ، وَهِيَ أَسَاسُ انْفِلاتِ القَلْبِ مِنْ عِقَالِهِ، فَلَوْلاهَا لَمَا كَانَ لِلقَلْبِ عِصْيَانٌ وَخِيَانَةٌ، ويَصِفُ الوَزِيرَ بِأحسَنِ المَكْرُمَاتِ، فهُوَ الذي يَحُلُّ المُعْضِلاتِ ويُفرِّجُ المَصَائِبَ والكُرُبَاتِ. قال:

---

[1] **ديوانه**، ٤٤٣/٢ .

[2] هو أبو الحسن، علي بن الجَهْم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي السَّامي، ينتهي نسبه إلى سامة بن لؤي بن غالب، وُلد سنة ١٨٨هـ تقريبًا، ونشأ بخراسان، وتوفي سنة ٢٤٩هـ. ينظر: **ديوان علي بن الجهم، مقدمة المحقق**، ٥-٦، وينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ١٦٢/١٠-١٦٣ . وينظر ترجمته: ابن المعتز، **طبقات الشعراء**، ٣١٩-٣٢٢ .

[3] **ديوانه**، ١٥٦-١٥٧. وفي **العقد الفريد** لابن عبدربه، ١١٢/٨، الأبيات لجارية علي بن الجهم .

الكامل

يا قَلبِ وَيحَكَ خُنتَني وَفَعَلتَها وَحَلَلتَ عُقدَةَ تَوبَتي وَنَقَضْتَـها

يا عَينِ مِنكِ بَلِيَّتي شاهَدتُـها هَلّا عَنِ الوَجهِ الجَميلِ سَتَرتَها

يا ثالِثَ الوُزَراءِ كَم مِن حَلْقَةٍ لِلكَرْبِ وَالأَحزانِ قَـــدْ فَرَّجتَـها[1]

ب- طَبْعُ القُلُوبِ:

وفي غزَلٍ بالمُذَكَّرِ، يُلقي أَبو نُواسٍ اللَّوم كلَّه عَلى عَينَيهِ التي جَعَلَتْ مِنْ قَلبِهِ خائِنًا، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى القُلُوبِ بِغَرِيبٍ، فَاسْمُهَا القُلُوبُ لأَنَّها مِن التَّقَلُّب، وِفِي الخِيانَةِ ذَهَابُ الحَبيبِ، وَبِذَهَابِه ذَهَابُ الجَمالِ ومُتْعَةِ النّظَرِ ورِقَّةِ العَيْشِ وطِيبِ الرَّيحانِ وَحَلاوَتِهِ، واسْتَخدَمَ الشَّاعِرُ الغَدْرَ مَعنَىً مُرَادِفًا لِلخِيانَةِ ليُؤَكِّد عَلَى وُجودِهَا في قلبِ المُتَغزَّلِ بِهِ، ويؤكِّدُ الشَّاعرُ ذَلِكَ بِقَسَمٍ لِينفِيَ تُهمة الخِيانَةِ عَنْ نَفْسِهِ، وَليَخْلَعَهَا عَلَى قَلْبِهِ. يقول:

مجزوء البسيط

يا قَلبُ يا خائِنَ الحَبيبِ مـا أَنتَ إِلّا مِنَ القُلوبِ

قُرَّةُ عَينِي وَبَـرْدُ عَيْشـي بَانَ، وَرَيْحانَتي وَطِيبـي

غَـدَرْتَ لا شَكَّ بِالحَبيــبِ أَحلِفُ بِالسَّامِعِ المُجيبِ[2]

١٧- القَلْبُ المَسْكَنُ الوَطَنُ:

أ- بيتٌ بِلا أعمدةٍ:

ويُطالِعُنا المتنبي بغَزَلٍ في أعرابيَّةٍ مَلَكتْ قلبَهُ فأقامَتْ فيهِ، "وَالحَقُّ أنّ المُتنبي كَانَ إذا فَرَغَ إلى نَفسِهِ، أوْ كَانَتِ المَواقِفُ بِحَيثُ يَستَطِيعُ أنْ يَتغلَّبَ عَلَيْهَا، وَجَدْنَاهُ مَفْتُونًا بِالمَرْأَةِ هَيَّامًا بِهَا. يَدُلُّ عَلَى ذَلكَ مُفتَتَحُ قَصَائِدِهِ التِي يُنْشِدُهَا سَاعَةَ الاسْتِقْرارِ النِّسبِيِّ، فَفِيْهَا كَثْرَةٌ كَاثِرَةٌ مِن النَّسيبِ والتَّشْبِيبِ غَيرَ أنَّ حَياتَهُ التي اخْتارَ لَهَا أنْ تَكونَ فِي بَلاطِ أبِي العَشَائِرِ أَو سَيفِ الدَّولَةِ أو كَافُورٍ، أوْ غَيْرِهِمْ

[1] **ديوانه**، ١٠٤ .

[2] **ديوانه**، ٣٩١ .

مِن الأُمَراءِ وَعِليَةِ القَومِ تُحتِّمُ عَليهِ أنْ يَكْتُمَ حُبَّهُ – وإنْ بَرَى جَسَدَهُ– وَأنْ يَلْزَمَ حَياةَ الجِدِّ؛ لِيَصِلَ إلى الهَدَفِ، ومِنْ هُنَا لَمْ يُحَدِّثْنا عَنْ زَوْجَةٍ، وَتَصْرِيْحُهُ بِأسْمَاءِ مَنْ أحَبَّهُنّ يَكَادَ يَكُونُ مَعْدُومًا"[1].

وَقَدْ مَلَكَت الأعْرابيّةُ بيتًا مِن القلبِ لَمْ تَبْنِهِ، ولَمْ تتْعَبْ في بِنائِهِ، فالبيتُ يَحتاجُ الطُّنُبَ والأوْتادَ وبَيتُ القلبِ لا يحتَاجُهَا، لِذلِكَ فَهُوَ المَجازُ، والمُتَنَبِي لَمْ يَكْتَفِ بِتَشْبِيهِ القَدِّ بالغُصْنِ لِأنَّهَا أقْوَمُ مِنْهُ وأَعْدَلُ، فَمَن شَبَّهَهَا بِذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَهَا، وكَذَلِكَ منْ شَبَّه الرِّيقَ بِالعَسَلِ لَمْ يُنْصِفْهَا، فَالظُّلْمُ كُلُّ الظُّلمِ إذَا كَانَ العَسَلُ يُدَانِي رِيْقَهَا، إذْ إنَّ رِيْقَهَا أَعْذَبُ مِن العَسَلِ وأَطْيَبُ، وهَذِهِ المُبالَغَةُ في الوَصفِ[2]. يقولُ المُتنبي:

البسيط

هَــامَ الفُؤادُ بِأَعــرابِيَّةٍ سَكَـــنَتْ بَيتًا مِنَ القَلـبِ لَمْ تَمــدُدْ لَهُ طُنُــبا[3]

مَظلومَةُ القَدِّ في تَشبيهِهِ غُصُنًا مَظلومَةُ الرِّيقِ في تَشْبِيهِهِ (ضَرَبا[4])[5]

ب– رَحِيلُ الجسَدِ وبَقاءُ القَلْبِ:

أيُّ حبيبٍ هَذَا الذي يَجْعلُ مِنْ قَلبِهِ مَسْكَنًا لِحَبيبِهِ، يُسْكِنُهُ فَيُؤويهُ! وقَدْ أحسَنَ البُحتُريُّ فِي إطْلاقِ هذا المَجَازِ، لِيُرينَا صُورَةً مَحْسوسَةً تَرْتَسِمُ فِي الأذْهَانِ، فَالحَبيبُ دَاخِلَ القَلْبِ مُقيمٌ فِيهِ وشَخْصُهُ يَسيرُ بَين النّاسِ، والعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ حينَ يكُون هذا الشِّعرُ في غُلامِهِ نَسيمِ الذي باعَهُ فَيَقولُ لَهُ: اذْهَبْ أيْنَما تَشَاءُ وارْحَلْ أنَّى تَشَاءُ، وأقِمْ بِقُرْبِي مَا تَشَاءُ، فَأَنْتَ لَنْ تَبتَعِدَ لأنَّكَ مُقيمٌ فِي قَلبي ونُزُلُكَ فيهِ، فَلْيكُنْ حُبِّي حَيثَما كانَ، فَلَنْ يَبْعد عَنْكَ، لأنَّكَ مِلْكِي وَتَسْكُنُ قَلبي، وَالعَهْدُ بَينَنَا غَيرُ مَنكوثٍ. قال:

الكامل

فَأَقَمْتَ في قَلْبي وَشَخـصُكَ سائِرٌ لا تَبْعَدَنْ مِن ظاعِــنٍ وَمُقــيمِ!

لا كَانَ وَجْدي! أَينَ كَانَ وَأَنْتَ لِي مِلْكٌ وَعَهدي مِنكَ غَيرُ ذَميــمِ!؟[6]

---

[1] شلبي، سعد إسماعيل، **مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي**، ١١٣ .

[2] ينظر: **ديوان المتنبي، هامش التّعليق**، ١١١/١ .

[3] الطُّنُبُ: حبلٌ طويل يُشَدُّ بهِ سُرادِقُ البيتِ، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (طَنب) .

[4] الضَّرَب: العسل الأبيض الغليظ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ضَرَبَ) .

[5] **ديوانه**، ١١١/١ .

[6] **ديوانه**، ١٩٩٥/٣ .

١٨- القَلبُ الأسِيرُ:

أ- أسِيرُ الغَانِيَاتِ:

يَبْلُغُ تَعَلَّقُ البُحتريِّ بِمَحْبُوبِهِ مَبْلَغًا عَظِيمًا، إذْ يَجْعَلُ حَبِيبتَهُ فِي إِنْسَانِ عَينِهِ وَيُغْلِقُهَا عَليهَا حَتَّى لا تَتَأذَّى، مُسْتَخدِمًا المَجازَ والمُبالَغَةَ في ذَلِكَ، فَهُو لا يَستَطِيعُ النَّومَ لِتعلُّقِ الحَبيبِ بِعيونِهِ، وَلَيسَ هَذَا الوَصْلُ للغَوانِي ذَا جَدْوَى، بَل هُو الشَّقاءُ المَحمودُ، أمَّا القَلْبُ فَهوَ أسِيرُ الغَانِياتِ، لا يَستَطِيعُ التَّخلصَ مِنْهنَّ، وَقدْ شَبَّه قَلْبَهُ بِالعَبْدِ الذي يَخْدِمُ سيِّداتِهِ الغَانِياتِ، فَلا يَستَطيعُ الفِكاكَ مِن العُبوديَّةِ. يقول:

الطويل

أَضُمُّ عَلَيــهِ جَفنَ عَينِــيْ تَعَلُّقًا ... بِــهِ عِندَ إِجلاءِ النُّعاسِ المُرَنِّــقِ[١]

أَجِدَّكَ مَا وَصْلُ الغَواني بِمُطْمِعٍ ... وَلا القَلبُ مِن رِقِّ الغَواني بِمُعْتَقِ[٢]

ب- الأسِيْرُ المَقتولُ:

يُشبِّهُ الشَّاعِرُ الخُبزأَرْزِيُّ قَلْبَهُ بالجُنْدِيِّ الأَسِيرِ فِي مَعرَكَةٍ خَاسِرَةٍ قَدْ خَاضَهَا، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ جَيْشٌ مِن الكَرْبِ لا قِبَلَ لَهُ بِهِ فَقَتَلوهُ، وكيْفَ يَكونُ لِلكَرْبِ جيشٌ؟! إلَّا إذا قَصَدَ الاسْتِعَارة في ذلِكَ وقدْ جَعَلَ الشَّاعِرُ الغَرامَ قائدَ تِلكَ المَعْرَكَةِ، في اسْتِعارَةٍ ثَانِيَةٍ، مُسْتَعِيرًا للموتِ سُيوفًا يَسْتَلُّها لِيَذْبَحَ قَلْبَ الشَّاعرِ الذي مَا عَادَ يَصْبِرُ عَلَى تَزَاحُمِ جُيوشِ الغَرَامِ في قَلبِهِ. تِلكَ اسْتِعَاراتٌ جميلَةٌ تَدُلُّ عَلَى عَذَاباتِ الشَّاعِرِ، وَسُوءِ نَفسيَّتِهِ وَمُنْقَلَبِهِ. قالَ:

البسيط

كَأنَّ قَلبِي أسِيرٌ قَــــدْ أَحَاطَ بِهِ ... جَيْشٌ مِن الكَربِ لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ

سَلَّ الغَرامُ سُيوفَ المَوتِ يُبْرِقُها ... عَلى الحَيَاةِ فَعـزَّ الصَّــبرُ والجَــلَدُ[٣]

---

[١] رنَّق النوم من عيونه ترنيقًا: خَالطها، ابن دريد، **جمهرة اللغة**، مادة (رَقَنَ) .

[٢] **ديوانه**، ١٥٠٩/٣ .

[٣] **ديوانه**، ١٢٨/١ .

ثالثًا: بابُ ذِكْر مُتعلّقاتِ القلبِ من مَحسوساتِهِ المَادِّيَّةِ

١- جُروحُ القَلْبِ وَدِمَاؤُهُ:

أ- قلبٌ جارِحٌ:

وَفِي صُوْرَةِ المَجَازِ المَبْنِيِّ عَلَى المُبَالَغَةِ، وتِلكَ صُورَةٌ تَشخِيصِيَّةٌ إيحائِيَّةٌ لجَعْلِ الجَمَادِ واقِعًا يُشَبِّهُ أبو نُواسٍ فِيهَا قَلْبَهُ بالإنْسَانِ الذي يُصَافِحُ شَخْصًا فَيَؤْلِمُ كَفَّهُ، وتَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ عَلامَاتُ المُصَافَحَةِ، كالجُرْحِ أوْ ما شَابَهَ، وقَدْ أعمَلَ التَّوْرِيَةَ حِيْنَ جعَلَ الصَّفْحَ مِن القَلْبِ مَحْسوسًا وأرَادَ الصَّفْحَ الذي يَكُونُ بِالمُسامَحَةِ، وكَذَلِكَ الفِكْرُ حِينَ جعَلَهُ جارِحًا يُدْمِي، وهُوَ الجُرْحُ النَّفْسِيُّ الذي يَخْتَلِجُ القُلُوبَ، فَيَكْسِرُ خَواطِرَهَا، ليقول:

الطويل

وَمَرَّ بِفِكري خاطِرًا فَجَرَحتُهُ وَلَم أَرَ جِسْمًا قَـطُّ يَجرَحُهُ الفِـكْرُ

وَصافَحَـهُ قَلبي فَآلَمَ كَفَّـهُ فَمِن غَمْزِ قَلبي في أَنامِلِهِ (عَقْرُ[١])[٢]

وَيُعَلِّقُ شَوْقِي ضِيْفُ عَلَى تِلْكُم المُبَالَغَاتِ، فيقولُ: "هَذَا مِنْ قَبِيلِ الوَهْمِ الذي لا يَقَعُ فِي عَقْلِ شَخْصٍ إلّا أَنْ يَكُونَ مِن المُعْتَزِلَةِ الذيْنَ يُبْعِدونَ فِي تَصوُّرِ الأشْياءِ، بَلْ إلّا أَنْ يَكُونَ مِنْ عَقْلِ النِّظَامِ الذي كَانَ يُؤمِنُ بِأنَّ الأعْرَاضَ كَامِنَةٌ فِي الجَوْهَرِ، وَأنَّ حَرَكَاتِ الإنْسَانِ كَامِنَةٌ فِي نَفْسِهِ، وَأنَّ حَرَكَاتِ النَّفْسِ أَجْسَامٌ مُسْتَتِرَةٌ"[٣].

ب- حُبٌّ مُرْغَمٌ:

أمَّا النُّدوبُ فَهِي عَلامَاتٌ تَظْهَرُ لِلعَيانِ مِنَ أثَرِ الجِراحِ، فَكيفَ سَنَرَى نُدوبَ قَلْبٍ ولا نَسْتَطِيْعُ أنْ نَرَى القَلْبَ نَفْسَهُ أساسًا، وهَلْ لَلقلْبِ نُدُوبٌ؟ إلاَّ إنْ كَانَتِ النّدوبُ نُدُوبَ العَتَبِ، وهِيَ اسْتِعَارَةٌ عَن عُمْقِ الألَمِ المُتَحَصِّلِ مِن الحَبِيبِ، أمَّا عِلاجُهَا فالصَّفْحُ، ولِذَلِكَ صَفَحَ قَلْبُ الشَّاعِرِ مُحمَّدٍ البَاهِلِيِّ[٤]

---

[١] عَقَرَهُ: جَرَحَهُ، الجوهري، **الصحاح**، مادة (عَقَرَ) .

[٢] **ديوانه**، ٧٣٠ .

[٣] **العصر العباسي الأول**، ٤٣٢ .

[٤] هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي، ويُكنّى أبا جعفر، ولد في البصرة وسكن بغداد، وهو شاعرٌ كثير الهجاء، لم يمدح من الخلفاء إلّا المأمون، وكان مُقلًّا، فاتر الهِمَّة وبحسب الزركلي **في الأعلام**، ٧٥/٦ أنه توفي سنة ٢١٥هـ. ينظر: **ديوان محمد بن حازم الباهلي، مقدمة المحقق**، ٩-١٠ . ولم يرد تاريخ وفاته ومولده في ترجمته في كتاب **الأغاني** للأصفهاني، ٦٠/١٤-٧٢، **وتاريخ بغداد** للبغدادي، ١١٣/٣، **والوافي بالوفيات** للصفدي، ٢٣٥/٢ .

عَنْ حَبيبِهِ كَيْ يَشفِيَ قَلْبَهُ، فَهُوَ صَفَحٌ لِضَرورةٍ مُلِحَّة حَتَّمَهَا الحُبِّ، إذْ يُعالج الحُبَّ مِن آلَامِهِ حينَ جَعَلَهُ داءً مَحْمُودًا. فقَالَ:

الطويل

صَفَحْتُ بِرَغمِيْ عَنكَ صَفْحَ ضَرورَةٍ إلَيْكَ وَفـي قَلبي نُـدوبٌ مِنَ العَتْـبِ

خَضَعْتُ وَما ذَنْبي، إنِ الحُبُّ عَزَّني[1] فَأَغْضَيْتُ صَفْحًا في مُعالَجَةِ الحُبِّ[2]

ج- دِمَاءٌ ودُمُوعٌ:

يَرثِي ابن نُباتَه أُمَّهُ حينَ سَقَطَتْ مِنْ مكانٍ عالٍ فَماتَتْ، ويَتَسَاءَلُ بِحُزْنٍ شَديدٍ، هل ستَنْفَعُ الدُّموعُ فِي حالَتِهِ هَذِهِ؟ إذِ الدُّمُوعُ تَجِفُّ مِنْ شَدَّةِ بُكاءِ العُيونِ، فَيَقولُ لِدَمْعِهِ: إنْ انْتَهَتْ دُمُوعُكَ فالْجَأْ إلى قَلْبِي وخُذْ مِنْهُ واقْتَرِضْ دَمًا يكفِيكَ عَن الدُّموعِ، فالضَّرَرُ الذي سَيُصِيبُنِي مِنْكَ يَا قَلْبُ إذا أُدْمِيتَ مَحمودٌ ونافِعٌ لِي. فما نَفْعُ قَلبي بعدَ أمي؟

وَالشَّاعِرُ يتَمَنَّى بذَلكَ المَوتَ دُونَ أُمِّهِ، فلا حاجةَ لِقَلْبِهِ بعْدَمَا فقَدَ مَنْ يَعِيشُ قَلْبُهُ لِأَجْلِهَا. ويَظْهَرُ جَمَالُ التّصويرِ في جَعْلِهِ الدَّمعَ والدَّمَ شَخْصَينِ، فَالأوَّلُ يَقْتَرِضُ مِن الثَّاني، وُيُعِينُهُ عَلَى الحُزْنِ، ويَحُثُّهُ على ذَلِكَ. فيقولُ:

الطويل

أَيَا دَمعُ هَلْ لِلْحُزنِ عِنْدَكَ مَطْمَعُ فما كلُّ محزونٍ إلى الدَّمعِ يَفْزَعُ

وإنْ كُنْتَ قد أَفْنَيْتَ ما آلَ فاستَعِرْ دمَ القلــبِ واعلمْ أَنَّ ضَرَّكَ يَنْفَعُ[3]

٢- ماءُ القلبِ:

أ- الشِّعرُ الرَّكيكُ عِلَّةٌ في القلب:

يَذمُّ ابنُ الرُّوميِّ كُلَّ شَاعِرٍ ليسَ يُحْسِنُ نَظْمَ الشِّعْرِ، فَيَكُونُ رَكِيكًا لا يَستوِي بَحرُهُ ويَعيَا إنْشَادُهُ، والاسْتِعَارَةُ ظَاهِرةٌ فِي قَولِ الشَّاعِر، فَقَدْ جَعَلَ لِلقَلبِ مَاءً، وَالمَعلُومُ أنَّ لِلقلبِ دَمًا، وإنّمَا كَنّى بتلك الاسْتِعَارةِ عَنْ جَفَافِ القَلبِ وانْحِطَاطِ شَهْوتِهِ حِينَ سَماعِ ذَلِكُم الشِّعرِ الرَّكيكِ، فَيَنْشَفُ مَاءُ

---

[1] عزَّه يَعُزُّه عَزًّا: قَهَرَه وغَلَبَه، ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة(عزَّ)

[2] **ديوانه**، ٢٩ .

[3] **ديوانه**، ١٧٠/٢ .

القَلْبِ قَبْلَ جَفافِ الحِبْرِ عَن الصَّحِيْفَةِ التي كُتِبَ عَليهَا ذَلِكَ الشِّعرُ المَوتُورُ. وَفَاضَلَ بينَ مَاءِ القَلْبِ وبَيْنَ المِدادِ لِيُشيرَ إلى أنَّ الشِّعرَ حتَّى يَكونَ شَعِرًا، لا بُدَّ أنْ يُكتُبَ خَارِجًا مِن القَلْبِ ثُمَّ يُتَرْجَمَ بالمِدادِ عَلَى الصّحَائِفِ، فقال:

الخفيف

قَبَّحَ اللهُ كـــلَّ قائـــلِ شعـــرٍ شِعرُهُ عيِّـــلٌ[1] على إنشـــادِهْ

يُنْشِفُ القلبُ ماءَهُ حين تُمْلَى قبلَ نَشْفِ الهَواءِ ماءَ مِدادِهْ[2]

ب- بُكاءُ الفُراق:

لا يَصْبرُ أبو تَمَّامٍ عَلَى رَحِيلِ حَبِيبِهِ (مَمدوحِهِ) عَنْهُ وَهَجْرِهِ لَهُ، وَهُمَا رَحِيلانِ: رَحِيلٌ حِسّيٌّ جَسَدِيٌّ وَرَحِيلٌ مَعنَوِيٌّ نَفْسيٌّ، فَالأوَّلُ نِتاجُ الثَّاني. إذْ إنَّ الذي كَانَ يُجاوِرُهُ قَدْ رَحَلَ عَنْهُ وَصَارَ بَعيدَ المَنَالِ والمَسعَى، فَكَأنَّهُ الصَّبْرُ قَدْ رَحَلَ بِرَحِيلِهِ، وَلَم يَعُد يُدانِيهِ، والعُيونُ التِي كَانَتْ تُرَاقِبُهُ صَارِتْ تَبْكِيهِ دُموعًا تَنْسَحُّ بِغَزَارَةٍ، والعينُ تَبكي ومَاءُ القَلبِ يَسيلُ كَأنَّهُ شَخْصٌ يَبكي بِألمٍ شَدِيدٍ وحُرْقَةٍ بِسببِ ابْتِعادِ الحَبيبِ عَنْهُ. ويَرُدُّ أبو تَمَّامٍ صَدرَ البَيتِ عَلَى عَجُزِهِ لِيَجْعَلَ الصّبْرَ بِمَرآهُ، والضِّدَّ بِمَنْفَاهُ، فإذَا ولَّى الحَبيبُ بَكَى القَلْبُ التَّلاقِي واشْتَاقَ إلَيْهِ. وفي معناهُ يقولُ:

البسيط

أَصْبَحتَ لا صَقَبًا[3] مِنّي وَلا أَمَمًا فَالصَّبرُ لا صَـقَبٌ مِنّـي وَلا أَمَـمُ[4]

وَلَّيْتَ عَنِّي فَـدَمعُ العَينِ مُنسَجِمٌ يَبْكِي التَّلاقِي وَمَاءُ القَلبِ مُنسَجِمُ[5]

٣- أنفاس القلب:

- أدْنَى مِن الذُّلِ:

يَرْسمُ الوأواءُ الدِّمَشقيُّ لَوحَةً فَنِيَّةً جَمِيلَةً مِن التَّشْخِيصِ الذي يَنقلُ الجُمُدَ إلى عوالِمِ الحَرَكَةِ، في صُورَةٍ اسْتِعَارِيَّةٍ وَظَّفَ فِيها عَنَاصِرَ الطَّبِيعَةِ، فَجَعَلَ فِيهَا لِقَلْبِهِ أنْفَاسًا كالإنْسانِ، رِيْحُهَا عاصِفَةٌ

---

[1] العيِّل: الفقير، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عَيَلَ) .

[2] **ديوانه**، ٤٥٨/١ .

[3] صَقبت داره صَقبًا: دَنَتْ، الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة (صَقَبَ) .

[4] الأَمَم: بين القريب والبعيد، وهو من المقاربة، والشي اليسير، الجوهري، **الصّحاح**، مادة (أَمَم) .

[5] **ديوانه**، ١٤٤/٢ .

وجَعَلَ مِن واجِهَةِ خَدِّهِ سَمَاءً تُمْطِرُ، وذَلِكَ تَغَيُّرُ حَالِ الطَّبيعَةِ الذي بَرَّزَهُ فِي تَغَيُّرِ مِزَاجِيَّتِه، واسْتَلْهَمَهُ مِن الطَّبِيعَةِ، لِيُظْهِرَ لِحَبِيبَتِهِ الحُبَّ المُتذلِّلَ الهَيِّنَ عَلى نَفْسِهِ، والوَجْدَ المُضْنِي الذي لا يَزُولُ. قال:

السريع

ذُلِّيَ في حُبِّكَ مــا يُذْكَـــرُ وَوَجْدُ قَلْبي بِــكَ لا يَفْتُرُ

أنْفاسُ قَلْبي رِيحُها عاصِفٌ وَصَحنُ خَدِّي أَبدًا يمطرُ[1]

إنَّ التَّعبيرَ الاستعاريَّ غيرَ المَعهودِ والخَارِجَ عن المَألوفِ، أو الذي كان يُوضَعُ لمعانٍ لم تُوضعْ لها اللَّفظَةُ، هو تعبيرٌ قاصِرٌ، وضَربٌ من العَبَثِ والهَذَيانِ ليس إلَّا، وذلكَ لأنَّ نَظرةَ نُقَّادِ القرن الرَّابِع الهِجري كانَتْ قائمةً على المُنَاسَبَةِ والمُقَارَبَةِ، وهيَ التَّناسُبُ العَقْلِيُّ بينَ أطرافِ الاسْتِعَارَةِ، لكنَّ الشُّعراءَ في ذلكَ القَرْنِ خَرَجوا عَلَى تِلكَ القَوانِينِ المُقيِّدَةِ لعقولِهِمْ وإبداعاتهم[2].

٤- نَارُ القلبِ:

أ- حرُّ الصَّبابةِ:

يَشتَعِلُ القَلبُ حُرْقةً مِن شدَّة الشَّوق ومُكَابَدَتِهِ، فالنَّارُ تَكْوِيهِ مِنْ مُعانَاةِ الشَّوقِ، وكأنَّ القلبَ يتقلَّبُ على الجَمْرِ وَيُشْوى، وقَدْ جَاءَ الهَوَى عَلَى جَوارِحِ الشَّاعر فأذَابَها، ومِنْ بينِ ضُلوعِهِ ظَهَرَ القَلْبُ، فَلا جِلْدَ ولا لَحْمَ ولا عظْمَ يَستُرُهُ، لأنَّ حَرارةَ الصَّبَابَةِ أذَابتِ الجَوارِحَ والأعْضَاءَ، فَلَمْ تُبقِ وَلمْ تَذَرْ. قالَ الخُبزأَرْزيُّ:

الكامل

فِي القَلْبِ مِن حَرِّ الصَّبابَةِ نارُ جَمْرٌ عليــهِ مَهابــةٌ ووقـــارُ

لَعِبَ الهَوى بِجَوارِحي فَأَذابَــها فَالقَلبُ بينَ حَشَا الضُّلوعِ مُعَارُ[3]

---

[1] **ديوانه**، ١٢٢ .

[2] ينظر: مومنى، قاسم، **نقد الشعر في القرن الرابع الهجري**، ٢٤١ .

[3] **ديوانه**، ١٧٦/٢ .

ب- النارُ تَأكلُ الجِسمَ:

يُعاتِبُ العَبَّاسُ بن الأحنَفِ حَبِيبَتَهُ، ويُسائِلُهَا: هلْ غَرَّكِ أنِّي لَكِ العاشِقُ الوَلْهانُ المُتَيَّمُ؟ فَجَزَيتِني سُوءًا بِخيرٍ وبُعْدًا بِقُرْبٍ، فَهَلْ جَزاءُ الإحْسَانِ إلَّا الإحسانُ؟ وهَذا الحُبُّ قَدْ أحرَقَ صَميمَ القلبِ. وتِلْكَ مُبالَغَةٌ في وَصْفِ حالَتِهِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ حَالَتُهُ المُزْرِيَةُ بَائِنَةً على جِسْمِهِ، فَلَم يُبقِ الحُبُّ فِيهِ شَيئًا ولَمْ يَذَر، ويُريدُ بِذلكَ نُحولَ جِسْمِهِ وضَعْفَهُ جَرَّاءَ عَذَابِ الحُبِّ، وقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ المَعانِي القُرآنِيَّةَ في بيتَيهِ، حينَ وَصَفَ نَارَ قَلْبِهِ كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[1]. فيقولُ:

مجزوء الوافر

أَغَرَّكِ أَنَّ حُبَّـــكِ في صَميمِ القَلبِ يَستَعِرُ؟

بِسُلطانٍ عَلى جِسمي فَمـــا يُبقي وَلا يَـذَرُ[2]

٥- لسان القلب:

أ- بؤسُ القلب:

لا بُدَّ أنَّ العينَ تَعْكِسُ ما تُضْمِرُهُ بَواطِنُ القُلُوبِ، كَحَالِ هَذينِ العاشِقَينِ اللَّذَيْنِ تَواصَلا بِعُيونِهِما، فَعُمِّيَتْ عَلَى الحَاضِرِينَ تَصَرُّفاتُهُما، أمَّا مَحبوبَتُهُ فَأنْكَرَتْ عَليهِ الصَّدَّ والهُجْرانَ، فتَجَهَّمَتْ بِحُزْنٍ بَدا في جُفونِها ولِسانِها، وكآبَةٍ بَدَتْ فِي قَلْبِهَا، وَقَدْ جَعَلَ ابن طيفور لقَلْبِهَا لِسَانًا يُعْرِبُ عَنْ الكآبَةِ مُجْرِيًا بِذَلِكَ اسْتِعارَةً، ذَاكِرًا فِيْهَا حالَةَ الحُزْنِ التي تَرجَمَهَا لِسانُ قَلْبِ حَبِيبَتِهِ الحَزِيْنُ. فقالَ:

الخفيف

عَرَفَتْ بِالسَّلامِ عَينَ الرَّقيبِ وَأَشارَتْ بِلَحْـــظِ طَرفٍ مُريبِ

وَشَكَتْ لَوعَةَ النَّوى بِجُفونٍ أَعرَبَتْ عَن لِسانِ قَلبٍ كَئيبِ[3]

---

[1] المدَّثِّر، ٢٧-٢٨ .

[2] **ديوانه**، ١٤٨ .

[3] الظاهري، **الزهرة**، ١٥٠/١ . والشعر لابن طيفور .

ب- القلب يختارُ:

وَهَلْ يَنْطِقُ القَلْبُ؟ إذِ إنَّ القَوْلَ مِنْهُ مَجَازٌ يُرادُ بِهِ تَوْضِيحُ حالَةٍ نَفْسِيَّةٍ تَخْتَلِجُ بِالقَلْبِ، "إذا ظَهرَ التَّوديعُ، قالَ لي قلبِي: اسكُتْ ولا تتَكَلَّم بِالوَداعِ، والمَعنَى: لا صَاحَبْتَ فَاكَ، أيْ لا نَطَقْتَ، وهَذِهِ مِن الألفاظِ التي يُتَطَيَّرُ مِنْهَا"[1]. قال المُتنبي:

الوافر

إذا التَّوديعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيكَ الصَّمتَ لا صاحَبتَ فاكا![2]

٦- عينُ القلب:

- جناية العين:

استخدَمَ أبو نُواسٍ الاسْتِعَارةَ في ذِكْرِهِ القلبَ، فقدْ جَعَلَ لَهُ عَينًا يُبصِرُ بِها، وجَعَلَ الحبَّ بَلاءً يَمْنَعُهُ مِنْ مُزَاوَلَةِ حَيَاتِهِ المُعْتَادَةِ، فسَدَّ عَليهِ هذا البَلاءُ كُلَّ المَسَالِكِ الأُخْرَى، وقَدْ تَمَثَّلَ البَلاءُ في وَلَعَهُ بِغُلامٌ جَميلٌ يَسيرُ كَالظَّبي في دَلَعٍ وَتَصابٍ، فَكَادَ قَلْبُهُ أنْ يَنْخَلِعَ مِنْ مَكَانِهِ. قال:

المجتث

إنَّ البَــلِيَّةَ سَـــدَّتْ عَلَيَّ طُرْقَ المَـذاهِبْ

إذْ أَبصرَت عَينُ قَلبي لِــحَيْنِـهِ[3] المُــتَقارِبْ

ظَبيًا يَميــلُ التَّصابـي عَلَيهِ مِن كُـلِّ جانِبْ[4]

٧- جيش القلب:

أ- معرَكةٌ بَطَلُها القلبُ:

وَلَيسَ بِغَريبٍ على أبِي فِراسٍ الحَمْدانِيِّ أنْ يُوظِّفَ مُفْرَدَاتِ الحَرْبِ فِي الحُبِّ، وكَيْفَ لا؟ وَهُو الفَارِسُ وَالحَبِيبُ، وَبَيْنَهُ وَبَينَ بَناتِ الخُدورِ العَذَارَى تَشْتَعِلُ الحَرْبُ، وهِيَ حَرْبٌ مَحْمُولةٌ عَلَى

---

[1] **ديوان المتنبي، هامش التّعليق**، ٢/٣٩٠ .

[2] **ديوانه**، ٢/٣٩٠ . عليك الصَّمتَ: بمعنى الزم الصَّمتَ، ولهذا وردت كلمة (الصَّمتَ) مفتوحة، لأنَّها مفعول بهِ .

[3] الحَيْن: الهلاك، الجوهري، **الصّحاح**، مادة (حَيَنَ) .

[4] **ديوانه**، ٣٩٧ .

المَجَازِ، وَفِي الحَرْبِ تَلْتَحِمُ الجُيوشُ، فَقَدْ أغَارَتْ جُيوشُ الهَوَى على قَلْبِهِ، وَهِيَ اسْتِعَارةٌ لَكثْرةِ الأحَاسِيسِ وَتَدَفُّقِهَا، وقَدْ انْتدَبْنَ مِنهنَّ غَزَالًا – إشَارَةً إلى الجَمَالِ– فَطَارَدَ قَلْبَ الشَّاعِرِ، وَرَمَاهُ بِالسِّهامِ فِي كُلَّ مَكانٍ مِن جَسَدِهِ، حَتّى غَدَتْ كُلُّ أعْضَائِهِ هَدَفًا لِمَرمَى سِهَامِهِ. ليقولَ:

الطويل

وَبَينَ بُنَيَّـــاتِ الـــخُدُورِ وَبَيْنَنـــا حُروبٌ، تَلَظّى نَارُهَا وَتَطَـاوَلُ

أَغَرْنَ عَلَى قَلْبِي بِجَيشٍ مِنَ الهَوى وَطَارَدَ عَنهُنَّ الغَزَالُ المُـغازِلُ

تَعَمَّدَ بِالسَّـــهمِ المُصيبِ مَقاتِلـــي أَلا كُـلُّ أَعْضَائِي لَدَيـهِ مَقاتِلُ[1]

ب– الاستعدادُ لمعركةِ الحُبِّ الخَاسِرةِ:

يَستَعيرُ الوَأواءُ الدِّمَشْقيُّ لِلوَجْدِ عَسَاكِرَ تُقِيمُ فِي قَلْبِ مَحْبُوبَتِهِ وتُخَيِّمُ، استِعْدَادًا لِمَعْرَكَةٍ، وَفِي الطَّرَفِ الآخَرِ جُيوشُ الشَّوقِ تَسْتَعِدُّ لِلحَرْبِ في أرْضِ قَلْبِهِ عَدُوَّةً لِجُيوشِهِ، وَيُحْسِنُ الشَّاعرُ اسْتِخدامَ الاسْتِعَاراتِ فَخَيالُهُ خَصْبٌ، لِيُعاودَ الاسْتِعارةَ مَرّةً ثَالِثَةً حِينَ يَستَعِيرُ لِلضُّرِّ ثِيابًا فَيَبْلَى بِها جِسْمُهُ وَهِيَ ثِيابُ الحَرْبِ، وَقَدْ قَصَدَ الشَّاعِرُ بأَنَّ أشْواقَهُ مُحْتَشِدةٌ فِي قَلْبِهِ لا تتَزَحْزحُ مُنذُ أحَبَّ مَعْشُوقَتَهُ فَأَصَابَهُ الضَّرَرُ، فَمَرِضَ مِن ذَلكَ وَنَحلَ جِسْمُهُ قَبْلَ أنْ تَبْلَى ثِيابُ الحَرْبِ عَنْهُ. فقال:

البسيط

عَساكِرُ الشَّوْقِ في قَلْبِي مُخَيِّمَـةٌ مُذْ خَيَّمَ الوَجْدُ لِي في رَبْعِ حُبِّيها

هَا قَدْ لَبِسْتُ ثِيابَ الضُّرِّ فِيكِ فَقَدْ بُلِيتُ بِالسُّقْـــمِ فِيـها قَبْلَ أُبْلِيـها[2]

٨– ضَميرُ القَلبِ:

أ– طاعةٌ عَمياءُ:

وَهَذا الناشِئُ[3] يَصِفُ أسْرابًا مِن الصُّقورِ المُدرَّبة، فَهِيَ تَفْهَمُ مِنْ عُيونِ مُدرِّبِها ما يُريدُ ومَا يُومِي بِهِ إلَيْهَا، فَقُلوبُهَا تُضْمِرُ مَا عَلَّمها إيَّاه مُدرِّبُها، وتَكَادُ عُيونُهَا أنْ تَخرِقَ حِجَابَ قَلْبِهِ حينَ تَرَى

---

[1] **ديوانه**، ٢/٢٩٤ .

[2] **ديوانه**، ٢٤٩ .

[3] هو عبد الله بن محمد، أبو العباس المعروف بابن شِرْشِير، النّاشئ الشاعر المتكلّم من أهل الأنبار، كانَ مُقامُه في بغداد مُدَّةً طويلةً، ثم غادرها إلى مصر، له قصيدة على روي واحد وقافيةٍ وحيدةٍ تضُمُ أربعة آلاف بيت، كان ذا هَوسٍ واختلاطٍ، شعرُهُ كثيرٌ، قليل الفائدة وكانت وفاته سنة ٢٩٣هـ . ينظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ١١/٢٩٧–٢٩٩ .

الإشْاراتِ التي يُمليْهَا عَلَيْهَا، فتَعِيْهَا وَتُنَفِّذُهَا، بِاتِّفَاقٍ حَاصِلٍ بَيْنَهُمَا، وَاصِفًا عيونَهَا، وَكَيفَ تُديرُ بَاطِنَ جُفُونِهَا، فَتُزيلُ شَوائِبَها، لِيَبْقَى بَعْضُ أَثَرِهَا حينَ تُدِيرُ عُيُونَهَا. قَالَ:

البسيط

تُـدِيرُهَـا بِحَـمَالِيـقٍ[1] مُزَيِّلَــةٍ[2] عَنْهَا قَـذَاهَا فَتُخْفِيهَا وَتُبْدِيهـا

تَكَادُ تَعْرِفُ فِي عَيْنَيْ مُعَلِّمِهَا أَوَامِرًا مِنْ ضَمِيرِ القَلْبِ يُوحِيْهَا[3]

ب- ما خَفِيَ أعظَمُ:

يَجِدُ صَريعُ الغَوانِي ظُلْمًا مِنْ حَبِيبتِهِ التِي تَلِجُّ في الهَجْرِ والصَّدِّ، وَلَيْسَ قَلبُهُ بِظَالِمٍ لِيرُدَّ عَليهَا ظُلْمَهَا، بَل الحبيبةُ هيَ الظَّالِمةُ لِقَلْبِهِ، فَيدْعُوها إلى تَقْدِيرِ الحُبِّ فِيْمَا ظَهَر وَانْجَلَى لَهَا مِنْ أمْرِهِ، وهَذَا لَيْسَ شَيئًا يُذْكَرُ مُقَارَنَةً بِمَا يُكِنُّ ضَمِيرُ قَلْبِهِ من الحُبِّ، فَهُو أَشَدُّ وأَعْظَمُ مِمَّا ظَهَرَ. وَضَميرُ القَلْبِ هُنا إشَارَةٌ لِإضْمَارِ الحُبِّ وعَدَمِ البَوْحِ بِهِ، فقالَ:

الطويل

أَ أَظلِمُ قَلْبِـي لَـيسَ قَلْبِـي بِظالِـمٍ وَلَكِنَّ مَن أَهَـوى يَجُــورُ وَيَظْلِــمُ

أَلا عَظَّمَتْ مــا بَاحَ مِنِّي مِنَ الهَوى وَمَا في ضَمِيرِ القَلْبِ أَدْهَى وَأَعظَمُ[4]

٩- سَوادُ القلبِ وسُويداؤُهُ:

أ- النَّأْرُ الدَّفينُ:

ومِن الحُبِّ إلى الثَّأرِ، لِيتوعَّدَ أَشْجَعُ السَّلْمِيُّ[5] بالثَّأرِ مِمَنَّ قَتَلَ أَحْمَدَ[6]، فَإِنْ هُوَ لَمْ يَأْخُذْ بِالثَّأرِ، فَبَاطِنُ الأرْضِ خَيرٌ لَهُ مِنْ ظَاهِرِهَا، وَتَبقَى الحَسْرَةُ فِي مُهجَةِ قَلْبِهِ لا يَزُولُ لَهَا أَثَرٌ، فقالَ أشجَعُ مُتَحَسِّرًا:

---

[1] حُمْلاق العين: باطن أجفانها الذي يسوّده الكُحل، الجوهري، **الصِّحاح**، مادة (حَمْلَقَ) .

[2] زيَّلتُه فَتَزَيَّل: فرَّقْتُه فَتَفَرَّق، **نفسه**، مادة (زيَلَ) .

[3] الشمشاطي، **الأنوار ومحاسن الاشعار**، ٢٣١/٢، والشعر للناشئ الأكبر .

[4] **شرح الديوان**، ١٧٨/٣ .

[5] هو أَشْجَعُ بن عمرو السَّلْمِي من ولد الشريد بن مطرود، نشأ بالبصرة، سافر إلى الرَّقَّة، مدح البرامكة وخَصَّ جعفر بمدحه، وقرّبه الرشيد منه، توفي في حدود ٢٠٠هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ١٥٧/٩-١٥٨، وينظر ترجمته في **طبقات الشعراء** لابن المعتز، ٢٥٠-٢٥٣، وينظر نسبه في **الأغاني** للأصفهاني، ١٥٣/١٨ .

[6] لم أعثر على ترجمة له .

الطويل

لَئِنْ أَنَا لَمْ أُدرِكْ مِنَ المَوتِ ثَارِيَا وَلَمْ أَشْفِ قَرْحًا دَامِيًا فِي فُؤَادِيا

لِتَخْتَرِ مِنِّي الحَادِثَاتُ وَحَسْرَتِي بِأَحمَدَ فِي سَوداءِ قَلبِي كَمَا هِيَا[1]

ب- الإخْلاصُ للحَاكِمِ:

ويَمْدَحُ أَبُو تمَّامٍ المُعْتَصِمَ بِاللهِ[2]، فالكُلُّ قَدْ رَضِيَ لَهُ حُكْمًا، مُكْرَهًا أَوْ رَاغِبًا، واللهُ اخْتَارَهُ للمُلْكِ فَلَا رادَّ لِقَضَائِهِ، وَيَظْهَرُ الإخْلاصُ بِالطَّاعَةِ العَمِيَاءِ فِي قَلبِ الشَّاعرِ لِيكُونَ أَحَدَ المُسْتَبسِلينَ فِي حَربِ المُعتَصِمِ ضِدَّ أَعْدَائِهِ، ويُعيرُ الشَّاعِرُ سُوَيْدَاءَ قَلْبِهِ- مُهْجَتَه وحَبَّتَهَ- للمعتصمِ، وَهِي أَغْلَى مَا فِيهِ، فَالقَلبُ لا يُعارُ، لَكنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى المَجَازِ لِيكُونَ القَلْبُ هَدِيَّةً لِلمُعْتَصِمِ، فَيَفْدِيهِ بِهِ، بَعْدَ أَنْ مَكَّنَهُ اللهُ فِي الأرضِ وهَيَّأَ لَهُ. وتدّلُّ عِبارة (يُهدِي سُوَيْداءَ قَلبِهِ) إلى الإخْلاصِ الشَّديدِ. يقولُ:

الطويل

رَضِيْنَا عَلَى رَغْمِ اللَّيالي بِحُكْمِهِ وَهَل دافِعٌ أَمرًا وَذو العَرشِ قائِلُهْ

لَقَدْ حانَ مَن يُهدي سُوَيْداءَ قَلبِهِ لِحَدِّ سِنانٍ[3] في يَدِ اللهِ عامِلُهْ[4]

١٠- شُغَافُ القَلْبِ:

- حالَ الخَمرِ في القلبِ

لَقَدْ شَبَّهَ السَّرِيُّ الرَّفاءُ نَظْمَ كَلِمِهِ في مَمْدُوحِهِ بأجوَدِ أَنْواعِ الخَمْرِ، وقَدْ مَزَجَ مَعَانِيَهُ تِلْكَ كَمَا تُمْزَجُ الخَمْرُ صَافِيَةً مِثْلَ كَلِماتِهِ، إذْ لَمْ يَشْرَبْهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ، وهَذهِ حالُ كَلِماتِهِ وَمَعَانِيهِ التي لَمْ يَسْبِقهُ إليها أَحَدٌ، كَمِا تُعَتَّقُ الخَمْرُ في دوُرِهَا وحَانَاتِهَا، وتَصُبُّ كَلِمَاتُهُ في غِلافِ القَلْبِ فَيَنْتَشي فَرِحًا ثَمِلًا. وفِي تَشابُهِ حُروفِ الكلمات في الأبيْاتِ، وتكرَارِ كَلِمَاتٍ باشتِقاقاتِها المُخْتَلِفَةِ جَمَالٌ مُوسِيقيٌّ ظاهِرٌ في قَوْلِهِ: (كَرِيْمَةٌ، كَرْم) و (خِمَار، خَمَّار) و (تَنْشُو، نَشَأتْ). قالَ:

---

[1] الظاهري، **الزهرة** ١/٤٧٧ .

[2] هو الخليفة العبَّاسي، محمد بن هارون الرَّشيد بن المهدي بن المنصور، أبو إسحاق، ولد سنة (١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، كان من أعاظم خلفاء بني العبَّاس، بويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ، وهو أول من أضاف اسم الله إلى اسمه، ليصبح (المعتصم بالله)، دامت خلافته ٨ سنين و٨ أشهر، خلَّف ٨ بنين و ٨ بنات، مات سنة (٢٢٧هـ/٨٤١م). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ٧/١٢٧-١٢٨ .

[3] السِّنان: الرُّمح، الفراهيدي، **العين**، مادة (سَنَّ) .

[4] **ديوانه**، ٢/١٤ .

البسيط

هَـذَا، وَعنديَ من لَفْـــظٍ أُشَعشِـعُـهُ[1] سُــلافةٌ ذاتُ أضـــواءٍ وأنـــوارِ

كــريمةٌ ليسَ من كَـــرْمٍ ولا التَثَمَتْ عَـروسُها بخِمــارٍ عنـــدَ خَمَّارِ

تَنشُو خِلالَ شِغافِ القلبِ إنْ نشأَتْ ذاتُ الحَبابِ[2] خِلالَ الطِّينِ والقارِ[3]

١١- حبَّة القلب:

أ- مَحَلُّ الضَّيفِ من القلبِ:

وَقَدْ أَوردَ الرَّاغِبُ الأصْفَهَانِيُّ بابًا سَمَّاهُ: (المَسْرورُ بمَجِيءِ الضَّيْفِ وشَاكِرِهِ عَلَيْهِ)[4]، وتِلكَ مَزِيَّةٌ تُحْسَبُ للعَرَبِ فَلا يَسْتَأثِرُهَا قَوْمٌ بِفَضْلٍ دُونَهُمْ، وَيُؤثِرُ دِعْبِلُ الخُزَاعِيُّ[5] قِرَى الضَّيفِ وإِدْنَاءَ مَجْلِسِهِ وَصَوْتَهُ وَحَدِيثَهُ عَلَى أَصْواتِ الشِّياهِ والإبِلِ، مُؤْثِرًا بِذَلِكَ خِدْمَةَ الضَّيْفِ عَلَى الغِنَى فَالضَّيفُ مُكرَّمٌ مُعَزَّزٌ، لَهُ امْتِيَازٌ لَيْسَ لِغَيرِهِ، وإِنَّهَا لَمُبَالَغَةٌ لَطِيفَةٌ فَيْهَا المَجَازُ أَنْ يَنْزِلَ الضَّيْفُ في القَلْبِ، فَلَيْسَ مُنْزَلُ الضَّيْفِ بَيْتٌ أوْ خَيْمَةٌ، إِنَّمَا مَكانُهُ مُهْجَةُ القَلْبِ وَصَمِيمُ الأَحْشَاءِ، فَيقولُ دِعْبِل:

الرمل

نَغَماتُ الضَّيفِ أَحْلى عِندَنا مِن ثُغاءِ الشَّاءِ أَو ذَاتِ الرُّغا

نُنزِلُ الضَّيفَ إِذا ما حَلَّ في حَبَّةِ القَلْبِ، وَأَلْــواذِ[6] الحَــشَا[7]

وينتقلُ دِعْبل من المَديحِ الذي يجلِبُ العَطَاءَ إلى مَديحٍ لِنَفسِهِ وقبيلَتِهِ، فيفتخرُ الشَّاعرُ بخِصالٍ افْتَخَرَ بِهَا الشُّعراءُ، فهو كريمٌ يفرحُ بقدوم أضيافِهِ، ليصُوغَ صُورَةً حِسّيَّةً لِمَقْدَمِ ضَيْفِهِ، مُفْتَخِرًا بذلِكَ الكَرَمِ[8].

---

[1] شَعْشَعت الشّراب: مزجتُهُ بالماء، وظِلٌّ شَعْشَع: ليس بِكَثِيفٍ، الجوهري، **الصّحاح**، مادة (شَعْشَعَ) .

[2] الحَباب: حَبَبُ الماء، وهو تكسُّره، وهو الحَبابُ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حَبَب) .

[3] **ديوانه**، ١٩٥ .

[4] **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ٦٥٠/٢ .

[5] هو الخزاعيُّ الشّاعر، دِعْبِل بن علي، أبو علي الخُزاعي الشاعر المشهور، اختلف في أصله، من الكوفة أو قَرْقِيسيا، أقام ببغداد، وقيل: إنّه محمد وكنيته أبو جعفر، ومعنى الدعبِل البعير المُسنُّ، هرب من المأمون إلى مصر بعد أن هجاهُ، أمّا مولده فكان سنة ١٤٨هـ، ووفاته سنة ٢٤٦هـ، وزعموا أن المعتصم قتله، وقيل هجا مالك بن طوق فجهّز له من قتله. ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ١٠/١٤. وقد أورد محقّق ديوانه اختلاف اسمه الأول، فقيل الحسن وقيل عبد الرحمن، وقيل محمد. ينظر: **ديوان دِعبل الخزاعي، مقدمة المحقّق**، ٧-٨ .

[6] ألواذ المكان: نواحيه، والواحد: لَوْذ، الفراهيدي، **العين**، مادة (لوذ) .

[7] **ديوانه**، ٢٠ .

[8] ينظر: عويضة، كامل محمد، **دِعْبل بن علي الخزاعي الصُورة الفنيَّة في شعره**، ١٩٤-١٩٥ .

ب- الحبُّ الوَثيقُ:

يَرَى دِيكُ الجِنِّ الحِمصِيُّ بِأَنَّ الحُبَّ فِي مُهْجَةِ قَلْبِهِ مَغْروسٌ، وَالغَرسُ مِنْ أَسْبابِ البَّقاءِ لِتَعمُّقه، فَشَبَّهَ حُبَّهُ شَجَرَةً قَلْبُهُ أَرْضَهَا، مُسْتَعِيرًا فِعْلَ الغَرْسِ لِغَيرِ مَا هُيِّئَ لَهُ، فإِنْ تَغِبِ الوُجُوهِ عَن الأَنْظَارِ، فإِنَّ الذِكْرَ بَاقٍ لا يَزُولُ، وَتَذكُّرُ الحَبِيبِ كَفِيلٌ بِالإِيْناسِ وَدَفْعِ الاسْتِوحَاشِ. أَمَّا حَذْفُ المَوصُوفِ وإِبْقاءُ صِفَتِهِ في البَيتِ الثَّانِي فَاخْتِصَارٌ يُرادُ مِنْهُ الوِحْشَةُ أَوْ الأُنْسُ فِي كُلِّ شَيءٍ، وهِيَ عَلَى تَقدِيرِهِ (مَنْظَرٌ مُوْحِشٌ أَوْ مَنظَرٌ مُؤْنِسٌ)، أَمَّا تَكْرارُ(ظَلَّ لي) في صَدْرِ البَيْتِ الثَّانِي وَعَجُزِهِ فَتَمَسُّكٌ بالنَّظَرِ لِأَنَّ بِفَقْدِهِ الوحْشَةَ، وتَمَسُّكٌ بِالذِّكْرِ لأَنَّ فِيْهِ الأُنْسَ والأُلْفَةَ، فيقولُ:

الطويل

أَمَا والّذي أَصْفَـــاكِ مِنّي مَــوَدَّةً وحُبًّا لكُــمْ في حَبّةِ القَلْــبِ يُغْرَسُ

لَئِنْ ظَلَّ لي مِنْ فَقْدِ وَجْهِكِ مُوحِشٌ لَقَدْ ظَلَّ لي مِنْ طُولِ ذِكْرِكَ مُؤْنِسُ[1]

١٢- ثمر القلب:

أ- هادِمُ اللَّذَّاتِ:

يَتقلَّبُ الدَّهْرُ فَتَأْتِي الخُطُوبُ والمِحَنُ التِي تُروِّعُ القُلوبَ الآمِنَةَ، فَتَقْطِفُ ثَمَرَتَهَا، وَفيهِ تَشْبِيْهٌ لِلْقَلْبِ بالشَّجَرَةِ، وَلِمَلَذَّاتِ الحَيَاةِ والأَمَلِ الكَاذِبِ بِالثَّمَرِ، فَتَنْمو الشَّجرةُ ثُمَّ يَنْمُو الثَّمَرُ حَتَّى يأَتِيَ المَوْتُ (هَادِمُ اللَّذَّاتِ) لِيَقْطِفَهَا، وَتِلْكَ اسْتِعَارَةٌ، إِذْ لَيسَ لِلقُلوبِ ثَمَرٌ. فَيقولُ أبو العَتَاهِيةِ:

مجزوء الكامل

سُبحانَ عَلّامِ الغُيــوبِ عَجَبًا لِتَصريفِ الـخُطوبِ

تَعرَى فُـروعَ الأُنْسِ بي وَتَجتَنــي ثَمَــرَ القُلــوبِ

حَتّى مَتى يا نَفسُ تَغــ تَزِّينَ بِالأَمَـلِ الكَـــــذوبِ[2]

---

[1] **ديوانه**، ١٥٦ . السَّري الرّفاء، **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب**، ١٤١/٢ .

[2] **ديوانه**، ٥٦ .

ب- طيفُ الخيالِ:

يُشَبِّهُ الوأواءُ الدِّمَشقِيُّ قَلْبَهُ بِشَجَرةٍ مُثْمِرَةٍ تَرْعَى مِنْهَا غَزَالَةٌ جَمِيلَةٌ هِيَ مَحْبُوبَتُهُ، فتَخْطُو بِلا وَقْعٍ وَلا صَوْتٍ، لِتأتِيَهُ طَيْفًا طائِعَةً مُريدَةً، وَلَيْسَ بِأمْرٍ مِنه، فَيُشْرِكُ طَيْفَ خَيَالِهِ كَيْ يَسْتَطِيعَ رُؤْيَتَهَا خَيَالًا، لِأَنَّهُ لا يَسْتَطِيْعُ رُؤْيَتَهَا وَاقِعًا مُشَاهَدًا خَوْفَ الرَّقِيْبِ. يقولُ:

مجزوء الكامل

تَرْعى-وما استرعَيْتُها- ثَمَرَ القلوبِ بِلا دبيبِ[1]

هَبْ لي مَزارَكَ في الكَرى[2] **كيمــا أَراكَ بِلا رقيبِ**[3]

رابِعًا: المعاني الرُّوحانيةُ للقلب:

١- أفْكَارُ القَلْبِ:

أ- القلبُ الحكيمُ:

وَفِي قَصيدةٍ لابن الرُّوميِّ قَالَها فِي (عُبيد اللهِ بن عَبد اللهِ)، وصُلْحِهِ لأَخيهِ سُليمَانَ[4] بَعدَ الشَّرِّ الذي كَانَ بَينَهُمَا حِينَ عُزِلَ عُبيدُ اللهِ بِهِ، فيَمْدَحُ الشَّاعرُ الخَلِيفةَ عُبيدًا لِفِكْرِهِ الثَّاقِبِ وَنَظْرَتِهِ الحَكِيمَةِ، فَفِي ذَلِكَ الرَّاحَةُ. فَمَاذَا أَرَادَ بِقَولِهِ (فِكْرِ قَلْبٍ)؟

لَقَدْ لَخَّصَ لَنَا الشَّاعِرُ الحِكْمَةَ بِفِكْرٍ نَابِعٍ مِن القَلْبِ، وَهِيَ العَاطِفَةُ التِي جَاشَتْ فِي قَلْبِ الخَلِيفَةِ حِيْنَ عَقْدِ الصُّلْحِ لِأَخِيهِ بَعْدَ المُخَاصَمَةِ، فَحَكَّمَ القَلْبَ وَرَاعَ إِليهِ، وَنَرَى الشَّاعِرَ قَلِقًا لِمَا دَارَ مِنْ خُصُومَةٍ بَينَ الأَخَوَيْنِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الخَلِيفَةُ مُخَاصِمًا، وَهُوَ الذي يَلْجَأُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي مُخَاصَمَاتِهِم فَيُنْجِدُهُمْ؟ لَقَدْ حَمَلَ هَذَا الشِّعرُ نَوْعًا مِن العِتَابِ، فَجَاءَ جَرِيْئًا في قول ابن الرُّوميِّ:

---

[1] يدبُّ دبًّا ودَبِيبا: مشى على هِنَتِهِ ولم يسرع، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (دَبَبَ) .

[2] الكَرى: النوم، ابن دريد، **جمهرة اللغة**، مادة (ركي) .

[3] **ديوانه**، ٣٣ .

[4] هو سليمان بن عبد الملك بن طاهر بن الحسين، أبو أيوب الخُزاعي، من بيت الإمارة والتَّقدُّم، قال الطبري: ولي شرطة بغداد والسَّواد من قبل المعتزِّ في سادس شهر ربيع الأول سنة خمسين ومائتين، كان أديبًا شاعرًا، روى عنه المُبرِّد والضّرير وغيرهما، وتوفي سنة ستٍّ وستين ومئتين. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ٢٤٢/١٥ .

البسيط

فَلمْ تَكُنْ راحَتي إلَّا مُلاحَظَتي إيَّاكَ عن فِكْرِ قَلْبٍ جدِّ مَجْـهُودِ

وكمْ دَعَوْتُك والعَزاءُ تَعْصِبُنِي وأنتَ غايةُ مَدْعَى كــلِّ منْجُودِ[1]

ب- قلبٌ يحسدُ وعينٌ تُفسِدُ:

القَلْبُ حَاسِدٌ وَمَحْسُودٌ في آنٍ واحِدَةٍ، فَالقَلبُ يَحْسِدُ العَيْنَ عَلَى نَظْرَتِهَا، وَالعَينُ تَحسِدُ القَلْبَ عَلَى خَيَالَاتِهِ لِحُسْنِ مِا رَأَى، وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ خالدُ الكاتِب التَّشْخِيصَ عِنْدَمَا جَعَلَ مِن القَلْبِ وَالعَينِ شُخُوْصًا لَهَا إِدْرَاكٌ، فَتَغَارُ لِتَحْسِدَ بَعْضَهَا البَعْضَ، ثُمَّ يُجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهَا الحِوَارَ لِتَتَحدَّثَ بِمَا فِي مَكْنُونَاتِ نَفْسِهَا. وَيَدْعُو القَلْبُ عَلَى العَيْنِ كُلَّما نَظَرَتْ لِجَمِيلِ مَنْظَرٍ بِأَنْ تَظَلَّ سَاهِرةً لا تَنَامُ لِيُرْهِقَهَا تَعَبُ السَّهَرِ، فَالعَينُ تَجْلِبُ الهُمُومَ لَهُ، فَتُشْغِلُهُ عَنْ كُلِّ فِكْرٍ آخَرَ، وَالقَلْبُ يَئِسٌ يُهِيلُ دُمُوعَهُ فَأَنَّى لَهَا الارْعِواءُ وَالكَفُّ عَن النَّظَرِ. ليقولَ:

البسيط

القَلبُ يَحْسِدُ عَيْنِيْ لَذَّةَ النَّظَرِ وَالـعَيْنُ تَحسِدُ قَلبِيْ لَـذَّةَ الفِكَـرِ

يَقولُ قَلْبي لِعَيني كُلَّما نَظَرَتْ كَـم تَنظُرِيْنَ رَمـاكِ اللهُ بِالسَّهَـرِ

العَيــنُ توْرِثُهُ هَمًّـا فَتَشغَلُــهُ وَالقَلبُ بِالدَّمعِ يَنهاها عَنِ النَّظَرِ[2]

٢- هَواجِسُ القلبِ:

- سَاهِرٌ مَادِحٌ:

لا تَزَالُ الهَواجِسُ والأفْكَارُ تُخالِجَ قَلْب السَّاهِرِ المُتأَرِّقِ مِنْ عِظَمِ مَكَارِمِ مَمْدُوحِهِ التي تغنَّى بِهَا، فَهُو لَهْفَة للسَّائِلِ، يُنْجِدُ طَالِبَ المَعْرُوفِ، وَقَدْ تَعَهَّدَ أَبو تَمَّامٍ لِمَمْدُوْحِهِ بِأَنَّ النَّاسَ سَتَظَلُّ تَذْكُرُهُ وتُرَدِّدُ المَدَائِحَ فيهِ كُلَّ وَقْتٍ وَحِيْنٍ، لِيَكُونَ ذَا شُهْرةٍ يَتَرَدَّدُ اسْمُهُ عَلَى لِسَانِ الرَّائِحِ وَالغَادِي، مُشَبِّهًا أبو تَمَّامٍ فِكْرَهُ بإنْسَانٍ سَاهِرٍ مُتَهجِّدٍ، وكأَنَّهُ يَتَعبَّدُ ليُحسِنَ صَوغَ عِبارَتِهِ، لِيكَتُبَ مِمَّا تَجُودُ عَلَيْهِ هَواجِسُهُ وخَواطِرُهُ. إنَّ تِلْكُمُ الفِكَرَ والهَواجِسَ لَدَى الشَّاعِرِ مَا هِيَ إلَّا بِدَايَةٌ لِصَوْغِ قَصِيدَةٍ فِي المَدْحِ. قالَ:

---

[1] **ديوانه**، ٤٠٤/١ .

[2] **ديوانه**، ١٤١ .

الكامل

وَتَنَبَّهَتْ فِكَــرٌ فَبِتْنَ هَواجِسًا فِي قَلْبِ ذِيْ سَمَرٍ بِها مُتَهَــجِّدِ[1]

لَمّا رَأَيتُكَ يا مُحَمَّدُ[2] **تَصْطَفِي صَفوَ المَحَامِدِ مِنْ ثَنَاءِ المُجتَدي**

سَيَّرْتُ فِيْكَ مَدائِحِي فَتَرَكْتُهَا غُرَرًا تَروحُ بِـها الرُّواةُ وَتَغتَــدي[3]

٣- خَواطِرُ القلب:

- الخَواطِرُ المَحزونَةُ:

يُشَبِّهُ ابنُ دُريدٍ شَعْرَهُ- وَقْد اشْتَعَلَ الشَّيْبُ فِيهِ بَعْدَمَا كانَ أسودَ- بِالظَّلَامِ الدَّامِسِ الذيْ لا ضَوْءِ فِيْهِ، فَأَتَاهُ الشَّيْبُ وَحَلَّ فِي أَطْرَافِهِ لِيُضِيءَ مِصْبَاحًا مُنِيْرًا، أمَّا نَشَاطُهُ الذي فِيهِ شَبَابُهُ فقَلَّ واستَعارَ لشَبَابِهِ ماءً يَنْقُصُ مَنْسُوبُهُ وَيَغِيضُ، مُشَبِّهًا ذَاكَ الشَّبابَ بِبِئْرٍ يَقِلُّ مَاؤُهَا، فَهَذَا هُوَ الهَرَمُ وَقَدْ بَاتَتْ خَوَاطِرُ قَلْبِهِ التي تَدُلُّ عَلَى فِطْنَتِهِ عُرْضَةً لِسِهَامِ الدَّهْرِ، كِنايةً مِنهُ لِكَثْرَةِ ما لاقى قَلبُهُ مِنَ الأحْزانِ والآلامِ. فيقولُ:

الرجز

فَكانَ كَاللَّيلِ البَهيمِ حَــلَّ فـي أَرْجَائِهِ ضَوءُ صَباحٍ فَانْجَلى

وَغَاضَ ماءَ شِرَّتي[4] **دَهْرٌ رَمَى خَواطِرَ القَلْبِ بِتَبْرِيحِ الجَوَى**[5]

---

[1] المُتهجِّد: السَّهران، كثير الانبعاث من نومه، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (بعث) .

[2] هو أبو سعيد، محمد بن يوسف بن عبد الرحمن النَّغْرِيُّ؛ طائيٌّ من أهل مرو، وكان من قوّاد حُميد الطّوسي في حربه مع بَابَك الخرّمي وبعد مصرع حميد صار أبو سعيد من قادة الجيوش عند المعتصم، وقد كانت أول هزيمة لأصحاب بابك على يده سنة ٢٢٠ هـ، توفي فجأة في عهد المتوكل في شوال سنة ٢٣٦هـ، وقد غلبت على أبي سعيد صفة الثّغري، لأن معظم حياته قضاها في العمل في ثغور البلاد الإسلامية. **ديوان البحتري، هامش التحقيق**، ٥/١. لم أجده في كتب التّراجم إلّا ما ذكره الزركلي في **الأعلام**، ٤٢١/٥، في فصل ذِكْر محمد الطوسي سنة ٢١٤هـ، "وجُعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطّائي المعروف بأبي سعيد" .

[3] **ديوانه**، ٣٠٠/١-٣٠١ .

[4] الشِّرّة: الحرص والرَّغبة والنَّشاط، وشرّة الشباب نشاطه وحِرصُه، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة (شرر) .

[5] الصاوي، عبد الله، **شرح مقصورة ابن دريد**، ٢١. لم أجد البيتين في **ديوان ابن دريد** .

٤- حَظُّ القَلبِ:

- الحَظُّ العاثِرُ الأليمُ:

وَنَرَى ابنَ دُريدٍ يُخَاطِبُ مَنْ ذَهَبوا عَنْهُ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ، مُخْبِرَهُمْ بِأَنَّ المَوْتَ بَعْدَ فَقْدِهِمْ جَمِيلٌ فَلَا قِيْمَةَ لِلْعَيْشِ بَعْدَ ذَهَابِهِمْ وَرُقُودِهِمْ فِي المَقَابِرِ، إِذْ بِدُونِهِمْ قَدْ طَالَتْ قَلْبَهُ الهُمومُ لَا تُفَارِقُهُ وَنَصِيبُ قَلْبِهِ مِنْهَا أَلَمُ الفِرَاقِ وِبُعْدُ المُنْطَوى، فَزَفيرُ قَلْبِهِ مَسُموعٌ، وَصَوتُ البُكَاءِ ظَاهِرٌ لا سَبيلَ إِلَى كِتْمَانِهِ فيقول:

الخفيف

طابَ فَقْدُ الحَياةِ بَعـدَ أُنـاسٍ شَطَّ[1] بي عَنـهُمُ المَحَلُّ الشَّحيطُ[2]

طالَ مِن بَعدِهِم مَطالُ هُمومٍ حَظُّ قَلبي مِنـها الجَوى (وَالنَّحيطُ[3])[4]

---

[1] شَطَّت الدار: بعدت، الجوهري، **الصّحاح**، مادة (شَطَط) .

[2] الشَّحْط والشَّحَط: البُعد، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شَحَط) .

[3] النَّحيط: الزَّفير، الجوهري، **الصّحاح**، مادة (نَحَط) .

[4] **ديوانه**، ١١٩ .

خاتمة البحث

الحَمدُ للهِ الذي بِحَمْدِهِ تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاةُ عَلَى مَنْ حَمِدَهُ اللهُ فِي الأراضِينَ والسَّماواتِ مُحَمَّدٍ بن عبدِ اللهِ ﷺ، نُزِّلَ عليهِ مِن الذِّكْرِ مُحْكَمُ الآياتِ، فقالَ فِيهِ ربُّ الأرضِ والسَّمَاواتِ:﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1].

لقد عَرَضَ البَاحثُ في بَحثِهِ أَهَمَّ العَلائِقِ التي تَرتَبطُ بِمَوضُوعِ القلب، تِلْكَ المُضْغةُ الصَّغيرةُ التي تسيِّر حَركَةَ الإنْسانِ، فَتَحْمِلُ المَشاعرَ الإنْسانيَّة مِن فَرَحٍ وحُزنٍ وَغَضَبٍ وَهُدوٍّ وشجاعةٍ وجُبنٍ وَغيرِهَا مِن المَشَاعِرِ والأحَاسِيسِ.

وَقدْ بَرَزَتْ مَعَانِي القَلبِ في المُبَاحَثَةِ واضِحةً تَتآلفُ مِن تُراثِ العَربِ وأَشْعَارِهِمْ ، فالشِّعرُ دِيوانُ العرب، وقَدْ اعْتَمَدَ البَاحِثُ في بحثهِ نَقْلَ النُّصوصِ الشِّعريَّة وتَحْلِيلَهَا لِما يَخصُّ المُباحَثةَ، بِدايةَ العَصرِ العبَّاسيِّ حتّى نِهايةِ القَرْنِ الرَّابعِ الهِجْريِّ، فَخَلُصَ البَاحِثُ إلى التَّالي:

١- إنَّ تَقسيماتِ مَراتِبِ الحُبِّ أبرزَتْ فروقًا دقيقةً بين كُلِّ مَعنى وخَصِيصةٍ تتألَّفُ مِنْها مَعَاني الحُبِّ، والمُعوَّل عَلى الفَهْمِ، فإنَّ تِلْكَ المَراتِبَ تَنمازُ فِيمَا بَينَها بِخُطوطٍ دَقيقةٍ لَيسَ إلَّا، فَالبَونُ بينَ مَعانِيها لَيسَ فَضْفَاضًا، بَل إنَّ مَرتبةَ الهِيامِ قَدْ تكونُ العِشْقَ، وَتُغْني عَنْهَا وتحلُّ مَحلَّها، وَقدْ تَسبِقُ رُتبَةٌ رُتبَةً أُخرى، فالتَّصْنيفاتُ فِيْها مُتَبَاينَةُ المَرَاحِلِ فِي كُتُبِ الأَقْدَمينَ، وَلَيسَتْ تَسيرُ عَلَى نَسَقٍ واحدٍ.

٢- لَقدْ عبَّرَ الشِّعرُ العَبَّاسيُّ- حتَّى نِهَايةِ قَرنِهِ الرَّابعِ الهِجريِّ- أحسنَ مَا يَكُونُ عنْ شُعورِ النَّفْسِ البَشريَّة لَدى الشَّاعرِ، والتي كَانَتْ تَتماهَى مَع أيَّما حَدَثٍ وَليدِ لَحْظَتِهِمْ، فَيُصَوِّرُونَهُ أفضَلَ ما يكون.

٣- لَيسَ مِن غَريبِ الأَمْرِ أَنْ يَحتلَّ بَابُ الحُبِّ فَصْلًا مِن أَكْبَرِ فُصولِ المُبَاحَثَةِ، فَنِياطُ الحُبِّ في القُلوبِ قَائِمٌ، لأنَّهُ الشُّعورُ الذي يُضْعِفُ الفِكْرَ العَقْلانِيَّ، بَلْ قَدْ يُلغِي وُجُودَهُ فِي بَعضِ الأَحْيانِ.

٤- لقدْ تبيَّن للقَارئِ بِأنَّ القُرآنَ الكَريمَ قَدْ خَصَّ القَلْبَ بِمَفهُومِ الوَعي والإدْرَاكِ، فَجَعَلَ مِنْهُ فَاهِمًا وَاعِيًا يَنمُّ عَنْ بَصيرةٍ وَدِرَايةٍ، وإبانَةٍ للتَّقْوى أو للفُجُورِ، فَهُوَ مَحَلُّ التَّقْوى أو مَحَلُّ الكُفرِ والعِصْيانِ

[1] البقرة، ٩٧ .

أَيْضًا، وَقَدْ جَعَلَتِ السُّنّةُ النَبويَّةُ الشَّريفةُ للقلبِ أيضًا، خَصِيصَةً وَمكانةً تُميِّز الخَبيثَ مِن الطَّيِّبِ لأَنْفُسِ البَشَريَّةِ وتَمَيِّزُ القَسوةَ مِن الرَّحمةِ وَمُتعلِّقاتِ المَشَاعِرِ البَشريَّةِ الأُخْرى.

٥- لَقَدْ بَرزَتِ المَعانِي المَحسوسَةُ لِلقَلبِ، والتي تُمثِّلُ عَلاقةَ القَلبِ بالمَادِّيَاتِ المَحْسوسَةِ، كَالدِّماءِ والجُروحِ والدُّموعِ، وأَعْضَاءِ الجَسدِ الأُخرى، وَبِرَزَتِ المَعانِي غَيرُ المَحسوسَةِ من حبٍّ وعِشقٍ وَهِيامٍ وغيرِهَا مِن تِلكَ المَحسوسَاتِ، وعلى النّقيض بَرَزَتْ في المُباحَثةِ عَناصِرُ الكُرهِ والبُغْضِ .....إلخ.

٦- أَظْهَرَ شُعراءُ العَصْرِ العَبَّاسيَّ- حتّى نَهايةِ القرنِ الرَّابعِ الهِجْريِّ- تَجديدًا فَي مَعاني الشَّعرِ عَنْ سَابقيهم في العُصورِ الأُوَلِ، واسْتحدثوا المَعانِي القَديمةَ ليُجدِّدوا فِيهَا، لَكِنَّ اللَّافِتَ في صَنْعةِ الشِّعرِ لَدِيهمْ أنَّ المُجونَ واللَّهوَ والطَّربَ قَدْ أخَذَ القِسطَ الأَوْفَى مِن أَشْعارِ بَعضهم كأَبِي نُوَاسٍ، وابنِ الرُّوميِّ وكَشاجِمَ وغيرِهِمْ مِن الشُّعَراءِ، وعَلَى النَّقِيضِ مِنْهُ بَرزَ شُعَراءُ الغَزَلِ العَفيفِ لِيكونَ التَّوازنُ مُتَحَصِّلًا فِي ذَلِكَ العَصْرِ الزَّاخرِ بِالمُتَنَاقِضَاتِ، فَبرَزَ العَبَّاسُ بنُ الأَحْنَفِ، والصُّوليُّ وَغَيرُهُم من الشُّعراءِ، ووَجدنَا الزُّهَادَ مَن الشُّعراءِ والمُتَصوِّفةِ أيْضًا، كالحلَّاجِ وأبِي العَتَاهِيةِ يُنشدونَ أشْعارَهُمْ فِيما اعْتَادتْهُ قُلُوبُهُمْ، وارْتَضَتْهُ أَفْئِدَتُهُم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إسماعيل، عزّ الدِّين، **الأسس الجماليَّة في النقد العربي:** عرض وتفسير ومقارنة، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م.
- ابن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ)، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، أشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، الجمهورية العربية المتحدة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ/٩٧٦م)، **الأغاني**، ٢٥مج تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السّعافين وبكر عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ٣٠ مج، عُنيت بنشره وتصحيحه: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، (د.ط) بيروت، (د.ت).
- أنيس، إبراهيم، **موسيقا الشعر**، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م.
- الباهلي، محمد بن حازم الباهلي (ت: ٢١٥هـ)، **ديوان الباهلي**، صنعة: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠١-١٤٠٢هـ/١٩٨١-١٩٨٢م.
- البَبَّغاء، أبو الفرج عبد الواحد نصر بن محمد (ت: ٣٩٨هـ)، **شعر الببغاء: حياته وديوانه**، تحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (ت: ٢٨٤هـ)، **الديوان**، عناية وتحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٦٣م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري ٧ مج**، ضبطه ورَقَّمهُ ووضع فَهارِسه وشرحهُ وعلَّق عليه وحقَّقهُ: مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، (د.ط)، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٧٦م.

- ابن بَرْدي، يوسف جمال الدين أبو المحاسن (ت: ٨٧٤هـ)، **النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة، ١٦ مج وزارة الثقافة، (د.ط)، مصر ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م.
- البُستي، علي بن محمد بن الحسين (ت: ٣٨٧)، **الديوان**، تحقيق الأستاذين: دريَّة الخطيب ولطفي الصّقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (د.ط) دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- بشار بن برد (ت: ١٦٧هـ)، **الديوان**، نشر وتقديم وشرح محمد الطّاهر ابن عاشور، راجعه وصحَّحه: محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنشر (د.ط) القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها المشهور بتاريخ بغداد**، ١٨ مج تحقيق وضبط وتَعليق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- أبو تمَّام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت:٣٢١هـ/٨٤٦م)، **شرح ديوان أبي تمام الخطيب التبريزي**، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- التَّنوخيُّ، القاضي أبو علي المحسن بن علي (ت: ٣٨٤هـ)، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عَبّود الشالجي، ٨ مج، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧١م.
- التَّوحيدي، أبو حيَّان، علي بن محمد بن العَبَّاس (ت: ٤١٤هـ)، **الإمتاع والمؤانسة**، اعتنى به وراجعه: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت، ١٤٣هـ/٢٠١١م.
- ـــــــــ، ـــــــــ، **البصائر والذَّخائر**، ١٠ مج، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٤م.
- التَّوحيدي، أبو حيَّان، محمد بن يوسف (ت: ٧٤٥هـ)، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الوجود وعلي محمد معوض وآخرون، ٨ أجزاء، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد (ت: ٧٢٨هـ)، **طب القلوب**، جمع مادة الكتاب وأجرى الحوار العلمي: جميل جاسم النَّشمي، دار الدَّعوة للنشر والتوزيع، (د.ط)، الكويت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- الثَّعالبي، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت: ٤٢٩هـ)، **تحسين القبيح وتقبيح الحسن**، تحقيق: شاكر العاشور، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث العربي الطبعة الأولى، الجمهورية العراقية، ١٤٠٤هـ /١٩٨١م .
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٥ مج، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ)، **الحيوان**، ٨ مج، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
- جبر، يحيى عبد الرؤوف، **نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة**، سلسلة أسفار العربية ، ط١ نابلس، ١٩٨٨م.
- الجرجاني، الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٤٧١هـ) **أسرار البلاغة**، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، (د.ط)، جدة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ)، **التّعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **أخبار الأذكياء**، اعتنى به: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **أخبار الحمقى والمغفَّلين**، شرح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، **الصِّحاح، تاج اللُّغة وصحاح العربية**، ٦ مج تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم الملايين، الطُّبعة الثانية، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- الحاوي، إيليا، **أبو تمام: فنُّه ونفسيَّته من خلال شعره**، دار الثقافة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٩م.
- ابن أبي حجلة المغربي، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر التّلمساني (ت: ٧٧٦هـ) **ديوان الصّبابة**، (د.ط)، دار حمد وحيو، (د.ت).
- الحلّاج، الحسين بن منصور بن مَحْمَى البيضاوي (ت: ٣٠٩هـ)، **شرح ديوان الحلّاج** شرح: مصطفى الشيبي، منشورات الجمل، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت: ٣٠٩هـ)، **التّذكرة الحَمدونية**، ١٠مج، تحقيق: إحسان عبَّاس وبكر عبَّاس، دار صادر، الطبعة الأولى بيروت، ١٩٩٦م.
- الحمويُّ، ياقوت، شهاب الدين بن أبي عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ) **معجم الأدباء**، ٢٠ مج، تحقيق: أحمد فريد الرفاعي، راجعته: وزارة المعارف العموميّة، دار المأمون للطباعة، الطبعة الأخيرة، مصر، (د.ت).
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **معجم البلدان**، ٥ مج، دار صادر، (د.ط)، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- الحُميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت: ٤٨٨هـ)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق وتعليق: بشَّار عواد معروف ومحمد بشَّار عواد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، تونس، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الخازن، علاء الدين بن علي محمد (ت: ٧٢٥هـ)، **تفسير الخازن المسمَّى لباب التّأويل في معالم التّنزيل ومعه تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل للبغوي الشافعي** (ت:٥١٦هـ)، ٦ مج، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- خالد الكاتب (ت: ٢٦٢هـ/٨٧٦م)، **الديوان**، دراسة وتحقيق: كارين صادر، منشورات وزارة الثقافة السوريّة، (د.ط)، دمشق، ٢٠٠٦م.

- الخبزأرزي، نصر بن أحمد البصري (ت: ٣٣٠هـ)، **الديوان**، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مجلة المجمع العلمي العراقي، (د.ط)، بغداد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الخريمي، إسحاق بن حسان (ت: ٢١٢هـ)، **شعره**، جمع وتحقيق: علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعبيد، دار الكتاب الجديد، (د.ط)، بيروت، ١٩٧١م.
- ابن خِلِّكان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: ٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ٨ مج، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، (د.ط)، بيروت ١٩٧٢م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السَّامرَّائي، ٨ مج، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- درويش، أحمد، **ابن دريد الأزدي رائد فن القصّة العربيّة**، دار غريب، الطبعة الثَّانية القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٣٢١هـ)، **جمهرة اللُّغة**، ٣ مج، تحقيق وتقديم: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **الديوان**، جمعه وحقّقه ووضع فهارسه: السيد محمد بدر الدين العلوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (د.ط) القاهرة، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
- دِعْبِل الخُزاعي، أبو علي بن علي (ت: ٢٤٦هـ)، **الديوان**، شرح: حسن حمد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان (ت: ٢٣٦هـ)، **الديوان**، جمع وتحقيق ودراسة: مظهر الحجي، منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب، (د.ط)، دمشق، ٢٠٠٤م.
- الذَّهبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، **سير أعلام النّبلاء** ٢٩ مج، المحققون: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وآخرون، أشرف على التحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال**، ٤ مج، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- الرَّاغِب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ٣ مج، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- ـــــــــــــ، ـــــــــــــ، **المفردات في غريب القرآن**، ٢ مج، تحقيق وإعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز (د.ط)، مكتبة نزار مصطفى الباز (د.ت).
- ربيعة الرَّقّيُّ، ابن لجأ الأسدي (ت: ١٩٨هـ/٨١٣م)، **شعر ربيعة الرقي**، صنعه: زكي ذاكر العاني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ط)، دمشق، ١٩٨٠م.
- ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٣هـ)، **ديوان ابن رشيق**، تحقيق: عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- رولون س، ولز، **علم اللُّغة الحديث الاسس الأولى – دي سوسير وعلم اللغة –** ترجمة: يوئيل يوسف عزيز (الموسوعة الصغيرة)، دار الحريّة للطّباعة، (د.ط)، بغداد، ١٩٨٦م.
- ابن الرومي (ت: ٢٨٤هـ)، **الديوان**، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ريكان، إبراهيم، **نقد الشعر في المنظور النفسي**، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٩م.
- الزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس** ٤٠ مج، تحقيق: عبد الكريم العزباوي وآخرون، راجعه: عبد السَّتَّار أحمد فرَّاج، وزارة الإعلام مطبعة حكومة الكويت، (د.ط)، الكويت، (د.ت).
- الزَّبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٣٧٩هـ)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤م.
- الزَّجَّاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت: ٣٣٧هـ)، **أخبار أبي القاسم الزَّجَّاجي** تحقيق: عبد الحسين المبارك، دار الرشيد، (د.ط)، الجمهوريَّة العراقيَّة، ١٩٨٠م.
- الزِّركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدِّمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ٨ مج، دار العلم للملايين، الطبعة ١٥، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الزَّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة** ٢ مج، تحقيق: محمد باسل عيُون السُّود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في محاسن التنزيل**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، بيروت ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- ابن الزَّيَّات، **ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزَّيَّات** (ت: ٢٣٢هـ)، شرح وتحقيق: جميل سعيد، المجمع الثقافي، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، (د.ت).
- أبو زيد، سامي يوسف، **ابن الرومي: قراءة نقدية في شعره**، دار عالم الثقافة، (د.ط) ٢٠١٢م.
- السَّريُّ الرَّفَّاء، ابن أحمد (ت: ٣٦٢هـ)، **الديوان**، تقديم وشرح: كرم البستاني، مراجعة: ناهد جعفر، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٦م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب**، ٤ مج تحقيق: مصباح غلاونجي، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة، (د.ط)، دمشق ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- السّقطي، رسمية موسى، **أثر كفِّ البصر على الصورة عند أبي العلاء المعري**، جامعة القاهرة، (د.ط)، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- السّوداني، عبد الله عبد الرحيم، **رثاء غير الإنسان في الشِّعر العربي**، المجمع الثَّقافي الطبعة الأولى، أبو ظبي، ١٩٩٩م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المصري (ت: ٤٥٨هـ)، **المُحكم والمُحيط الأعظم**، ١١مج، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، الطبعة الأولى بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الشّابُشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، **الدّيارات**، تحقيق: كوركيس عوّاد، دار الرّائد العربي، الطّبعة الثانية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ)، **الديوان**، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، (د.ط)، مصر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- الشِّبلي، أبو بكر جعفر بن يُونس المشهور بدُلف بن جحدر (ت: ٣٣٤هـ/٩٤٦م)، **الديوان** جمعه وحقَّقه: كامل مصطفى الشيبي، مطابع دار التَّضامن، ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

- شرارة، عبد اللطيف، **أبو العتاهية: شاعر الزهد والحب الخائب**، منشورات دار الشرق الجديد، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٢م.
- الشَّريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم المرتضى (ت: ٤٠٦هـ)، **الديوان**، شرح: يوسف شكري فرحات، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الشّطنوفي، أبو الحسن علي بن يوسف اللّخمي، المعروف بأبي جهضم (ت: ٧١٣هـ/١٣١٣م)، **بهجة الأسرار ومعادن الأنوار**، طبعة مصر، ١٣٣٠هـ.
- شلبي، سعد إسماعيل، **مَقدِّمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي**، مكتبة غريب، (د.ط) القاهرة، ١٩٨٣م.
- شلق، علي، **العين في الشعر العربي**، دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الشِّمْشَاطيّ، أبو الحسن عليّ بن محمد بن المطهّر العدويّ (ت: ٣٧٧هـ)، **الأنوار ومحاسن الأشعار**، ٢ مج، تحقيق: السيد محمد يوسف، راجعه عبد الستار فراج، التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام بالكويت، (د.ط)، الكويت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- الشَّوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من علم التّفسير**، ٥ مج، حقَّقه وخَرَّج أحاديثه: عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه: لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، (د.ط)، دار الوفاء ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الصَّاحب، إسماعيل بن عبَّاد (ت: ٣٨٥هـ)، **الديوان**، شرح وضبط وتقديم: إبراهيم شمس الدين الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **المحيط في اللُّغة**، ١١ مج، تحقيق: الشيخ محمد آل ياسين الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الصَّاوي، عبد الله، **شرح مقصورة ابن دريد**، دار الكتاب، (د.ط)، الدار البيضاء، (د.ت).
- صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري (ت: ٢٠٨هـ)، **شرح ديوان صريع الغواني** عناية وتحقيق وتعليق: سامي الدهان، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

- الصَّفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ)، **لوعة الشاكي ودمعة الباكي**، ضبط وشرح وتصحيح: محمد أبو الفضل محمد هارون، المطبعة الرّحمانية، الطبعة الأولى مصر ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **الوافي بالوفيات**، ٢٩مج، طالعه: يحيى بن حجى الشافعي تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الصَّنوبري، أحمد محمد بن الحسن الضبي (ت: ٣٣٤هـ)، **الديوان**، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨م.
- الصُّولي، أبو بكر محمد بن يحيى (٣٣٦هـ)، **كتاب الأوراق**، نشره: ج. هيورث. دن مطبعة الصاوي، الطبعة الأولى، مصر،١٩٣٦م.
- ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة، مصر ٢٠٠٤م.
- ابن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢هـ)، **شعر ابن طباطبا العلوي الأصبهاني**، جمعه وحقَّقه وقدَّم له: شريف علاونة، جامعة البترا، دار المناهج، (د.ط)، الأردن، ٢٠٠٢م.
- الطّباطبائي، محمد حسين، (ت: ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، **الميزان في تفسير القرآن**، ٢٠ مج منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت: ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القران**، هذّبه وحقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشَّار عوَّاد معروف وعصام فارس الحرستاني، ٦ مج مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الظَّاهري، أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني (ت: ٢٩٧هـ)، **الزّهرة**، تحقيق وتقديم وتعليق: إبراهيم السَّامرّائي ونوري حمود القَيسي، مكتبة المنار، الطبعة الثانية، الزرقاء ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- العبَّاس بن الأحنف، أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود (ت: ١٩٤هـ)، **الديوان** شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، (د.ط)، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

- ابن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، ٢ مج، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلميَّة، (د.ط) بيروت، (د.ت).
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ)، **الديوان**، جمع وتحقيق وشرح: محمد رضوان الدَّاية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **العقد الفريد**، ٩ مج تحقيق: مفيد محمد قميحة وعبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلميَّة، الطبعة الأولى بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- أبو العتاهية، **ديوان أبي العتاهية** (ت: ٢١٠هـ/٨٢٦م)، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت بيروت، (د.ط)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت: ٦٦٠هـ)، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، (د.ط)، بيروت، ١٩٥٤م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت: ٣٩٥هـ)، **ديوان المعاني**، شرحه وضبط نصه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **الفروق اللُّغويَّة**، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم دار العلم والثَّقافة، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- عشوي، مصطفى، **الإنسان في فكر ابن قيِّم الجوزيّة**، عدد ١٢، مؤسسة العلوم النَّفسية العربية، (د.ط)، ٢٠١٥م.
- عصفور، جابر، **الصُّورة الفنية في التُّراث النَّقدي والبلاغي عند العرب**، دار التنوير الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٥م.
- عطيَّة، عبد الرحمن، **الصَّنوبري: شاعر الطّبيعة**، الدار العربيّة للكتاب، (د.ط)، ليبيا- تونس١٩٨١م.
- علي بن الجهم (ت: ٢٤٩هـ)، **الديوان**، تحقيق: خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- العلي، عدنان عبيد، **شعر المكفوفين في العصر العبَّاسي**: دراسة نفسيَّة وفنيَّة في أثر كف البصر، دار أسامة، (د.ط)، عَمَّان، ١٩٩٩م.

- عمارة بن عقيل (ت: ٢٣٩هـ)، **الديوان**، جمع وتحقيق: شاكر العاشور، ساعدت وزارة الإعلام على نشره، الطبعة الأولى، البصرة، ١٩٧٣م.
- العمري، أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ٢٧ مج، إشراف وتحقيق: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠م.
- عويضة، كامل محمد محمد، **دِعْبل بن علي الخُزاعي، الصُّورة الفنيَّة في شعرهِ**، دار الكتب العِلميَّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- عيد، رجاء، **فلسفة البلاغة بين التَّقنية والتَّطور**، منشأة المعارف، الطبعة الثانية الإسكندرية، (د.ت).
- أبو العيناء، (ت: ٢٨٢هـ)، **ديوان أبي العيناء ونوادره**، جمع وتحقيق: أنطوان القوال، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤م.
- ابن فارس ابن زكريا، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، **مقاييس اللُّغة**، ٦ مج، طُبع بإذن خاص من رئيس المجمع العلمي العربي الإسلامي، تحقيق وضبط: عبد السَّلام محمد هارون دار الفكر، (د.ط)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- أبو فراس الحمداني (ت: ٣٥٧هـ)، **الديوان**، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، جمعه ونشره وعلّق على حواشيه ووضع فهارسه: سامي الدَّهان، مكتبة مروان العطيَّة، (د.ط) بيروت، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.
- القاضي، النعمان، **أبو فراس الحمداني: الموقف والتَّشكيل الجمالي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د.ط)، عَمّان، (د.ت).
- القرطبي، أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن الكريم والمُبيِّن لما تضمَّنَهُ من السُّنَّة وآي الفُرقان**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٢٤مج، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- ابن الكِتَّاني، أبو عبد الله محمد (ت: ٤٢٠هـ)، **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، ٣ مج، تحقيق: إحسان عبّاس دار الثّقافة، (د.ط)، بيروت، ١٩٦٦م.
- كحالة، عمر رضا، **الحب**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- كشاجم، محمود بن الحسين (ت: ٣٦٠هـ)، **الديوان**، دراسة وشرح وتحقيق: النَّبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- الكَفَوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٠٩٤هـ)، **الكُلِّيَّات**، قابله على نسخة خطيَّة وأعده للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرِّسالة الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، أبو العلى (ت: ١٣٥٣هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع التّرمذي**، ١١ مج، راجعه وصحَّحه: عبد الوهَّاب عبد اللَّطيف، دار الفكر (د.ط) مصر، (د.ت).
- المتنبي، أحمد بن الحسين (ت: ٣٥٤هـ)، **ديوان أبي الطَّيِّب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان**، ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه: مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (د.ط) مصر ١٣٥٥هـ/١٩٢٦م.
- محمود الورّاق، ابن الحسن البغدادي (ت: ٢٢١هـ)، **الديوان**، جمع ودراسة وتحقيق: وليد قصاب، مؤسسة الفنون، الطبعة الأولى، عجمان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت: ٤٢١هـ)، **أمالي المرزُوقي**، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥م.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبو الحسين (ت: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم المسمَّى المسند الصَّحيح المختصر من السُّنن**، ٣ مج، تشرَّف بخدمتها والعناية بها: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- المعافى بن زكريا النّهرواني، أبو الفرج النهرواني الجريري (ت: ٣٩٠هـ)، **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح المعافي**، دراسة وتحقيق: محمد مرسي الخولي، عالم الكتب الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- ابن المعتز، الخليفة عبدالله بن المعتز العباسي (ت: ٢٩٦هـ/٩٠٨م)، **الديوان**، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- ـــــــــــــ، ـــــــــــــ، **شعر ابن المعتز**، صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، دراسة وتحقيق: يونس أحمد السَّامرّائي، وزارة الثّقافة والفنون، دار الحرية للطباعة، (د.ط)، بغداد ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ـــــــــــــ، ـــــــــــــ، **طبقات الشعراء** تحقيق: عبد السَّتار أحمد فراج، دار المعارف، الطبعة الثالثة مصر، (د.ت).
- المقَّري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، **نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٨ مج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (د.ط)، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- ملحس، ثريا عبد الفتاح، **أبو الفتح كشاجم البغدادي: في آثاره وآثار الدّارسين**، دار البشير، (د.ط)، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ابن المُلقن، سراج الدين، أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، **تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج**، ٢ مج، تحقيق ودراسة: عبدالله بن سَعاف اللَّحياني، دار حِراء الطَّبعة الأولى، مكة المكرّمة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- المُنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت: ٦٥٦هـ)، **التَّرغيب والتَّرهيب**، ٤ مج، حكَّم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: ٧١١هـ) **لسان العرب**، ١٥ مج، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ابن منقذ، أبو المظفر، أسامة بن مرشد (ت: ٥٨٤هـ)، **البديع في نقد الشعر**، تحقيق: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ومراجعة: إبراهيم مصطفى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (د.ط) الجمهورية العربية المتحدة، (د.ت).
- مهيار الديلمي، أبو الحسين مهيار بن مَرْزويه (ت: ٤٢٨هـ)، **الديوان**، تحقيق: أحمد نسيم مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.
- مومنى، قاسم، **نقد الشعر في القرن الرابع الهجري**، دار الثَّقافة للطِّباعة والنَّشر، (د.ط) القاهرة، ١٩٨٢م.

- نافع، عبد الفتاح صالح، **لغة الحبِّ في شعر المتنبي**، دار الفكر، الطبعة الأولى، عَمَّان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ابن نُباته السّعدي، أبو نصر عبد العزيز بن عمر (ت: ٤٠٥)، **الديوان**، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطّائي، منشورات وزارة الإعلام، (د.ط)، الجمهورية العراقيّة ١٩٧٤م.
- النَّحاس، أبو جعفر (ت: ٣٣٧هـ)، **معاني القرآن الكريم**، ٦مج، تحقيق: محمد علي الصّابوني، الطّبعة الأولى، طبعة جامعة أم القرى، معهد البحوث العلميَّة وإحياء التُّراث الإسلامي، مكة المكرَّمة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن النَّديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالورَّاق (ت: ٤٣٨هـ) **الفهرست في أخبار المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، ١٠ مج، تحقيق: رضا – تجدد بن علي ابن زين العابدين الحائري المازنداني، (د.ط)، طهران، (د.ت).
- أبو نُواس، الحسن بن هانئ (ت: ١٩٨هـ)، **ديوان أبي نُواس**، تحقيق وضبط وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالي، أشرف على تحقيق الديوان وطبعه: عزيز أباظة، دار الكتاب العربي (د.ط)، بيروت، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
- ـــــــــــ، ـــــــــــ، **الديوان**، خمريَّات أبي نَوَاس، قدَّم له وشرحه: علي نجيب عطوي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، بيروت، ١٩٨٦م.
- النّويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ٣٣مج، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- النُّويهي، محمد، **نفسيَّة أبي نُواس**، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ابن هانئ، ابو القاسم، محمد بن هاني الأزدي الأندلسي (ت: ٣٦٢هـ)، **ديوان محمد بن هانئ الأندلسي**، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت، (د.ط) بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الوأواء الدِّمشقي، أبو الفرج محمد بن أحمد الغسَّاني (ت: ٣٩٠هـ)، **الديوان**، الطبعة الثانية نشره وحقَّقه ووضع فهارسه سامي الدَّهان، دار صادر،(د.ط)، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- الواحدي، أبو علي الحسن بن أحمد (ت: ٤٦٨هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** تحقيق: صفوت عدنان داوودي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، الدار الشَّامية، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- يحيى بن حكم الغزال (ت: ٢٥٠هـ)، **الديوان**، جمع وتحقيق وشرح: محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- اليظي، صالح حسن، **البحتري بين نُقَّاد عصره**، دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد بن علي (ت: ١١٠٢هـ)، **المحاضرات في الأدب واللغة**، تحقيق وشرح: محمد حجّي وأحمد الشَّرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠٦م.

الرَّسائل الجامعيَّة:

- الجهيمان، عبد الله إبراهيم، **اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٣م-١٩٧٤م.
- أبو حامد، مها محمد أحمد، **العين وتطوُّرها الدِّلالي في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي (دراسة دلالية إحصائيّة)**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- حمدان، سارة عبد الحفيظ، **صورة الخلافة في الشِّعر العبَّاسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- شَحروج، ابتهاج ياسر عيسى، **القلب في القرآن الكريم**، دراسة موضوعيّة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- عبَّاس، أحمد الطيب خوجلي، **الاتجاه التَّجديدي وأثره في نهضة الشِّعر في العصر العباسي الأول**، رسالة دكتوراة، جامعة أمدرمان، السودان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الدَّوريَّات:

- إدريس، أحمد البشير أحمد، **الإعجاز العلمي في الإشارة للقلب بأنَّه المدخل الوحيد للإدراك**، ملخص بحث، جامعة سنار، السودان، مارس ٢٠١٢م.

بليل، عبد الكريم، **القلب في القرآن**، مقالة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، (١-١٦).
/http://www.alukah.net/sharia/٠/٨٧١٧

- حلبي، أحمد طعمة، **مظاهر الجمال الأنثوي في الشعر العباسي**، مجلة التراث العربي (مجلد ٢٦)، (عدد ١٠٢)، سوريا، ربيع الثاني،١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، (٢١٢-٢٣٤).
- الكعبي، ماجد عبد الحميد، **الحركة النقدية حول شعري البحتري وابن الرومي**، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، (مجلد ١٨)، (العدد ٢) العراق، ٢٠١٠هـ/١٤٣١م. (٧).
- **الموسوعة الشّعريّة**، إشراف: أحمد محمد السويدي، نسخة ٢٠٠١م، المجمع الثَّقافي ١٩٩٧م-٢٠٠٣م.

Abstract

The Researcher Concerned about the concept of heart and its different shapes, in this study, he mentioned its meanings and vocabulary highlightened its concept in Abbasi poetry till the end of the fourth century, the research was consisted of two chapters, introduction and final, the researcher titled introduction: the heart and the cardiain the holy quran and phrophetic tradition (Al-Hadeeth Al-shareef), he explained the concepts pronunciation of heart and the differences between heart and cardia, he cited verses from the holy Quran about the image of heart and prophetic tradition to show the differences of heart and its contradictions.

While the first chapter was titled: The heart and its role of conveying Passion and thought and the formation Of literature in Abbasi poetry, the researcher explained the concept of love and flirtation in Abbasids and the relationship between heart, mind and the five senses. he cited poetic evidence and examples about each section, then he divided the concepts of heart and its differences besides he mentioned examples on each section, after that, he titled the second chapter: developing of heart's concepts in Abbasi poetry, which the moral meanings of heart and the psychological states poets displayed. And what does the heart contain from puns, and for mentioning heart belongings from the materialistic sensors and the spiritual concepts of heart.

Hebron University

Deanship of graduate studies

The Arabic Language and literature program

The concepts of heart in abassid poetry till the fourth hijri century

Prepared by

Adam Yousef Taha Afaneh

Supervisor

Dr. Ali Abdallah Amr

This study has been prepared as a requirement for obtaining a master's degree in Arabic language and literature dean ship of graduate studies at Hebron University

٢٠١٦g–١٤٣٧h